الدراسات الإسلامية

مجلة

مجمع البحوث الاسلامية

اسلام آباد - باكستان

يونيو ١٩٨١م جمادى الآخرى ١٤٠١هـ

المجلد السادس عشر العدد ال

الدراسات الإسلامية

مجلة مجمع البحوث الاسلامية

اسلام آباد - باكستان

العدد الثاني — المجلد السادس عشر

جمادى الاخرى ١٤٠١هـ — يونيو ١٩٨١م

المحتوى

الافتتاحيـــــة

ان اللفظ لم يستعمل الا للمعنى . وكلما يكون اللفظ محسنا فى تعبيره عن معناه كلما يزداد فى حسنه . محسن اللفظ يقتصر على حسن التعبير عن المعنى، لأن غاية اللفظ هو المعنى

ان تاريخ اللفظ والمعنى قديم جدا مثل قدامة التاريخ الانساني .

الانسان فى عهده القديم قلما يتعرض للباطن ويتصدى للظواهر . كـ...

الا الى ظاهر الشيء ورونقه وبريقه وهو عما فى باطنه من المعانى وال...

مكذلك الشعوب والأمم تبقى فى دوامة اللفظ مالم تنضج عقولها وـ...

وانك لتجد معركة اللفظ والمعنى فى قتال مشركى مكة واصحاب محمد ﷺ . كان مشركو مكة يصلّون وما كان صلواتهم عند البيت الامكاء وتصدية وكانوا يحجون ويقولون لبيك اللهم لبيك . لا شريك لك الا شريكا تملكه وما ملك مكان اجتماع الصلوٰة والحج تقليدا يتوارثه الأبناء عن الآباء دون ان يدركوا غايته . ولفظا ينطقونه بألسنتهم وهم لا يعرفون معناه فأخبرهم الله سبحانه وتعالى أن الصلوٰة ذكر الله وطمأنينة القلب . وغايتها تصفية المجتمع من الفحشاء والمنكر . والحج ذكر الله واعلان التوحيد وابتغاء فضل الله . وغايته أن يشهدوا منافع لهم أى التعارف بين الناس وتبادل الأفكار والعلوم والخبرات بين الناس . والاستفادة من تجارب الآخرين فى العلوم والصناعة والتجارة والسياسة وما الى ذلك . كما ان الزكوة غايتها طرد الفقر والعطل من المجتمع وتحسين احواله فى المأكل والمشرب والملبس والمسكن والتعليم وكل ما فيه تقدم المجتمع . وليس معناها ان نبقى الفقراء والمساكين ونعودهم على التسول والتكفف امام الناس .

ان الناس كانوا ينظرون الى الزعماء وعظام الناس وكبرائهم ويتأثرون بأخلاقهم الفاضلة فمنهم من يحب لعظمهم أى صورتهم فيعملون تماثيلهم ولم يلبثوا الا وهم يسجدون امامهم ويعبدونهم . ان هؤلاء متبعو اللفظ . أما من ينظر الى المعنى فهو ينظر الى حسن عملهم وسيرتهم الطيبة . فيجعل خلقهم الكريم أسوة له

ان سنة الرسول ﷺ كانت اتباع القرآن وحل القضايا باستشارة كتاب الله وبموجب الظروف الراهنة على مستوى علم العصر، وكان يعنى بجميع أعماله العدل والاحسان والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وتوجد أمثلة عديدة أن رسول الله ﷺ يأمر بشيء فيأتي عنده رجل ويخبره ان فيه ضرر للناس . فيقول عليه الصلوة والسلام : فلا أذن

وقد نشأت منذ العصر النبوى فكرة اتباع اللفظ غير اننا نرى ان الأغلبية كانت تعرف المعنى وتقصده . ولما طال الزمن غلب متبعو اللفظ . وضعف متبعو المعنى . ولكننا نرى فى الفقه الاسلامى وفكره رجالا اقاموا ثورات ضد اتباع اللفظ . فهذا عمر رضى الله عنه كان يجتهد فى تعرف الحكمة التى نزلت فيها الآية ويحاول معرفة المصلحة التى جاء من أجلها الحديث ويأخذ بالروح لا بالحرف

أن الرسول صلى الله عليه و سلم كان يراعى فى كل عمله أوضاع زمانه ومقتضيات عصره . فلما أمر بالسواك كان معناه تنظيف الاسنان والفم . فبأى طريق نبلغ هذا المعنى فانما امتثلنا أمره عليه الصلوة والسلام . ولكنى سمعت اماما يخطب يوم الجمعة ان تنظيف الاسنان بالفرشة والمعجون لا يحقق السنة . وانما يجب ان نستاك بسواك من أراك . ونرى بعض الناس من متبعى اللفظ يضعون فى جيوبهم سوكا من أراك وعندما يقوم أحدهم للصلوة على المصلى يخرج السواك ويستاك به ثم يضعه فى جيبه ولا أرى فى عملهم هذا امتثالا لأمر رسول ﷺ . وليس هذا

من عمل التنظيف المقصود في شيء

وقد فشا في اعمال حياتنا اتحاد اللفظ وترك المعنى . فمن أراد أن ينظر هذه الظاهرة في حياتنا فلينظر الى تعليم الدين عند المسلمين . وحياتهم الدينية . فالمدارس والمساجد وتلاوة القرآن وكل ما يسمونه عبادة الله اسم ورسم ولفظ لايكاد يوجد تحتها معنى . فصدق عليه قول القائل بقي اللفظ وذهب المعنى

كلنا نعرف ان الحصان كان له اهمية بالغة في زمن رسول الله ﷺ وكان أثمن من البعير بكثير . وما كان عند العرب الا عدد قليل من الجياد . وكان نفعه في الحروب والأسفار معروف بلاشك . فلا غرابة اذ قال الرسول انما يعطى ثلاثة اسهم من الغنائم من يأتي الحرب على حصانه . ولم يأخذ الرسول على الخيل . ولكن جاء بعد ذلك زمان ربي الناس فيه الخيول فجاء اصحاب الخيل عند أميرالمؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله زكاة عمر رضي الله عنه في قبولها . قائلا كيف اخذ الزكاة على الرسول ﷺ عنها الزكاة ؟ فأبى أصحاب الخيول الا ان يتركوا اموالهم ويؤدوا زكاة الخيول قائلين : نحن نربي الخيول ونكسب من تجارتها اموالا كثيرة . ولا يحل لنا هذا المال الا ان نؤدي زكاته . فقبل عمر رضي الله عنه زكاة الخيل بعد رد وتردد وامتناع

ثم جاء عهد الامام ابي حنيفة رحمه الله تعالى وكان هو الآخر يهتم بالمعنى . فقال يعطى الفارس سهمين من الغنائم، وذلك لما كثرت الخيول فأنكر الامام الأوزاعي رحمه الله عليه حكمه قائلا ان الرسول ﷺ أعطى ثلاثة أسهم للفارس . والحق ان الفارس لوجاء في عصرنا هذا وادّعى انه يأخذ ثلاثة أضعاف من راتب الجندي ، لا يكون دعواه مقبولة . وانما نعطي اضعافا مضاعفة لمن يحسن سياقة الدبابة أو طائرة المطاردة أو طائرة قذافة وصدق الامام أبويوسف رحمه الله لما رد على الاوزاعي رحمة الله عليه قائلا : قد بلغنا عن رسول الله ﷺ ما قال

الأوزاعي . ولحديث رسول الله ﷺ معان ووجوه وتفسير لايفهمه ولا يبصره الا من اعانه الله عليه .

وقصارى القول ان تعليمات القرآن ترشدنا الى اعمال العقل وان نكون من أولى الالباب وان لانتنتهى الى اللفظ بل ننظر الى مافيه من المعنى ونتبع الاحسن منه وان لا نقصر عقولنا واعمالنا على اقوال السلف وأحكامهم غير مراعين تبدل الاحكام وتغيير الزمان . حتى نكون من عباد الله المخلصين

(عبدالرحمن الطاهر السورتي)

****

أخلاقيات العلم فى الاسلام

الدكتور عبد الفتاح عبد الله بركة
أستاذ مساعد بجامعة الأزهر القاهرة

الحمد لله الذى أوجد من عدم . و علم بالعلم . والصلاة والسلام من بعث برسالة العلم ،وتمم الأخلاق بأعلى مراتب الكرم . بمناسبة مطلع نعرف الله به حيث يقول الله تبارك و تعالى «اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق من علق . اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم . علم الانسان مالم يعلم» وهذه الآيات الكريمة التى كانت أول ما نزل من القرآن تحمل فيها من ذلك المعنى العميق الذى يختص بالعلم ولسنا نريد أن نشير ما يمكن استخراجه فى هذا المجال . بل نريد أن نشير الى ما يهمنا فى هذا البحث أن الاسلام كرسالة الهية . ودين ربانى يؤكد منذ البداية أن العلم نعمة من النعم العظمى التى يمن الله بها على عباده . فينسبه الى نفسه جل شأنه فهو الذى علم بالعلم . وهو الذى علم الانسان مالم يعلم . وهو بهذا يجعل الانسان حكما وفيصلا . وهاديا ومرشدا . ودليلا وقائدا . وصلة وثيقة بين الانسان وربه . وهو كذلك يعطى للعلم إطاره . ويحدد له مبدأه . ويبين له غايته

المقصود بكلمة «العلم»

ولعله ينبغى أن نبين المقصود بهذه الكلمة قبل أن نسترسل فى الحديث حتى لا يختلط الأمر على قارئه . لأن هذه اللفظة العربية تستعمل بمعنى عام المعنى الذى تعينه الحضارة المادية الحديثة وتزيد عليه . وكما يختلف مصطلح

يسماه العربي عن اللفظة المقابلة له في اللغات الغربية . كذلك يختلف كلمة العلم عما يقابلها من كلمات في هذه اللغات . فلقد درجت هذه اللغات استعمال هاتين الكلمتين طريقة تفصل بينهما . وتحدد لكل ميدانه الذي يلزمه لا يتجاوزه أو يتعداه . وقد يكون ذلك راجعا الى مفهوم الدين عندهم . وعلوم كثيرة ذات جذور تاريخية ساعدت على ان يصعو العلم في معامل الدين . اما الدين طريقة صعبة غير مباشرة أساسه العلمي . وأن يسلبوا العلم كذلك وجهه الديني . وهذا المفهوم عندهم لا ينطبق على الاسلام كدين . والعلم بناء على ذلك تلك الانفصالية التي رسمتها الحضارة الغربية الحديثة بين العلم والدين

وهذا الاختلاف في المفاهيم هو الذي يجعل من الضروري أن نحدد مقصودنا من كلمة العلم

فالعلم كما هو في الحضارة الغربية قد حصر نفسه في دراسة العالم المحسوس الذي يخضع أو يمكن أن يخضع للتجارب والمشاهدة . ومع ذلك أنه أصبح لايعتمد الاعلى الواقع الذي تدركه الحواس . وأصبح بحيث ينبذ كل ما لا يخضع للتجارب والملاحظة والمشاهدة وينظر الى العقائد الغيبية باعتبارها أوهاما والى مقتضيات العواطف البشرية المختلفة باعتبار أنها مضللة تحول بين صاحبها وبين الوصول الى أحكام موضوعية محايدة

وبهذا خرج العلم من اطار الدين وهيمنته وتوجيهه . وكف يد الدين أي دين عن وضع مبادئه أو رسم حدوده أو تبيين أهدافه ووسائله . ورغم أنه نال بذلك الحرية المطلقة التي لابد منها لازدهاره وتقدمه .ثم رغم أنه سوف يوصل الى معرفة الحقيقة بغير أن يقع تحت تأثير خارجي أوغيبي لا يخضع للحس والتجربة والمشاهده

وليس من مهمتنا في هذا البحث أن نظهر أنه مثل في ذلك كله . فقد تكفلت بذلك بحوث علمية أخرى كثيرة .

وانما يهمنا أن العلم في المحيط الاسلامي لم يتعرض لمثل هذا الانحراف في الفهم والتحديد . بل لعله تعرض للون آخر من التطرف في ظروف تاريخية محدودة . فأصبح ينظر اليه على أنه ما كان يتصل بالعلوم الدينية مباشرة من عقائد وتفسير وحديث وفقه وما يدور حولها من علوم . لكن هذه النظرة الضيقة المتطرفة . لم تسد في المجتمع الاسلامي الا في فترات الجمود والانتكاس لمقتضيات وأسباب مختلفة

ومع ذلك فالعلم في الاسلام ليس هو ذلك العلم الذي يدرس مسائل الدين وحده . وليس هو العلم المادي وحده . بل هو أعم من كل منهما لذلك كانت وسائل تحصيله أعم من تلك الوسائل التي اعتمد عليها [illegible] ملاحظة وتجربة واستنباط يقول صاحب العقائد النسفية [illegible] أسباب ثلاثة . الحواس السليمة . والخبر الصادق . والعقل . و [illegible] شارحه [illegible] بأنه صفة يتجلى بها كل مايمكن ذكره والتعبير عنه.ثم يقول:أنه يعني التجلي على الانكشاف التام الذي لايحتمل الظن . لأن العلم عندهم مقابل للظن ١٠١ فنحن هنا أمام مجال فسيح للعلم . وأما وسائل تتناسب مع اتساع المجال الذي تنبسط فيه العلم

ولهذا نجد أحد علماء المسلمين يقول ٢٠١ العلم الذي أمر به القرآن الكريم هو جملة المعارف التي يدركها الانسان بالنظر في ملكوت السموات والأرض ، وما خلق من شيء ويشمل الخلق هنا كل موجود في هذا الكون ذي حياة أو غير ذي حياة .«أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء . (الأعراف ١٨٥) ثم يقول : فالعلم في الاسلام يتناول كل موجود وكل مايوجد ممن الواجب أن يعلم . فهو أعم من العلم الذي يراد لأداء الفرائض والشعائر .

ويقول الدكتور محمد يوسف موسى ان مدلول تعريف العلم كما هو في

المصطلح العربي SCIENCE هو بعض ما يطلق عليه لفظ العلم عند المؤلفين الاسلاميين . فقد جاء حاشية الشامي على السعد أن أسماء العلوم المدونة تطلق على ادراك القواعد عن دليل كما تطلق على معلوماتها . وهي القواعد التي يقوم عليها الدليل . و على الملكة الحاصلة من ادراك القواعد مرة بعد أخرى . أعني ملكة ستحصارها متى أريد

وحقق السيد الجرجاني ان العلم في اطلاقه على الاوراك

وحقق السيد الجرجاني أن العلم في اطلاقه على الادراك يكون حقيقة لغوية . وفي غير ذلك اما حقيقة عرفية . أو اصطلاحية . أو مجاز مشهور ٢

ومن الواضح أن كلمة القواعد وكلمة الدليل هنا مطلقة أعم من تلك التي يعتمد عليها العلم في المصطلح العربي . ولذلك يمكن القول بأن اطلاق العلم على المفهوم العربي يعتبر حقيقة عرفية أو اصطلاحية على حد تعبير السيد الجرجاني ٤

وللامام الغزالي في هذا المجال شيخ طويل يقول في كتابه أحياء العلوم الدين تحت عنوان بيان العلم الذي هو فرض كفاية . أعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره الا بذكر أقسام العلوم . والعلوم بالاضافة الى الفرض الذي نحن بصدده تنقسم الى : شرعية . وغير شرعية

وأعني بالشرعية . ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم و سلامه ولا يرشد العقل اليه مثل الحساب . ولا التجربة مثل الطب . ولا السماع مثل اللغة

ثم يتحدث عن فرض الكفاية من هذه العلوم فيقول : اما فرض الكفاية فهو كل علم لايستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كا لطب . اذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان . وكالحساب فانه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما . وهذه هي العلوم التي لوخلا البلد عمن يقوم بها حرج اهل البلد . واذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين .

فلا يتعجب من قولنا . ان الطب والحساب من فروض الكفايات . فإن
أصول الصناعات أيضا من فروض الكفايات . كالفلاحة والحياكة والسياسة

وقد بين قبل ذلك ما هو من فروض الأعيان مما يلزم كل فرد فرد من
واجبات العبادات . وفي هذا النص يتبين جلاء أن العلم بمعناه التجريبي الحديث
داخل في دائرة العلوم بمعناها الإسلامي . بل بمعناها الديني في الإسلام حيث
يعتبر من الفروض التي يفرضها الإسلام على أتباعه . وإن كانت على سبيل
الكفاية حيث تسقط المسئولية عن المسلمين . إذا تكفل بها من يكفي لسد حاجة
المجتمع الإسلامي لها . مع أنها قد ينظر إليها باعتبار أنها أمور دنيوية . وأنها
لذلك بعيدة عن نطاق الدين وتوجيهه ؛ ولكن هذه النظرة ليست إسلامية

إن الإسلام قد جاء ليبطل الثنائية التي تعتبرها مقدمة لما تكون في
وباعتبار أن شخصية المسلم لا تنقسم بين ما هو أخروي وما هو دنيوي
منهما يرتبط بالآخر على صورة تتكامل بها شخصية المسلم دون تعارض

وإذا أمكن تسمية بعض العلوم بالعلوم الدينية . وأخرى بالعلوم الدنيوية فما ذلك
إلا باعتبار الصلة التي تربطها بالدين من كونها مباشرة أو غير مباشرة . لا
باعتبار أن بينهما انفصالا . أو أن لكل منهما طريقه الخاص به الذي لا يسمح
للآخر بالتدخل فيه أو الاتصال به . ومن هنا يقول الغزالي ولعمري إنه
متعلق أيضا بالدين ولكن لا بنفسه . بل بواسطة الدنيا . فإن الدنيا مزرعة الآخرة
ولا يتم الدين إلا بالدنيا . والملك والدين توأمان .

وإذا كانت العلوم التجريبية في محيط الإسلام علوما دينية تمهيدا لاعتبار
فإنها كذلك علوم دينية علوم دينية باعتبار كونها عملا يتقرب به إلى الله تعالى .
فإن كل علم عمل . فإنه فعل مكتسب . وليس كل عمل علما . والطبيب يقدر على
التقرب إلى الله تعالى . فيكون مثابا على علمه من حيث إنه عامل لله سبحانه و
تعالى به . والسلطان يتوسط بين الخلق لله . فيكون مرضيا عند الله سبحانه ومثابا .

لامن حيث انه مكمل علم الدين ، بل من حيث هو متعلق بعمل يقصد به التقرب الى الله عزوجل بعلمه ~

مبـــــدأ العلم وغايته .

والحقيقة ان هذه التقسيمات تقسيمات فرعية عقلية تنشأ من تدقيق النظر و تعميق البحث . ولها اعتبارها الكبير في موضعها . ولكن النظرة المبدئية الى العلم في الاسلام كانت تفرق بين ما هو دنيوى . وما هو دينى . بغير اعتبار بالتمييز أو التفريق الا ما كان من اعتبار العلم ـ مطلقا ـ سبيله الى معرفة الله والتقرب اليه . فما كان على هذا الأساس كان علما اسلاميا بمعنى أن الاسلام يقره ويثيب عليه . ويعتبره علما صحيحا مقبولا . وما لم يكن على هذا الاساس لم يحظ بهذه المرتبة . وان كان في نفسه علما صحيحا مطابقا للحقيقة الواقعة . ذلك لانه لم يكتمل له مرحلة الأخيرة وهي هدايته الى الله أو استعمال له في سبيل الله

فمفهوم العلم في الاسلام يتجلى في مثل قوله تعالى ﴿وعلم ادم الأسماء كلها﴾ البقرة ٣١ وقوله تعالى ﴿كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم اياتنا و يزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون﴾ البقرة ٢٣٩ و قوله تعالى ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾ النحل ٧٨ و قوله تعالى . ﴿وقال لهم نبيهم ان الله قـــد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم﴾ (البقرة ٢٤٧) وقوله تعالى ﴿ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا﴾ (الحج ٥) وقوله تعالى ﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم﴾ (غافر ٨٣) فهذه الآيات تذكر العلم بمعنى أعم من العلم الذى يتصل بالدين مباشرة . وهناك آيات كثيرة مثلها ؛وأخرى يمكن لمن يريد أن يقصرها على العلوم الدينية مباشرة عدم تذكرها . وان كنا نفضل ان ننظر

إليها في ضوء مثل هذه الآيات العامة إلا ما يدل على حقيقته وهناك من الآيات ما يشير إلى أنواع معينة من العلم خاصة تلك العلوم العملية التجريبية مثل مما علمكم الله.(المائدة ٤) ومثل قوله تعالى «هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون . (يونس ٥) وقوله تعالى «وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون . (الأنبياء ٨٠) وقوله «يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء . (النمل ١٦) و آيات أخرى غيرها

والآيات التي تحض على العلم بمختلف فروعه وأنواعه . أو بمفهومه الشرعي وغير الشرعي على حد تقسيم الإمام الغزالي كثيرة مشهورة جدا التي تحض على الرؤية وعلى النظر . ولا يتسع البحث لذكرها

لكننا عند ما نبحث مثل هذه النصوص نقرأ بينها وما تشير إليه من . أسسه و ... أن العلم الذي تحدث عنه الاسلام يصدر عن مبدأ أساسي التوحيد . أو هو الله جل وعلا . وأن بناءه على هذا الأساس هو الذي يضمن له استقامته وسلامة قواعده ومدلولا . وأنه إذا ابتعد عن هذا الأساس انحرف في اتجاهه وأسلم إلى قواعد قد تكون صحيحة في ظاهرها . لكن هذا العقل لشيء في أساس يجعل باطن هذه القواعد غير مستقيم . فهذه النصوص حينما تشير إلى آيات الله الخلق بكل صوره وأشكاله وأنواعه تشير إليها في محيط كونها من خلق الله وحده لا شريك له . وإلى كونها على أحسن صنع وأتم خلق . وإلى كونها على أحكم وأدق تدبير. «وكل شيء عنده بمقدار» (الرعد ٨) «والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون . وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم (الحجر ١٩ ـ ٢١) «وخلق كل شيء فقدره تقديرا (الفرقان ٢) يدبر الأمر من السماء وخلق كل شيء فقدره إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف

سنة مما تعدون . ذلك الأرض ثم يعرج اليه في يوم ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم . الذي أحسن كل شيء خلقه» (السجدة ٥ ـ ٧) «الذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى . (الأعلى ٣ ـ ٤) «وصوركم فاحسن صوركم (غافر ٦٤) لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم» (التين ٤) ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » (المؤمنون ١٤) «ماترى في خلق الرحمن من تفاوت» (الملك ٣) ان ربك هو الخلاق العليم» (الحجر ٨٦) وغير ذلك من آيات كثيرة مختلفة الصيغ والأساليب

كما تدلنا هذه الآيات وأمثالها الى أن وسائل تحصيل العلم بهذه المعلومات أو بهذه العلوم انما هي هبة ومنه من الله وحده . فالسمع و البصر والفؤاد والعقل «القلب وغيرها من آلات العلم والادراك والمعرفة كلها هبه ومنه من الله وحده

وأن العلم الحاصل بها انما يرجع الى الله وحده فهو الذي «علم بالعلم علم الانسان مالم يعلم» (العلق ٤ ـ ٥) وهو الذي «خلق الانسان . علمه البيان» (الرحمن ٣ ـ ٤) وهو الذي أعطى كل شيء «خلقه ثم هدى» (طه ٥٠)

فبداية كل علم وأساسه ينبغي أن يكون من هذه النقطة . يستوى في ذلك أن يكون هذا العلم علما شرعيا أو علما غير شرعي . ولسوف نجد أن كثيرا من العلوم الحديثة (٩) قد فرط في هذا الاساس . وأنه لذلك يتعثر في كثير من مسائله وفروعه

وكما دلتنا مراجعتنا لمثل هذه النصوص على المبدأ الذي ينبغي أن يكون للعلم في نظر الاسلام . فان مثل هذه المراجعة سوف تدلنا على الغاية التي ينبغي للعلم أن يقصد اليها ولقد أشارت آيات خلق آدم عليه السلام الى ذلك حين قال تعالى «واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء و نحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم مالا

تعلمون وعلم آدم الأسماء كلها» (البقرة آية ٣٠ ـ ٣١) فالعلم شرط تحقيق الخلافة في الأرض . ومعنى ذلك أن تدبيرها واستعمارها والعمل فيها لله الذي استخلف الانسان فيها . وأن هذا التدبير والاستعمار والعمل مبني على هذا العلم الالهي . الذي يستمده الانسان من الله . وذلك كما عرفنا مرتبط بمبدئه ومادته ووسيلته . وبهذا يصبح العلم مبدأ وغاية . ومادة وأداة عمله رب العالمين . ولسوف نجد أن كثيرا من العلوم الحديثة قد غفلت عن هذه الغاية واستعملت العلم لتحقيق غايات أخرى مقطوعة الصلة بهذه الغاية العليا . وأنها لذلك تؤدي الى غايات محبطة . وتثمر في النهاية ثمرا مرا

وينبغي أن نلاحظ أننا حين ذكرنا المبدأ والغاية قد تخطينا وغايات وسطى . اختصارا للبحث وعلما أن هذه الوسائط من مبادئ سوف تنتهي في آخر المطاف الى هذا المبدأ الأعلى والغاية العليا ـ انسانية العلم الالهية :

وهذه النسبة الالهية التي للعلم . مبدأ وغاية ومادة ووسيلة لا تسلب من العلم انسانيته . وانما تحققها في أعلى مستوياتها . وأرقى صورها

ذلك لأنه اذا لم يستقر في أساسه على هذا المبدأ الالهي . فانه لا يمكن أن يستقر على مبدأ موحد أبدا . بل لا بد أن تختلف عليه المبادئ . تبعا لاختلاف العلماء في عقائدهم وميولهم . وتبعا لاختلاف الثقافات والبيئات . بل أكثر من ذلك ـ تبعا للمذاهب السياسية المختلفة (والتي يتحكم فيها ـ غالبا ـ هوى الحكام سواء كانوا في صورة فردية أو في صورة جماعية حسب نظم الحكم المختلفة . بل ربما تتحكم فيها عواطف العالم والباحث نفسه فتلون بحثه وعلمه بلون خاص وصبغة خاصة بحسب ما يحب أو يكره ـ وبحسب ما يستحسن أو يستقبح . الى غير ذلك من ألوان التحيز . ولعل الأمثلة في ذلك من الوضوح

بحيث تثير كثيرا من العجب . فعلم النفس مثلا حين يدرس في الشرق يدرس على أساس المبادىء الماركسية. ولكنه في العالم الغربي يدرس على أساس مختلف . وكذلك علم الاجتماع يدرس على أساس المبادىء الماركسية في العالم الشيوعي . ويدرس على أساس آخر في العالم الغربي . وهنا كذلك يدرسان في هذين المعسكرين على أساس مبادىء تختلف عن تلك المبادىء التي يحترمها العالم الاسلامي . والذي تستمدها لامن فكر فلان . ولا من هوى فلان . ثم ان العالم الثالث الذي لم يستقل بعد بعلومه سوف يكون له دوره في توجيه مثل هذه العلوم حين يتخلى عن تبعيته العلمية لهذا المعسكر أو ذاك وفقا لاتجاهاته و مبادئه التي سيسير عليها . بل اننا نشاهد في هذين العلمين من النظريات والتعبيرات ما يتبع مزاج العلماء في كثير من الاحيان . وان كان ذلك لا يجردهما كلية مما فيهما من حقائق علمية ثابتة

ولسوف نجد كثيرا من النظريات التي نسبت الى العلم . وهي في الحقيقة نظريات عرقية وعنصرية . تستخدم العلم لفرض نتائجها . وتحقيق آثارها وفقا لمبادىء سياسية أو مطامع اقليمية .

ولا يصح أن يقال ان العلوم المادية التي تخضع للتجربة والملاحظة وتكرار المشاهد بعينها كلما تكررت التجربة . لايقع فيها مثل هذا الخلط وهذا الالتباس . بل قد يقع فيها مثل ذلك . وكم ظهرت أمور تبين منها كيف زيف بعض العلماء بعض الاحصائيات وما يترتب عليها من نتائج توصلا الى ترسيخ فكرة معينة أو مبدأ معين حتى ظهر زيفها أوظهر ـ على الأقل ـ عدم اعتمادها على أساس صحيح وذلك مثل النظرية الدارونية والنظرية الفرويدية . (١١) وكالنظريات التي يريدون اشاعتها اليوم بين المسلمين خاصة والبلاد النامية عامة عن تكاثر السكان ووقوع كارثة انسانية بناء على قصور الموارد . (١٢)

واختلاف المبادىء الذي يؤثر في اختلاف العلوم واضطرابها لايساعد

على أن تصبح هذه العلوم عاملا على جميع الانسانية وتأليفها . والارتفاع الى أفق الكرامة التى هيأها لها الخالق جل وعلا . ومن هنا كانت الهيئة المادية التى تبنى العلوم على أساسها عاملا مهما فى أن تكون هذه العلوم ما انسانية بمعنى أن تكون عامل ألفة ومودة وسلام بين بنى البشر .

وكما يقال ذلك بالنسبة للمادية يقال مثله وأكثر منه بالنسبة للغايات . خاصة تلك الغايات العليا . التى تتجاوز تلك الغايات الوسيطة . فالاختلاف فى الغايات الوسطى لاضير فيه ولا ضرر منه . مادام محكوما فى النهاية بغاية عليا . واذا كانت الغاية العليا التى تحكم هذه الغايات الفرعية ـ غاية الهيئة كما حددها الله و رسوله فان كل الغايات الوسطى سوف تتعاون وتتكامل ليصبح المجتمع موحد الهدف موحد المشاعر . مترابط الافكار والعواطف مع تنوع أنواع وتشعب سبل العمل . وازدهار عوامل التقدم والرقى . دون أن يحد هذا من النشاط و ميادين العمل . ووسائل الازدهار معارضا أو مناقضا . ودون أن يمد الشقاق والخلاف والعداوة . ودون أن يثير عوامل الانانية والاثرة . والتعالى والاستكبار . ذلك لأن الغاية الأخيرة . أو الغاية العليا تقوم بالتنسيق بين مختلف الغايات الفرعية . أو الغايات المحلية والاقليمية والعرقية

أما اذا اختلفت تلك الغاية العليا . أو اختفت وراء زحام الغايات المحدودة . فمن المتوقع أن تصبح الغايات مختلفة باختلاف القبائل والشعوب والأمم . وأن تختلف تلك الغايات فى الشعب الواحد بين أفراده وأن يقف هذا الاختلاف فى الغايات اختلافا فى وسائل تحقيقها و تحصيلها والوصول اليها وأن يقع فى المجتمع الانسانى من التعارض والخلاف بقدر ما بين هذه الغايات المحدودة من التعارض والخلاف . وأن تتدخل عوامل الأنانية والأثرة الفردية والعرقية لتثير نيران العداوة والبغضاء . خاصة اذا تدخلت الاهواء الشخصية والنعرات السياسية لتحدد أهدافا وغايات لا تراعى فيها غير نطاق محدود . والطار

ضيق يمليه ضيق أفق الانسان من حيث هو انسان . وقصر نظره الذى تمليه عليه حدود الزمان وحدود المكان . وحدود الذاتية القاصرة التى تتعالى وتستكبر فى الأرض بغير الحق

ولو قلبنا النظر فى معظم ما ينتجه العلم اليوم لوجدنا حظ الفكر والروح فيه قليلا . و لوجدنا للناحية المادية فيه حظا جزيلا

فاذا أردنا أن نلقى نظرة على تلك العلوم التى تهتم بالجانب الفكرى والروحى وجدنا أنها متأثرة كل التأثر بتلك الغايات المحدودة المختلفة . ولاشك أن القارىء يوافقنى على أن الاسلام كدين له جوانبه الفكرية والروحية العميقة قدعانى ومازال يعانى من تلك البحوث الغربية التى خطط لها فى ضوء أفكار وغايات استعمارية وصليبية وصهيونية والحادية عاتية . وأن صورته لازالت تعانى من التشويه والتزييف حتى بين أبنائه وشعوبه الذين ورثوا الاسلام كابرا عن كابر .

واذا انتقلنا الى العلوم المادية وهى فيما يظن بعيدة عن التأثر بمثل هذا الاختلاف فى الغايات وجدنا أنها لاتخلو من مثل هذا التأثير اما بطريقة مباشرة واما بطريقة غير مباشرة . بطريقة مباشرة كما اذا أريد تصدير معلومات زائفة الى الآخرين بغية الاحتفاظ والاستئثار بعناصر التفوق والغلبة المادية . ويشمل ذلك كثيرا من فروع العلم حتى فى مجالات الصحة البدنية والنفسية . لا فى مجال استخدامات الاسلحة الحربية فحسب . وبطريقة غير مباشرة كما يحدث بعد البحوث التجريبية نفسها فى اثناء عمليات التحليل أو التركيب . وخاصة فى الناحية التطبيقية ومحاولة فرض نتائج قد تصلح لغرض محدود على شعوب وأمم ليس لهم فى هذا الفرض مصلحة . وانما يقعون فيه فريسة لتحقيق اغراض شعوب أخرى . اقتصادية أو عسكرية أو سياسية .

وليس أقل من أن العلم يتقدم فى هذه المسائل العرضية المادية . و يهمل اهمالا يكاد يكون كاملا جوهر الانسانية فى الانسان . ولذلك ينهمك فى كثير من

التفريعات والتقسيمات التى توغل بالعلم فى المادية الخالصة وتحمل بعمل الهيكل الكلى الذى يجمع فى اطاره كل هذه التفريعات والتقسيمات لبوطر الشخصية واملامح الانسانية السامية

ولقد انحرفت العلوم المادية بناء على هبوط مستوى الغايات التى سهدف اليها لكى تصبح وسيلة من وسائل الدمار . فى الوقت الذى تعمل فيه لكى تكون وسيلة من وسائل البناء والاعمار . وأصبحت هذه مشكلة المشاكل فى الحضارة الغربية الراهنة التى تعمل من أجل رفاهية الانسانية وتقدمها . وهى تهدد العمل عيه تتبنى عوامل هدمه وتحطيمه وابادته . نظرا لتلك الغايات الأنانية . واستعمال العلم المادى لتحطيم معنويات الآخرين سلاح يمكن أن يرتد . لأن الانسانية فى جانب من العالم لايمكن أن يظل بمعزل عن التأثير حتى يعمل عليه و يجتهد فيه

ولسنا نريد أن نتعرض الى مدى الثقة التى يستحقها العلم التجريبى . فانه يكفينا منه أنه يعترف بانه علم تقريرى وصفى . يعتمد على الظواهر دون حقائق الأمور وكنهها . وانه لذلك نسبى غير مطلق ولا أبدى وأنه علينا أن نستفيد منه على ماهو عليه . لأن هذا هو ما يدخل فى وسعنا وطاقتنا . لكنه اذا أضيف الى ذلك وضعه فى خدمة هذه الاعراض والغايات المحدودة كانت نتائجه من حيث حقائقه التى يتوصل اليها أو تطبيقاته التى يستخدم فيها مفيدة لأصحابها فى تحقيق أغراضهم وغاياتهم . ولكنها ضارة بالانسانية فى مجموعها . محطمة لحضارة الانسان ومدنية فى حصيلة هذا النشاط العلمى الواسع .

ويخرج الانسانية من مأزق هذا التناقض بين بناء الحضارة بالعلم وهدمها بالعلم . أن تتناسق كل هذه الغايات فى اطار الغاية العليا . وهذه الغاية العليا هى ما حدود الله للانسان على هذه الأرض . بهذا وحده يمكن أن تتحقق للعلم انسانيته . والا توزعتهم الغايات المختلفة . والاهداف الحضارية .

العلم عبادة :

بهذا الاعتبار يكون العلم . بكافة فروعه شرعية وغير شرعية علما دينيا و يكون طلبه وتعلمه عبادة من العبادات . بل يكون عبادة من أكثر العبادات قدرا عند الله . فاذا تجرد من مثل هذه الاعتبارات فقد أصبح علما دنيويا . حتى ولو كان من علوم الشريعة

يقول فضيلة الشيخ محمد الغزالى .

«ان علوم الحياة مساوية لعلوم الآخرة فى خدمة الدين وتجلية حقائقه . غاية ما هنالك أن علوم الطبيعة تحتاج دراسات•أطول أما العلم بالدين فميسور لمن أخلص له أياما معدودات

واذا كان التوسع فروع الشريعة يحتاج مددا فسيحة . فهذا التوسع وظيفة اجتماعية كسائر الوظائف التى تستكثر منها الدولة أو تستقل وفق المصلحة التى تنجح رسالتها العليا

وليست دراسة الحقوق والقضاء أشرف فى ذاتها من دراسة الطب مثلا . ولو بلغ صاحبها مبلغ أبى حنيفة . وانما يرجح الرجل صاحبه فى علمه بمقدار ما يسخر هذا العلم لنفع الناس ابتغاء وجه الله . وانتظار ما لديه من مثوبة

ان الحاجز بين ما هو دين محض ودنيا محضة يرق وينكشف بحسب النية . وسلامة القصد ونبل الغاية»(١٣)

فهو بهذا الاعتبار عبادة،وهو من حيث هو مأمور به من قبل الله تعالى عبادة وهو بهذه الاعتبارات كلها من أفضل العبادات . وفى حديث الترمذى عن كثير بن قيس قال : رجل من المدينة على أبى الدرداء وهو بدمشق . فقال ما أقدمك يا أخى ؟ قال : حديث بلغنى أنك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : أما جئت لحاجة ؟ قال : لا. قال : أما قدمت لتجارة ؟ قال : لا. قال : ما جئت الا فى طلب هذا الحديث ؟ قال : فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة . وان الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم . وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء . وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب . ان العلماء ورثة الأنبياء . ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما . انما ورثوا العلم . فمن أخذ به أخذ بحظ وافر.(١٤)

وتوجد أحاديث كثيرة أخرى في فضل عبادة العلم . ويكفي ماورد القرآن الكريم به من فضل العلماء في مثل قوله تعالى «شهد الله أنه لا اله الاهو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط» آل عمران ١٨ . وقوله تعالى «هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون» الزمر ٩ . وقوله تعالى «انما يخشى الله من عباده العلماء» فاطر ٢٨

أخلاق العلم تستمد من هذه الاعتبارات :

في اطار هذه الاعتبارات تكونت أخلاقيات العلم في الاسلام . وسيكون لهذه الاخلاقيات من التقدير والاحترام والتمسك والالتزام ما كان لاصولها من هذه الاعتبارات

ولسنا نريد أن نسترسل في بيان هذه الاخلاق في جانب المعلم والمتعلم، وهناك كتب متعددة من التراث الاسلامي تعنى بهذه الناحية عناية فائقة و حسبنا من كتب التربية الاسلام الاسلامية . ولكننا نريد أن نتحدث عن الاخلاق العامة التي لابد منها حتى تتحقق للعلم انسانية .

واذا كانت هذه الاخلاق التي سنتحدث عنها مستوحاة من هذه الاعتبارات السالفة ، وهي ذات صبغة اسلامية خالصة فانها تصلح في حد ذاتها و بصرف النظر عن هذا الاطار لكي تكون دستورا للعلم وللعلماء . ولكي تقذ العلم المادي الحديث من هذا المأزق الحضاري الذي يبني فيه بيد ثم يهدم باليد الأخرى أكثر مما بناه . ذلك أنه يبني من جانب المادة يساعد في وجهه الآخر

على هدم الناحية الانسانية فى الانسان . مع اعلانه صباح مساء انه يقوم باكتشافاته وابداعاته لخدمة الانسان

وأول هذه القواعد الأخلاقية : الحرية

وليست الحرية أن توجد بحيث يمكن لك أن تختار . و انما بحيث تمارس فى نفسك و فكرك وعملك هذا الاختيار . فتكون الحرية مسألة ذاتية وجدانية أكثر من أن تكون مسألة بيئية خارجية . ووجود الفضاء حولك لا يعنى أنك تتحرك فيه . ولكن حركتك فيه تعنى أنك تستفيد بحركتك من وجود هذا الفضاء . وحريتك التى تنبع من ذاتك فتسيطر على مبادىء شاطلاء بما فى ذلك ميدان العلم يجعلك تحترم حرية الآخرين . وبذلك البحث والعلم حرا لا التزام فيه لشىء الاما يمليه على العالم وجدانه وفكرة وعلمه .

ولقد كان ذلك من أول ما نادى به الاسلام حيث طلب من الناس أن يتحرروا من ربقة التقاليد والاعتقادات والفرضيات التى لاتستند الى عقل أو الى حقيقة أو الى واقع . ونعى على المقلدين والكسالى الذين لا يريدون أن يمارسوا حريتهم باستعمال عقولهم وضمائرهم وباستعمال آلات البحث والعلم التى وهبها الله لهم . وباستعمال المواد التى خلقها الله لهم لينظروا ويبحثوا ويدرسوا

فيقول سبحانه وتعالى « واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولا يهتدون » البقرة ١٧٠ . ويقول « واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير » لقمان ٢١ . ويقول « واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لايعلمون شيئا ولا يهتدون » المائدة ١٠٤ . ويقول « وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » الزخرف ٢٣ .

فالعصبية الجاهلية للجنس واللون والمواريث الفكرية والحضارية التي تستند الى علم صحيح من المعوقات التي تنحرف بالعلم و تضلل أهله . والتي ينبغي أن يتحرر العلم والعلماء منها في كل فروعه ومسائله عامة . وفي الاصول الاساسية التي تمس صميم حياة الانسان من حيث هو انسان ـ خاصة

ولذلك يهيب القرآن بالانسان أن يستعمل هذه نفسه فيما يتيسر له من شئون العلم ويبادئ به أن ينظر في كل شيء يمكن أن ينظر فيه لا أن يقف جامدا بليدا مكتفيا بما تيسر له أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء ـ الاعراف ١٨٥.قل انظروا ماذا في السموات والأرض ـ يونس ١٠١ ـ يشير الى أشياء محدودة بعينها كما في قوله تعالى ـ أو لم ير الذين السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون . وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فلك يسبحون ـ الأنبياء ٣٠ ـ ٣٣ وقوله تعالى ـ ألم يروا الى الطير مسخرات في السماء ـ النحل ٧٩ أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ـ الملك ١٩ وقوله تعالى ـ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف الخلق ـ العنكبوت ٢٠ . وقوله ـ فلينظر الانسان الى طعامه ـ عبس ٢٤ وقوله فلينظر الانسان مم خلق ـ الطارق ٥ وقوله أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت . والى السماء كيف رفعت . والى الجبال كيف نصبت . والى الأرض كيف سطحت ـ الغاشية ١٧ . والآيات في هذا المجال كثيرة متنوعة . والمقصود بهذه الأمثلة هو ان الاسلام يريد أن يحرر الانسان لامن التقاليد حوله فحسب . بل من نفسه بحيث يستعمل هذه الحرية في البحث والنظر وتحصيل العلم بصورة مطلقة لا قيد عليها من خارج نفسه ولا من داخلها .

القاعدة الثانية : الحق والابتعاد عن الظن

فاتباع الحق والنظر اليه والعمل من أجل التوصل اليه هو الذى يقود البحث العلمى فى طريقه المستقيم . ويقيه مزالق الانحراف . ومهاوى الضلال أما الى الحق مرة . والغفلة عنه أخرى . أو العمل بغير نظر الى الحق مطلقا . فان ذلك لابد أن يؤدى الى اضطراب النتائج العلمية . أو اتخاذها مسلكا لا يتفق مع الفطرة الانسانية ويسوقها فى النهاية الى فى الوقوع فى حمأة الباطل أو التردى فى متاهة الضلال .

كما أن الاكتفاء بنصف الطريق والاعتماد على الفروض والتخمينات والظنون وحدها بغير تحقيقها والوصول الى غاية الحق فيها يؤدى الى النتائج السيئة التى أشرنا الينا

ولقد بين لنا الاسلام أن كل شىء فى ملك الله سبحانه وتعالى قائم بالحق وأننا لكى نتعرف الى ملك الله او الى أى شىء فيه لابد لنا أن نعتمد فيه على الحق وحده . وأن اتباعنا للحق فى اى شىء ندرسه سوف يقودنا الى الحق المبين وهو الله سبحانه كما يقول تعالى ويعلمون أن الله هو الحق المبين ـ النور ٢٥

أما أن كل شىء فى ملك الله سبحانه وتعالى قائم بالحق فقد اعلنه الله فى مثل قوله . وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق ـ الانعام ٧٣ . قوله « ما خلق الله ذلك الا بالحق ـ يونس ٥ . وقوله . « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحق ـ الحجر ٨٥ .

وأنه سبحانه ما أرسل رسله ولا أنزل كتبه . ولا شرع شرائعه الا بالحق ـ «انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ـ النساء ١٠٥ . كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ـ البقرة ٢١٣ .

ولذلك كان الأمر بالتزام الحق فى كل الامور . والامر بعدم اتباع الظن . أو الاعراض عن دلائل الحق أو التقول بالباطل فيما اتضح فيه وجه الحق . ليحق

الحق ويبطل : ـ الانفال ٨

أما التزام الحق واتباعه ففي مثل قوله تعالى «فاحكم بين الناس بالحق» ص ٢٦ . وقوله «والله لا يستحي من الحق» الأحزاب ٤ . وقوله «الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر» العصر ٣

وأما عدم اتباع الظن ففي مثل قوله تعالى «ان الظن لا يغني من الحق شيئا» يونس ٣٦ . وقوله «ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون» الانعام ١١٦ وقوله «ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين» الجاثية ٣٢ . وقوله «وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون» الجاثية ٢٤ . وقوله «يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن» الحجرات ١٢ . وقوله «ومالهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا» النجم ٢٨

وأما عدم الاعراض عن دلائل الحق ففي مثل قوله تعالى «بل أكثرهم لايعلمون الحق فهم معرضون» الانبياء ٢٤ . وقوله «لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون» الزخرف ٧٨ . وقوله «سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق» الاعراف ١٤٦

وأما عدم التقول بالباطل ففي مثل قوله تعالى «مايكون لي أن أقول ماليس لي بحق» المائدة ١١٦) وقوله «ولا تقولوا على الله الا الحق» (النساء ١٧١) وقوله «ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب الا يقولوا على الله الا الحق» (الاعراف ١٦٩)

وبعد ذلك كله «فماذا بعد الحق الا الضلال» (يونس ٣٢)

القاعدة الثالثة: التجرد عن الهوى

«ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن» (المؤمنون ٧١) ذلك لأن الهوى يختلف من فرد الى فرد ، ومن أمة الى أمة ، بل يختلف باختلاف المزاج ، وهو تقلّب لا استقرار له ولا ثبات ، وعندما يتدخل في المسائل العلمية فانه يوجهها بما يتفق مع اتجاهاته المتقلبة . فلا يثبت

علم ، ولا يستقر حق .

والهوى يعتمد على الحب والكراهية والغضب والرضا ، والحاجة الى الآخرين أو التعالى عليهم ، والرغبة فى أعراض هذه الحياة من الدنيا من ثروة أو جاه ، أو نفوذ أو شهرة او غير ذلك ، ومن الممكن تسخير العلم لتحصيل شيء من ذلك ، ولا شباع بعض هذه العواطف أو هذه الميول ، لكنها عندئذ تكون قد انحرفت عن القاعدة السابقة وهى ابتغاء الحق وحده بصرف النظر عن الرغبات الخاصة ، الفردية ، أو القومية ، فاذا اتبع العلم الهوى ، كان افساده أكثر من اصلاحه ، وكان تخريبه وتدميره أكثر من بنائه وتعميره ، ولذلك كان النهى عن اتباعه فى كل الامور لازما وهى ميدان العلم على وجه الخصوص أكثر لزوما

وكثيرا ما وضع العلماء الفروض وسخروا الأداة العلمية لتحقيقها والتوصل اليها لأنها تتفق مع ميولهم ، وتنسجم مع أهوائهم : فلما ذهب سلطانهم وتغيرت دولة نفوذهم وخلفهم على البحث آخرون أظهروا زيف ما حققوه ، وهدموا ماكانوا قد بنوه ، ووضعوا فرضا جديدا ، وتحقيقا جديدا ، وفى ذلك من تعويق التقدم العلمى مافيه ، فوق مافيه من تضليل و تزييف لا يليق.(١٥)

لذلك كان نهى الاسلام عن اتباع الهوى فى مثل قوله تعالى : فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ـ النساء ١٣٥ ، وقوله ـ ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ـ ص ٢٦ . وقوله ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ـ القصص ٥٠ . وقوله ـ وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم ـ الأنعام ١١٩ وقوله ـ بل أتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم ـ الروم ٢٩ . وقوله ـ أفمن كان على بينه من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم ـ محمد ١٤ .

ومن مثل هذه الآيات يتبين لنا أن الاسلام يعتبر أن الهوى آفة العلم ، وأن ما يأتى عن طريق الهوى لا يكون علما صحيحا ولا مقبولا وانه لذلك يجب أن نرفض كل مايأتى به الهوى سواء كان هوى شخصيا أو كان هوى الجماعة

المحيطة . ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون» الجاثية ١٨ . «ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل فأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل » المائدة ٧٧

واتباع الهوى في العلم يثير العداوات ويشعل نيران الخصام لتعارض الاهواء واختلافها فوق مافيه من تزييف العلم وتضليل العقول

القاعدة الرابعة :الأمانة وتكامل المنهج

وليست الأمانة قاصرة على نسبة الافكار والعلوم لأصحابها فحسب. ولكنها تشمل عمل العالم نفسه في بحثه وحكمه.وفي تحرينه واستنباطه.ذلك لأن الناس تعتمد على العلماء في ميدان علمهم . فيأخذون أحكامهم واستنتاجاتهم بأخذ الثقة والتقدير ثم يبنون عليها آراءهم الشخصية أو تصير قاعدة العامة في شئون فكرهم وثقافتهم وصحتهم وتجارتهم . وسائر ترحالهم . وغير ذلك من شئون الحياة . ذلك يجب على كاهل العلماء الأمانة في أن يتحروا في بحوثهم وفيما يقدمونه للناس من نتائج هذه بحث الدقة والصحة من جانب . وما يفيد الناس ويجلب اليهم النفع دون ضرر . أو بأقل ضرر يمكن . بحيث ترجح الفائدة على المضرة . وبحيث لا يهدم في الانسان انسانيته. ولا يفسد علاقاته أو اخلاقه وبحيث لا يضلله ولا يخدعه ولا يلبس الحق بالباطل . وبحيث لا يطلق خيل الاماني الكاذبة والاحلام التي تعطل عقله وفكره . وتزيف عاطفته ووجدانه وتلاعب بأهوائه وخيالاته . و تثير فيه أدنى الغرائز وأعتاها

ولذلك كان المنهج المادي البحت منهجا أعرج . لانه يتجاهل الجوانب الأخرى في الانسان . ذلك لان قوانين المادة قابلة للتطبيق في مجال المادة الجامدة فقط . أما تطبيقها على الانسان . فلا يمكن أن يكون تطبيقا كاملا . لانه ليس مادة خالصة . كما أن مادته ليست منفصلة عن بقية مكوناته كانسان حتى يمكن الاقتصار عليها عند التطبيقات المادية .

ومن الأمانة اذن أن يعطي لكل ذي حق حقه . فيعطي للمادة حقها من

المنهج المناسب لها . ويعطي للانسان حظه من المنهج المناسب له . وعندئذ يتكامل المنهج الذى يحقق للانسان أساسه في محيط المبدأ والغاية السليمة

ولذلك نجد القرآن ومنهج الاسلام التشريعي والاخلاقي في اطار العقيدة العليا يشتمل على المنهج المتكامل وتخاطب الانسان بهذا المنهج وترشده اليه في كل أموره دنيوية أو أخروية . فردية أو اجتماعية . علمية أو فنية . فلا نكاد نجد آية الا وهي تجمع بين الناحيتين . حتى في الجزاء الاخروى الذى يعيبه بعض المعترضين على الاسلام بزعم أنه يتحدث عن الثواب والعقاب المادى . مع أنه مما يزين الاسلام وأهله . أنه لا يهمل جانبا من جوانب فطرته الا ويعطيها حقها بطريقة متكاملة غير منفصلة عن باقي جوانبه

والاسلام لهذا يحرم الغش والخداع والسحر والكهانة والشعوذة وتلبيس المسائل تضليلا للناس . ونشر الفساد في الارض

والآيات في ذلك كثيرة نكتفي منها كما فعلنا من قبل بأمثلة تدل على المراد

يقول سبحانه وتعالى « واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر» البقرة ١٠٢

ويقول « ودّ الذين كفروا أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق» البقرة ١٠٩ . ويقول « واذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها الحق» البقرة

ويقول« ودّ الذين كفروا أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق» البقرة ١٠٩ . ويقول « واذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد» البقرة ٢٠٥ . ويقول : « ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل» ويقول «ولا تعثوا في الأرض مفسدين» البقرة ٦٠ .

آيات أخرى متعددة . ويقول : « والله يعلم المفسد من المصلح » البقرة ٢٢٠ .
ويقول تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا فى الأرض ولا فسادا »
القصص ٨٣ . ويقول : « ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا
كتاب منير . ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله » الحج ٨ ـ ٩ . ويقول « قل يا أهل
الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وانتم شهداء » آل عمران
٩٩ . ويقول الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله
ويبغونها عوجا » ابراهيم ٣ . ويقول « ولا يفلح الساحرون » يونس ٧٧ . ويقول « إنما
صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى » طه ٦٩ . ويقول « كذلك يضرب
الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض
كذلك يضرب الله الامثال » الرعد ١٧

ويمكن أن نستأنس هنا ببعض الاحاديث الشريفة يقول صلى الله عليه و
وسلم فيما رواه الطبرانى « ما أكتسب مكتسب مثل فضل علم يهدى صاحبه الى
هدى أو يرده عن ردى وما استقام دينه حتى يستقيم عقله »

ويقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذى عن أبى أمامه الباهلى
« إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت فى
جوف البحر ليصلون على معلم الناس الخير »

ويقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم عن أبى هريرة « اذا مات ابن
آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية . أو علم ينتفع به . أو ولد صالح
يدعو له »

القاعدة الخامسة : الصدق وتجنب الجدال .

وللصدق فى العلم خطورته التى لاتدانيها خطورة خاصة فى هذه الايام
التى ظهرت فيها علوم خاصة بالاعلام وكيفية التأثير على الرأى العام وتكوينه
وتوجيهه ؟ ولقد أصبح هذا العلم بفروعه المختلفة قادرا على تحطيم دول وأقامه

أخرى . واشتعال الحروب واخمادها . وبناء مبادئه وهدمها فاذا سيطرت عليه ووجهته نفوس خربة غير عامرة بالصدق فان آثاره التى تحيق بالانسانية تكون بعيدة المدى عميقة الضرر . ومن هنا لم يكن الصدق مجرد مطابقة الخبر للواقع بل ينبغى أن يكون فى هذا المجال مطابقة الحكم والعمل لمقتضى الحال . فأن يكون العالم صادقا يأديه ذى بدء مع نفسه . ومع انسانيته . ومع مبادئه التى يختارها بمقتضى هذه المبادئه من حرية وحق نفسه . وحق وتجرد

فان صدق العالم مع نفسه ضرورى حتى يكون بحثه وعلمه فى نفع الانسانية و تقدمها . وفى بناء الحضارة وازدهارها . واذا كان هناك تعارض أو تناقض بين بحثه وبين أعماق نفسه فانه يصبح ممزق الشخصية . ومحطم المعنويات . وعندئذ لايبالى خلال بحثه بما يتفق مع خير الانسانية وسلامها . وأمنها ورفاهيتها . لأنه لايشعر مع نفسه بالسلام والاطمئنان .

ومثل هذا الشعور يدفعه دائما الى المكابرة والجحود والمجادلة بالباطل مما يضيع معه الحق . وتنطمس معالم الحقيقة . ولاتكاد تجد صادقا يميل الى كثرة المراء والجدال . كما انك لاتكاد تجد كاذبايحجوس رذيلة المماراة وتلبيس الحق بالباطل . ولاشك أن ذلك لايساعد على تقدم العلم وازدهاره فوق أنه يتسبب فى تضليل الناس وحيرتهم . وبذر عوامل الشك والريبة فى نفوسهم ونزع عوامل الطمأنينة والاستقرار من بينهم

ونؤكد مرة أخرى على ذلك المارد الجديد من انتاج العلم الحديث . وهو علوم الاعلام التى تطورت فى هذا العصر الى درجة مذهلة بحيث أصبحت تسيطر على ضمير الفرد ووجدانه لتشكله وتوجهه . فاذا لم تلتزم بالصدق النابع من نفس صادقة أمينة كان خطرها داهما وأثرها مخربا .

ولست بحاجة الى كان أشير الى أن الاسلام يعانى من تحيز وسائل الاعلام الغربية التى تسود العالم اليوم حيث لاتتحرى الصدق فى المواد التى

تقدمها . على أننا لانقصد بذلك أن ندافع عن مكرة معينة . ولا مبدأ خاص . لأن الاذى الذى يصيب الانسانية من ذلك أعم من أن يصيب مبدأ هنا أو مكرة هناك . انه تخريب للنفوس وتشويه للضمائر . وتزييف للمشاعر . وتحطيم للانسان

وينظر الاسلام الى انكار الحق ومكابرته والممارلة ميه على أنه كذب على الله . وكذب على النفس . وكذب على الناس . ويحذر من دلك كل التحذير بل يحذر حتى من المماراة بالحق . فما بالكم اذا كانت المماراة بالباطل

يقول تعالى : «انظر كيف كذبوا على أنفسهم» الانعام ٢٤ . ويقول «ويوم القيامة ترى الذين كذبوا الله وجوههم مسودة» الزمر ٦٠ .ويقول «ومن افترى على الله كذبا» الاعراف ٣٧ . وفي سورة أخرى . ويقول «يفترون على الله الكذب لا يفلحون» النحل ١١٦ . أما بالنسبة للجدال ، فيقول جل ذكره : وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم» (الانعام ويقول : «وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق» (غافر ٥)

وقدروى الترمذى وابن ماجه من حديث أبى أمامة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء . وتماروا به السفهاء . ولتصرفوا به وجوه الناس اليكم . فمن فعل ذلك فهو فى النار

القاعدة السادسة : البيان والأداء

وهذا حق الانسانية على العلماء . فحين تتحقق كل هذه الاخلاقيات لدى العالم يصبح لزاما عليه حقا أولياً لله . وحقا بعد ذلك للناس أن يبين للناس ما علمه الله . وأن يؤديه اليهم على وفق هذه القواعد .

ذلك لان العلم من الله واليه مبدأ وغاية . ومادة ووسيلة . وكتمانه عن أهله وعمن يستفيدون به خيانة لهذا المبدأ . واهدار لهذه الغاية وتضييع لهذا الجهد . وليس لصاحبه حق مستقل فيه . لان العلم والعلوم ليس خاصا به وحده .

ولهذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبينه للناس ولا تكتمونه» آل عمران ١٨٧ . وينهى عن كتمان الحق وكتمان العلم فى مثل قوله تعالى . «ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون» البقرة ٤٢ . ويوبخ من فعل ذلك بقوله «لم تلبسون الحق بالباطل و تكتمون الحق وأنتم تعلمون» آل عمران ٧١ . ويظهر لهم عظيم جرمهم . وسوء عاقبتهم مثل قوله «ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك مايأكلون فى بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم» البقرة ١٧٤

ولو أن علماء اليوم التزموا هذه القاعدة وجعلوا العلم . نظريا و تطبيقيا . حقا مشاعا بين الأمم . ولم يجعلوا احتكارا لطائفة دون أخرى . ولشعب دون شعب . لما وقع عالم اليوم فريسة الجوع والفقر والمرض . ولما وقع فريسة الخوف والهلع والقلق . ولسارفى العالم روح من التعاون والاخاء والتكافل . مهما اختلفت الآراء والاتجاهات . ومهما اختلفت الاديان والألوان ولعم السلام ربوع المعمورة كما أراد الله وكما دعا : «والله يدعو الى دار السلام و يهدى من يشاء الى صراط مستقيم» (يونس ٢٥) .

وبعد . فاذا كانت هذه الاخلاقيات من أخلاقيات العلم فى الاسلام بحكم الاطار الذى يحيط بها من المبدأ والغاية فانها يمكن أن تكون دستورا للعلماء . من مختلف الملل والنحل بصرف النظر عن اطارها الاسلامى . ونحن فى مطلع القرن الخامس عشر الاسلامى نقدمها لعلماء العالم لتكون هدية الاسلام لهم فى مطلع هذا القرن بين هداياه العديدة التى تمد الانسانية وتتشرف الى أفق أرحب واوسع ملىء بالآمال من أن تنعم الانسانية فى ظلال العلم بمعرفة الحق والتزامة والتعاون عليه ومن أجله حتى يعم الرخاء ويسود السلام .

****

العلوم التجريبية ايمان مطلق لاشعوری

جاسم محمد تقی
ماجستیر علوم
اسلام آباد

استمتعت بقراءة مقال الاستاذ الفاضل الاستاذ محمد عبدالستار نصار
العلوم الكونية واثرها في تدعيم الايمان . في مجلة الدراسات الاسلامية
الخامس عشر العدد الرابع والمجلد السادس عشر ، العدد الاول ديسمبر
مارس ۱۹۸۱م وأحب ان أسجل بعض الملاحظات حول المقال

يقول الاستاذ نصار « فالباحث المادى الذى لايؤمن سوى ،
المحسوس يحاول ان يجذب نتائج بحوثه لتدعيم موقفه المنكر لوجود قوة غير
منظورة تدبر أمر هذا الكون »

ولابد من ادراك ان البحوث العلمية هي مادية كلها لان المادة قوامها وهذه
حقيقة اولية لايمكن انكارها فالبحث العلمى يبدأ بالمادة وينتهى بها ولايسعه ان
يسير بطريق غير هذا الطريق .

والعالم عندما يبدأ بحوثه يقيمها كليا ويفسرها ويؤولها على أسس منطقية
ثابتة دون أن يدخل في متاهات العلوم الغيبية فهو يسلم بالمنطق بدون اية براهين
وهو يؤمن ان هذا المنطق هو سبيله الوحيد الى ايجاد تفسيرات مقبولة لسلوك
المادة . الظاهرى والباطنى

فالعالم يعتبر ان الواحد اكبر من الصفر ويعتبر ذلك من البديهيات الاولية
التى لاتقبل النقاش ولكنه يستنتج من ذلك ان ۱>۲ و ۲>۵ وهكذا ولكنه في هذه

الحالة قادر على أن يبرهن على ما يقول .

والعالم لايعرف مامعنى الصفر أى العدم ولايعرف معنى اللانهاية (∞) فهما من الامور التى لاتقع ضمن ادراكه أى ان العلم التجريبى يبدأ من مرحلة مابعد العدم وينتهى الى مرحلة ماقبل اللانهاية وتلك حدود فرضها على نفسه،اعتبرها من المسلمات الاولية

والذى يدخل فى تعقيد الفلسفة يدرك تماما الأبعاد الفلسفية الخطيرة للتفكير العلمى النظرى والعملى ليثبت ان العلم التجريبى يؤمن شعوريا (وفى اغلب الاحيان لا شعوريا) بوجود قوة عظيمة فى هذا الكون لها قدرة تفوق أى تصور له وان ايمانه الراسخ بعقلانية ومنطقية هذه القوة ونظامها بالكون هو الذى جعله يمارس اعماله بصورة مستمرة ولديه فى كل مرحلة تجريبية وفى كل نظرية علمية امل فى أن يكتشف المزيد من النظام والقانون الذى يسير المادة . تارة لكشف العديد من اسلوبها الغامض واخرى ليسخرها لخدمة الانسانية كلها ولذلك فلانتفق مع الاستاذ نصار بأن الباحث المادى يخرج عن دائرة البحث الموضوعية الى دائرة الذاتية والتعصب

ويقول الاستاذ نصار « وقد يخلع الباحث على النظرية العلمية شيئا من الأهمية اذا ماشعر بأثرها فى الواقع،الحياة حتى ولو لم تكن هى التفسير الصحيح أو القريب من الصحيح للظاهرة موضوع البحث . وهنا يكون للمنفعة دورها المؤثر فى البحث العلمى .»ونرى ان هذا خطأ جسيم فى تصور البحث العلمى لأن الباحث لايهمه كثيرا او قليلا تناقض ابحاثه مع النظريات القائمة بل يهمه ايجاد تفسير منطقى ومقبول لسلوك المادة التى تشذ عن بعض القوانين المتوصل اليها من قبل.

ومن الطبيعى ان يكون الامر نسبيا فى البداية ليترك المجال الى بحوث اكثر دقة لاكتشاف المزيد من الحقائق المتعلقة بسلوك المادة .

فقد كانت قوانين نيوتن ناجحة الى حد ما فى تفسير سلوك المادة ولكن

عندما توغل العلم فى عالم الصغائر أى الذرة والالكترون عجزت قوانين نيوتن عجزا تاما عن ايجاد أى تفسير لها الأمر الذى جعل العلماء يدركون بأنها صورة تقريبية لقوانين اعم واشمل منها تنطبق على عالم الصغائر ايضا وحمل هذا الأمر اكتشاف نظرية الكم «Quantum Theory» بكل تعقيداتها .

وعندما اكتشفت التجارب ان الالكترون يسلك سلوك جزيئى Particle وسلوك موجى «Wave» ، لم يتورع العلماء عن نسف كل النظريات التى تفسر الالكترون على اساس انه جزيئة وله وزن معين ولا زالت العلوم التجريبية تبحث فى هذا الازدواج السلوكي للمادة

كما لم يتردد العلماء بقبول فكرة خطأ نظرية حفظ المادة : - Conservation» لاسيما بعد اكتشاف نظرية آينشتاين الشهيرة التى السلوك الجزيئى بالسلوك الموجى فلو رمزنا للطاقة بالرمز - ق - و - ك - وسرعةالضوء بالرمز - س - لكانت معادلة آينشتاين

ق ح ك س٢

أى ان الطاقة تساوى كتلة المادة مضروبة فى مربع سرعة الضوء. ومن ذلك نعرف ضخامة الطاقة التى يمكن ان يحصل عليها الانسان من وزن ضئيل جدا من المادة .

وبدأت نظرية الكم بفرضيات العالم «Bohr Postulates» التى وضعها بدون اية براهين او اية مبررات سوى انها تؤدى الى وضع صيغة رياضية تفسر سلوك الالكترونات فى الذرة ومداراتها الخارجية وقبل العلم بهذه النظرية حتى طورتها الابحاث التى كشفت انها هى الأخرى صورة تقريبية محدودة لنظرية اعم منها .

وادى هذا الحرص العلمى الشديد على تفسير ظواهر وسلوك المادة الى عصر الذرة والطاقة الذرية التى لو استخدمت للاغراض السلمية لازدهر العالم

الانساني وتقدم تقدما عظيما ولقضى على كل مظاهر التخلف والفوارق الاجتماعية والاقتصادية والعرقية التي لا زالت سائدة في عالم اليوم . أي ان العلوم التجريبية كان يمكن أن تحقق ولا زالت لها القدرة الكامنة على تحقق غايات واهداف الاديان السماوية ولاسيما الاسلام الذى جاء لينقذ الانسانية من الظلمات الى النور ويحقق التكافل الاجتماعي والعدل والمساواة والرفاهية والخير للانسانية كلها

اذن فالعلماء هم المؤمنون الحقيقيون بالذات البارعة الله تعالى وان اختلفت تسمياتهم لها لانهم كسروا طوق العزلة الكلامية والنقاش العقيم بأعمال عملية حققت ولا زالت تحقق الاهداف التي من اجلها أوجد الانسان في هذا الكون

ويمكنني القول ان العلماء هم فئة متميزة عن سائر الناس لانها المدركة الحقيقية والمستفيدة الكبرى من ثمار الايمان العظيم . فالايمان بآثار الله تعالى في هذا الكون ونظامه المذهل وسير كل ما في هذا الكون وفق القوانين وسنن دقيقة ثابتة . هو الذى جعل العلماء يحققون هذه الرفاهية العظيمة للبشرية جمعاء وينقذونها من مظاهر التخلف وييسرون حياة الانسان الى اقصى حد ممكن ولا زالوا غير مقتنعين بذلك . مصممين على الاستمرار في ابحاثهم وتجاربهم فأين هم اذا من التعصب لآرائهم وافكارهم ؟ ! ان المعنى الصحيح لعملهم هذا هو انهم لازالوا بعيدين بعدا شاسعا عن الكمال وان جل همهم الاقتراب قدر الامكان من قدر قليل من الصفات الكمالية .

وكان ينبغي على علماء الدين والمفكرين الاستفادة كل الاستفادة من هذا التطور الضخم والحضارة الرائعة التي انجزت في هذا الكوكب فانطلقت الى عصر الفضاء والكواكب الأخرى نحو اكتشاف المجهول . وكان من المفروض ان تكون جهود العلماء هذه وازعا قويا للتغيير في افكار عامة الناس . فالله كتب في سنته التغيير نحو الافضل ودعا الانسان الى الاستفادة من آثاره اولم يخلق الله كل ما في هذا الكون لخير الانسان ؟ ! اولم يكرم الله الانسان بنظامه الكوني العجيب ؟ !

ألم يهب الله تعالى التفوق المطلق للانسان على مخلوقاته لتسخرها كلها التي خلقته ؟ ! اذا كان كل ذلك صحيحاً فلماذا يأبى الناس التغيير والتجدد والثورة على القديم بكل معانيه ؟ !! ونحن لا نريد بذلك خروج الانسان عن مفاهيم الدين لانها ليست موضع النقاش وانما فهم الانسان لهذه المفاهيم لازال ضعيفا قديما لا يتماشى مع متطلبات العصر ولابد من جسر هذا الضعف وهذا لاشك انه بذلك يتناقض مع الدين لاسيما الاسلام لأن روعة الاسلام هو صلاحيته بكل زمان ومكان و هذا يتطلب من الانسان المسلم بالضرورة ان يكون في مقدمة كل عمل و فكر جديد يهدف الى تطور و رفاهية المجتمع الانساني لان رسالته هي شاملة وعظيمة للانسانية جمعاء ولا يجوز له ان يكون في الخلف وغيره هم دائما يهب ويعطي بينما يظل هو جالس في سبات تقديسه . للاشخاص والقياس النظري البحت الذي لايغني ولا يسمن من جوع

فالعلوم التجريبية نسبية لاتعرف الحقيقة المطلقة ولايمكن ان تتصور بحر التفكير في هذا الأمر ولذلك فهي تتحاشى التعرض للامور نفسه وتقتصر على مجال اختصاصها . ان محدودية الانسان في تفكيره وفي جسمه ووجوده تقتضي قصوره الكلي فهو لايملك من أمره شيئا فقد وجد رغما عن ارادته كما انه أبعد رغما عن ارادته وطالما ان فاقد الشيء لايعطيه . تبقى سلوك الانسان وتفكيره أمراً نسبيا بحتا يعتمد بدرجة كبيرة على ظروف الزمان والمكان المحيطة به وانطلاقا من هذه الحقيقة قال الرسول القائد محمد ﷺ المجتهد ان اصاب فله اجران وان أخطأ فله اجر واحد .

فهذا الحديث الشريف هو ادراك عميق لقصور الفكر الانساني وان الانسان اذا اجتهد يمكن أن يصيب ويمكن ان يخطيء ولكنه يكافأ في كلتا الحالتين بأعتبار أن قصوره هو أمر خارج عن ارادته وان الامور بأسرها انما هي امور نسبية فاذا كان فهمنا لامور معينة في ظرف زمني معين نسبية فكيف يمكن

اعتبار هذا الفهم مطلقا حتى بعد تلاحق أزمة واجتهادات أخرى ؟ ! بل كيف يرضى الانسان أن يعيش فى عصر غير عصره وهو يرى ان عصره مليء بالتقدم فى كافة المجالات دون أن تكون له ادنى مقدرة على الاستفادة منها وطبعا ذلك يرجع الى توقف عملية التطور «Evolution» فى كافة المجالات وهذا ينطبق على وضعنا الحالى .

وعندما جاء آينشتاين بالنظرية النسبية أحدث ثورة كبرى فى العلوم النظرية العملية ولازالت آثارها ستكشف يوما بعد آخر غير ان الاساس الفلسفى لهذه النظرية يبقى نفس منطق المحدودية والقصور الذى تحدثنا عنه والذى يعتبر الوازع الاول للتقدم البشرى فى كافة المجالات بسبها طلبا لقدر قليل من صفات الكمال !!

****

تاريخ ازدهار علم الفقه في السند
بداية نشر العلوم الدينية

د . احمـــــد اقبال
رئيس قسم الحضارة الاسلامية ، مدرسة الاداب
جامعة سند ، حيدر اباد السند (پاكستان)

كان دأب المسلمين في القرون الاولى حيثما فتحوا البلاد نشر كلمة الله وقاموا ببناء المساجد و انشاء المدارس لتعليم العلوم الشرعية ، محمد بن قاسم الى السند لم يكن الجيش الاسلامي فاتحا فقط بل كان مبشرا لدعوة العلم . وما ان تم الفتح حتى رأينا الحركة العلمية تلاحظ موسى بن يعقوب الثقفي الذى كان من أجلّ العلماء في جيش محمد بن قاسم استخدمه لامور القضاء الشرعية[1] وكان أكثر اعتناء بنشر العلوم الدينية فتلمذ عليه واخذ عنه الفقه والحديث خلق كثير ساعدت هذه الحركة على نشر العلم في اقليم السند وكان كثير من الطلاب يفدون على مدن العراق والحجاز لحصول اعلى المدارج في النابغة العلمية وفي مدة قصيرة طار صيتهم بين أهل العلم و مؤلفا منهم دامت موردا للعلم الى مدة طويلة .

اشتهر من المحدثين والفقهاء ممن اصله سندى ابو معشر نجيح السندى صاحب كتاب المغازى سمع نافعا و غيرا من التابعين [2] و الشيخ ابان بن محمد الاخبارى صاحب كتاب النوادر[3] والشيخ أحمد بن محمد الحافظ الزاهد الديبلى[4] والشيخ أحمد بن نصر الديبلى[5].

واشتهر من اللغويين ممن اصله سندي ابن الاعرابي كان ابوه زياد عبدا سنديا كان ابن الاعرابي علما من أعلام اللغة والادب والشعر املى الناس ما يحمل على أجمال والف كتيرا . ومن الشعراء كان ابو العطاء السندي وهو شاعر من محضرمي الدولتين الأموية والعباسية وكان أبوه سنديا لا يفصح. ونشأ ابنه بين المسلمين شاعرا كبيرا(٦) فامثال هؤلاء العلماء نجدهم لا كثيرا في تراجم أصحاب الحديث والفقة في كتب اسماء الرجال الذين ينتمون الى اقليم السند

مراكز العلم في السند : واصبحت سلطة الامارة العربية في اقليم السند حوالى القرن الرابع الهجري وفيه اشتهرت ثلاثة مراكز للعلم وهي الديبل والمنصورة والقصدار(٧) . وقد واظب العلماء والفقهاء في هذه المراكز على تدريس القرآن والحديث وكانت المساجد هي امكنة الدراسة

المسالك الفقهية في السند واما من حيث تسلك لفقهي مكان عدد من العلماء من اصحاب الحديث . ويذكر المقدسي في وصف السند عندما زارها في سنة ٣٧٥ هـ ان اقليم السند أكثر اهله مذاهبهم من أصحاب الحديث . ورأيت القاضي ابا محمد المنصوري داوديا اماما في مذهبه وله تدريس وتصانيف قد صنف كتبا عدة حسنة و اهل ملتان شيعة ولا تخلو القصبات من فقهاء على مذهب ابي حنيفة وليس به مالكية ولا معتزلة ولا عمل للحنابلة وأراضيهم الله من الغلو والعصبية والهرج والفتنة(٨) قال ابن النديم في الفهرست . والمنصوري هو ابو العباس أحمد بن محمد بن صالح على مذهب داؤد من افاضل الداؤوديين وله كتب جليلة حسنة كبار منها كتاب المصباح الكبير . كتاب الهادي . كتاب النيرة وغيرها(٩)

اضمحلال الروابط العلمية بعد الدول العربية : فلما غلبت القرامطة والاسماعيلية على السيطرة على اقليم السند انقطعت جميع الروابط العلمية التي كان عليها علماء السنة في السند من العراق والحجاز واستمرت هذه الحالة من اواخر القرن الرابع الهجري الى طول مدة اربعمائة قرن فكان طبيعيا ان يكون الحركة العلمية

كانت مناطق السند قد سقطت وزاد الامر سوءاً حينما جاء السند في حوزة القرامطة والملاحدة فذهب علمها وخملت مراتع أهلها لان العلم لا يورق ولا يثمر الا في ظل دولة تتعهده وتأخذ بأيدي أصحابه فلا نجد حركة دائبة لنشر علوم الدين في مناطق السند الا تذاكر علماء السنة المدرجة الاعلى وسنن اصحاب الفقه والحديث ومن الأسف اننا لم نقف على تاريخ أحوال السند في عهوده القــرامطـــة والسومرة الاالتقا هنا وتعا هناك . فضممنا بعضها الى بعض لنستخرج منها صورة أجمالية بقدر الامكان

السـ ـقرن التاســـع

جام ننده واعتناؤه بنهضة العلوم الاسلامية .في هذا القرن استولت اسرة السمه على مناطق السند وفي اواخر هذا القرن نبغ منها حاكم نقي . دبر نظام الحكم وفق الشريعة المطهرة ونشط علم الدين واستقدم اهل العلم وأسس المدارس والمساجد وأنفق في سبيل ذلك الاموال الطائلة فسأ جوا صافيا لنهضة علم الحديث في السند على النمط الذي كان عليه في عهد العرب ويشرف بهذا الشرف السامي الحاكم جام نظام الدين المعروف بجام ننده (٩٦٤هـ) كان عصره من أحسن العصور وزمانه من أزهر الازمنة في السند يقول المصنف لمآثر رحيمي عن محاسنه : احياء سنن ورواج مدارس بنوعي در سند مقرر بود كه زبان قلم از تحريرآن عاجز است»(١٤).

ترجمة . «ان لسان القلم يعجز عن كتابة ما احياه السنن واهتم بانشاء المدارس في السند».

وكذلك يقول مير على شير قانع التتوي في تصنيفه الكبير« تحفة الكرام» در زمانش علماء وسادات وصلحاء وعموم خلق الله براحت كلي گزرانيده احياى سنن نبوى شيوع يافت كه احدى بدون صوم وصلوة نبودى(١٥)».

ترجمة : العلماء والسادات والصالحون وكافة خلق الله عاشوا في عهده براحة

تامة وشاع احياء السنن السوية على نطاق واسع حتى يكاد يوجد رجل بدون صوم وصلوة. ويصارى القول ان جام ننده كان أكثر اعتناء بنشر علم الحديث والفقة كما استقدم الى بلاده العلماء والفضلاء واحسن وفادتهم وأعطى عليهم الجوائز السنية واستحثهم على الاشتغال بالدرس والافادة علما اشتهرت الدولة بهذه الناحية بوافد علماء خراسان وماوراء النهر الى السند وهاجروا اليها صفا بعد صف حتى خصص جام نظام الدين لاقامتهم حارات خاصة فى ننه(١٦) و بكون ولاية السند مثابة المجد ومجتمع افراد الزمان من العلماء والفضلاء.

منهم الشيخ العالم الكبير المحدث بلال التلهتى السندى (٩٠٩هـ) كان احد العلماء المبرزين فى الحديث والتفسير والفقه له يد في مشغل والافادة وكان غاية فى الزهد والورع(١٧)

ومنهم الشيخ صدر الدين السندى درس و فاد مدة حياته و تخرج جماعات من الفضلاء خاصتهم السيد محمد بن يوسف الجونپوري المشهور الذى جرت معه المذاكرة حين ورد السند فعرف فضله و بعد به دخل فى زمرة اصحابه(١٨)

ومنهم بركة عبد الرحمن بن محمود بن ابى سعيد الحنفى (٩٠٦هـ) التتوى كان ممن تبحر فى العلوم درس وافاد مدة طويلة . اخذ عنه خلق كثير .(١٩)
ومنهم الشيخ الفاضل عبد الرشيد نشأبها لاكدى قرأ العلم على اساتذة عصره حتى برع فى الفقه والحديث وتأمل الفتوى اخذ عنه الشيخ محمد بن اسحاق وصنوة محمد وخلق آخرون من العلماء والمشائخ (٢٠) ومنهم العلامة جلال الدين محمد بن أسعد الصديق الدوانى استخدمه جام نظام الدين فى ننه

هكذا كان حكم جام نظام الدين في السند عهد ازدهار العلم ومصدر خير و بركة . نعم الناس باليسر والرخاء قرونا طويلة.

انشاء المدارس في كاهان (گاهو)

ولم يحط جام فيروز بن جام الدين على خطوات والده اذ كان في منتهى الترف والنعيم فخالفته اعيان الدولة وانقطع أكثرهم عنه ومنهم دريا خان الذي كان من كبار الاقطاعيين ومدار المهام زامر لأمراء في عهد جام نظام الدين(٢١) فذهب الى اراضيه في كاهان وكان محبا للعلم والعلماء على اثر امره جام سند فأسسا المدارس في كاهان واهتم به العلماء فتوافد طلاب العلم اليه

القـــرن العاشـــــر الهجري

سبب هجرة العلماء الى السند : في بداية القرن العاشر الهجري خرج الملك اسمعيل بن حيدر الصفوي على بلاد الفرس في حدود سنة ٩٠٧ هـ فأثار الفتنة المذهبية فيها واضطهد علماء السنة في تبريز وهراة على ان يتدينوا بالشيعة واحياء معالم التشيع ورفع منارها وقد كان يقتل من يخالفه في هذا الامر ٢٢

وكان الشيخ فريد أحمد التفتازاني يؤدي واجب شيخ الاسلام في هراة لمدة ثلاثين سنة وقد جاء مع جماعة من أهل السنة لمدافعة أهل السنة فقتلوا كلهم فلما اصيب العلماء بعد عزهم ورفعة شأنهم بنكبة لاحيلة لهم في دفعها هاجر عدد منهم الى كاهان في السند فاستقبل لهم دريا خان وأكرم وفادتهم . فاقام في كاهان جماعة من العلماء الكبار منهم عبد العزيز الابهري الذي كان احد العلماء البارزين في الحديث والفقه درس مدة مديدة في مدرسة شاهرخ مرزا وفي الجامعة الاخلاصية بلدة هراة وصنف شرحا على مشكوة المصابيح للامير نظام الدين علي شير وله تعليقات شتى على الكتب الدرسية(٢٣)

ومنهم المخدوم فخر بوتره الذي كان من اهل الفضل في العلوم الشرعية وكان دائم الاشتغال بالدرس والافادة مدة حياته كتب عنه السيد مير معصوم بانه قد كان للمخدوم فخر بوتره من فضل جم في ترقية نشر العلوم الاسلامية في اقاليم السند.(٢٤)

ومنهم الشيخ امير الدين والشيخ بشير الدين والشيخ يار محمد بن المخدوم عبد العزيز جميعهم كانوا من كبار علماء عصرهم أسسوا المدرسة في كاهان واشتغلوا بالدرس والافادة وهؤلاء كانوا اول جماعة من العلماء المنظم الذين أسسوا نظام تدريس العلوم الدينية تحت رئاسة المخدوم نوح بن سرور في السند ·(٢٥)

فلما ذهبت مدرسة كاهان واشتهر صيتها اجتهدت لاخطار السند ووفد طلاب العلم اليها من جميع بلاد السند وساعدت هذه الحركة المباركة على نشر علوم الدين وتعددت مراكز العلم في السند فنهضت النهضة ظهرت مواهب رجال السند وكونت عندهم طبقة من الفقهاء والمحدثين والادباء نكتفي بذكر بعض مشاهير الفقهاء الذين نبغوا في هذا العصر

ومنهم الشيخ العالم العلامة القاضي دته بن شرف الدين السيوستاني احد أكبر العلوم من المخدوم نوح بن سرور و المخدوم عبد الله الحديث والتفسير عن الشيخ بلال البلهتي وصحب كبار المشائخ و خدمهم حتى برع في العلم والمعرفة ومهر في التفسير وفنون أخرى استخدمه شاه بيك و ولي منصب القضاء سيوان واشتغل مدة حياة وكان للشيخ منزلة عظيمة عند ميرزا شاه حسن والي السند وقد اخذ عنه علم الحديث والتفسير و كان يلقبه بزمخشري العهد والسند مير معصوم علم الحديث ايضا منه (٢٦)

والقاضي قاضي بن القاضي ابو سعيد بن زين الدين البكري (٩٥٨هـ) كان أوحد عصره برز في الفقه والحديث وضعه أصحاب التاريخ في الصف الاول من فقهاء السند كان له يد طولى في جزئيات علم الفرائض . ولاه ميرزا شاه حسن القضاء بمدينة بهكر فاستقل به مدة من الزمان فلما استعفى عن الخدمة لكبر سنه حل محله اخوه القاضي نصر الله (٢٧)

والشيخ الفاضل ركن الدين السندي المشهور بمو (٩٤٩هـ) كان من

فحول العلماء برع في الفقه والحديث أخذ الحديث عن الشيخ بلال المحدث التلهتي وله مصنفات منها شرح الارجين ومنها شرح على خلاصة الكيداني . توفي ببلدة تته مدفن على جبل مكلي.(٢٨)

والشيخ برک محمود بن ابي سعيد الحنفي التتوي (٩٦٢هـ) المشهور بميرک محمود كان من الفقهاء الحنفية افرد في عصره بعلم الفتوى ولاه مرزا شاه حسن شياخة الاسلام في ارض السند . فاستقل بها مدة عمره . له تاليف جليل في فروع الفقه المعروف بالفتاوى التورانية

والسيد صفائي بن مرتضى الحُسيني (٩٩١هـ) المنتسب الى شير قلندر بن بابا حسن ابدال القندهاري مشيخة الاسلام بمدينة بهكر ورزق اولادا صالحين اشهر هم محمد معصوم صاحب تاريخ السند (٣٠)

والشيخ داؤد الحنفي السندي (٩٨١هـ) كان احد مشاهير القضاة في بهكر اصله من فتحپور قرية من ناحية سيدي من بلاد السند انتقل الى بهكر في ايام السلطان محمد خان فولاه القضاء فاستقل به مدة طويلة و كان حسن السيرة (٣١)

والمفتي ابراهيم بن جمال الدين الذي لم يكن له مثيل في مجال الفقة و كان يراجعه الناس في الاستفتاء و كان العلماء والقضاة يرون سعادة في اقتدائه (٣٢).

والشيخ العالم الفقيه بايزيد بن ابي سعيد بن ميرعلي شاه العرب شاهي ثم السندي كان من الفضلاء المشهورّين انتقل من قندهار الى ارض السند مع شاه بيک ارغون فولي شياخة الاسلام في مدينتي سكهر و بهكر (٣٣)

والشيخ عبدالوهاب الفوراني (٩٩٠هـ) كان شيخ من المشائخ الكبار برع في الفقه والحديث و من احسن ما ألف جامع الفتاوى الفوراني كان يعد من أهم الكتب في الفقه قد اخذه اهل السند بايدي القبول و كان موردا لمسائل الفتاوى الى مدة مديدة في اقاليم السند (٣٤) .

والفقية عبدالله الدريلوي كان من أجل العلماء في عهده وابنه الشيخ

رحمة الله (٩٩٤هـ) ولد بدريلـه و نشأبها على فضل عظيم ورحل الى غجرات ثم سافر الى الحرمين الشريفين ثم عاد الى غجرات ومعه الشيخ عبدالله بن سعدالله السندى ألف عدة رسائل فى علم الفقه اشتهرت منها لباب المناسک و عباب المسالک مجمع المناسک ونفع المناسک والمناسک الصغير والمناسک الاوسط ورسالة فى الاقتداء بالشافعية والخلاف بذلک (٣٥) . اشتهر كتاب المناسک الاوسط فى القبول . شرحه نورالدين على بن سلطان محمد القارى وسماه المسلک المقتسط فى المسک المتوسط (٣٦)

ومنهم الشيخ مصلح الدين لارى والقاضى عثمان الدربيلوى والشيخ حامد بن عبدالله السندى الف فى الفقة القول الحسن فى جواز الاقتداء الشافعى فى النوافل والسنن (٣٧) . والقاضى نصرالله السندى بن ابى ... الدين الحنفى البهكرى ولى القضاء بمدينة بهكر مكان القاضى ناصر الشيخ محمد بن محمود التتوى بن ابى سعيد التتوى (٣٩) (٩٧٠هـ) ونـ... بن محمود السندى (٩٧٩هـ) بن طيب كان أحد العلماء الكاملين كان اصله من خراسان انتقل الى بلاد السند ايام الفترة وسكن بمدينة سهكر . (٤٠) . والشيخ فضل الله السندى العلامة قاسم ديوان الحنفى السندى (٩٧٩هـ) كان من مشاهير الفقهاء فى عهده (٤١) والشيخ عبدالله المتقى السندى (٩٨٤هـ) والشيخ عبدالله بن عون الشريف الحسين (٩٨٩هـ) والشيخ على بن الجلال بن على بن احمد بن محمد الحسينى التتوى السندى (٩٧٦هـ) اخذ عنه كثير من الناس . (٤٢) ـ منهم الشيخ لفرح والشيخ الفاضل عباس بن الجلال الباترى السندى (٩٩٨هـ) كان عالما كبيرا ماهرا فى الفقة والحديث اخذ عنه القاضى عبدالسلام السندى وخلق اخرون . (٤٣) ـ والشيخ العالم المحدث طيب بن ابى الطيب التتوى السندى (٩٩٧هـ) احد فحول العلماء نشأ بارض السند ثم ترامى به الاغتراب الى برهانفور . (٤٤) والشيخ المفتى يونس بن ابى يونس الحنفى السندى أحد الاساتذه فى الفقة

والحديث . اخذ عنه القاضي عبدالغني والسيد ابراهيم البهكري والشيخ نظام الدين كبير والشيخ طيب وخلق آخرون . (٤٥) .

<u>العائلات الثلاث</u> : قبل ان ننهي تاريخ نهضة علم الفقه وتدرج الفقهاء في اقاليم السند في القرن العاشر الهجري نستحسن ان نذكر . ثلاث عائلات التي لها حظ وافر في ازدهار تعليم الفقه في السند منها كانت عائلتان في تته معروفتان بفضلهما والمامهما بعلم الفقه احداهما عائلة سادات شكر اللهي التي تنتمي الى عائلة الفقيه المعروف القاضي شكر الله الاول بن وجيه الدين كان من اجل علماء شيراز فلبى دعوة الملك مرزا شاه بيك وحضر في تته سنة ٩٢٧هـ وكان يؤدي واجب قاضي القضاة في عهد مرزا شاه حسن في تته واستمر هذا الارث العلمي الثمين في سلالة سادات شكر اللهي الى مدة مديدة و ان السيد نظام الدين التتوي الذي كان احد من مؤلفي الفتاوى العالمكيرية ينتمي الى نفس العائلة (٤٦) .

والعائلة الثانية هي عائلة الشيخ على محمد اوحي الذي خلف لوظيفة قاضي القضاة شكرالله الاول بعد وفاته ولكن في آخر عمره لأجل ضعف بصارته حمل ولده الشيخ محمد يحيى يحل محله في منصبه ويؤدي واجبات القضاء والافتاء واستقل به ١١٠٨هـ مدة عمره و بعد وفاته حلّ محله القاضي محمد امين بن محمد حسين بن علي محمد اوشي في امور القضاء والدرس والافادة توفي سنة ستين ومائة بعد الالف (١١٦٠هـ) (٤٧) .

والعائلة الثالثة هي عائلة العباسيين في بلدة بوبك عرفت هذه العائلة لكمال علمها واعتنائها بنشر علوم الدين ولقبت بالمخدومين وكان منها العالم الكامل الفقيه عبدالكريم ميران بن يعقوب ٩٤٩هـ الذي طارصيته في البلاد . (٤٨) ومن تلامذته الشيخ محمدطاهر المحدث السندي البرهانفوري كما كان منها السيد محمد عثمان البوبكاني البرهانفوري والقاضي عبدالسلام السندي البرهانفوري مرزا شاه حسن ايضا اخذ عن المخدوم عبدالكريم واخذ عنه خلق كثير من العلماء

استخرج بعضهم تاريخ وفاته "بعلامه وارث الانبياء" وقبره على جبل مكلى (٤٩)

وكان من نفس هذه العائلة العلامة المخدوم محمد جعفر بن عبدالكريم ميران البوبكاني تخرج على والده و كان جامع الكمالات وحرير وقته وعد الف عدة مؤلفات . من اشهر تأليفاته المتانه فى مرمة الخزانه (٥٠) فهو كتاب ضخم جامع لاكثر الابواب الفقهيه محقق ومسند عند كبار اعلام الفقه فى الهند حققه الاستاذ ابوسعيد غلام مصطفى السندى وطبع تحت اشراف لجنة احياء الادب السندى .

فعلى ماذكرنا ينتج لنا البحث ان مديرية السند كانت على جانب عظيم من أزدهار علم الفقة فى القرن العاشر الهجرى ضخت فيها نماذج ماظهروا مواهبهم واجدوا يتسابقون فى خدمة العلم وانشاء المدارس بتاليف الكتب والرسائل فى مجال علم الفقه والحديث كما سابق و نصرة العلماء والفقهاء . حثهم على الاشتغال بالدرس والافادة و النهضات السامية التى عرفتها السند على ايدى هؤلاء العلماء والفقهاء تساعد على انتشار العلم فى القرون الآ تية.

القــــرن الحــــادى عشــــر

تقدمت الحركة العلمية فى هذا القرن بفيض عظيم وحدثت مراكز العلم فى اقليم السند واشتهر بوبك وكاهان ودربيلو وهلاكندى فضلا عن تته وسهكر وتسبب عن ذالك فى هذه العهد ان استعادت حياض السند مكانتها الرفيعة ومنزلتها العظيمة التى كانت قد فقدت من الفضل السامى بعد ذهاب الدول العربية فاصبح علماء السند فيما بعد اساتذه وقادة فى الدراسات الفقهية والحديثية

وكانت تته عاصمة الاقليم تموج بالمشايخ مختلفة من اجناس متشابهة مختلفة وكان الوفود تجيىء اليها من المدن المجاورة وان المجتمع الذى يكون على هذه الشاكلة تكثر فيه الاحداث الاجتماعية تبدوفية مظاهر مختلفة من تفاعل تلك

الخواص ولكل حادثة حكمهامن الشرع فالشريعة الاسلامية عامة تحكم بالاباحة او المنع في الاحداث دقيقها وجليلها . ومن شأن دراسة هذه الاحداث ان توسع مبحث المسائل الفقهية فحسب الى العلماء الاشتغال في علم الفقه وبالاضافة الى ذلك كانوا اكثر رغبة واعتناء بالتخصص لان تعليم الفقه يؤهل اصحابه لتولى مناصب يعيشون منها فأخذوا يفدون على معاهد العلم في دهلى وبغداد والحجاز لحصول التخصص فازداد نشاطهم في سعة الاطلاع والعمق والتحقيق ثم عادوا الى السند بعلم كثير وفضل جم وان عددا من حاملي لواء العلوم في ذلك العصر كانوا من اصحاب الفقه

فاصبح اقليم السند في الدور الذى نحن بصدده من اجل الاقاليم وقبلة العلوم ومصدر الازدهار بفضل جهود العلماء الافذاذ الذين نبغوا في هذا القرن وان كثيرا منهم ارتقوا مناصب عالية ومراتب عظيمة في غجرات وبرهانفور ودهلى ومنهم من تصدر للدرس والافادة في الحرمين الشريفين فمن علماء السند ذائعى الصيت في الدراسات الفقهية القاضى ابراهيم التتوى كان من احفاد الشيخ فيروز ولاه الملك شاهجهان الافتاء بدهلى (٥١) . فاشتغل به مدة من الزمان ثم ولاه القضاء في العسكر فصار اكبر قضاة الهند واستقدمه امير الملك في تته في ما بعد فكان يدرس ويفيد مدة حياته (٥٢)

والقاضى عبدالرحمن السندى استخدمه الملك شاهجهان متوليا لنذور الحرمين الشريفين في ذلك العهد وتوفى الى رحمة الله في المدينة المنورة . والشيخ الفاضل حبيب الله الحنفى السندى (١٠٤٢هـ) احد فحول العلماء تصدر للدرس والافادة في مدرسة الشيخ عباس بن الجلال السندى بقرية هنكور من اعمال بكهر كان فقيها مجيدا استصحبه الملك شاهجهان الى دهلى فلازمه مدة طويلة (٥٣) .

والشيخ الفاضل الكبير القاضى عبدالرحيم بن عثمان بن يوسف بن صالح

البدينى السندى كان مفتيا ببلدة تته فى ايام شاهجهان . (٥٤)

والعلامة عثمان بن عيسى بن ابراهيم الصديقى البوبكانى (١٠٠٨هـ) اخذ الفقه والاصول عن القاضى محمود الصدر فى والعلامة وجيه الدين العلوى الغجراتى ولاه محمدشاه بن المبارك الفاروقى التدريس والافتاء فدرس وأفتى سبعا وعشرين سنة تخرج عليه القاضى عبدالسلام والشيخ صالح والشيخ يوسف وخلق آخرون . (٥٥) .

والفقيه القاضى عثمان السندى الدربيلوى (١٠٠٢هـ) فضى عمره بالدرس والافادة .

والشيخ عبدالجليل الصمى التتوى كان تقيا نقيا ورعا بارع فى . والفنون فائقا اقرانه . تصدر للدرس والافادة ببلدة لاهرى سدر فى عهد (٥٦)

والشيخ الفاضل صالح السندى البرهانبورى المشهور بعد فتلمذ على عثمان بن عيسى البوبكانى حتى برع فى الفقه وتأهل سور والتدريس .(٥٧) .

ولما اراد الملك اورنك زيب عالم كير تدوين الفتاوى الهنديه احد يبحث عن أهم الشخصيات فى العلم والفقه فى شبه القارة ورشح لهذه الخدمة الجليلة الفقيهين المحترمين من السند احدهما زعيم الفقهاء الحنفية السيد نظام الدين التتوى من اسرة السادات شكر اللهى وهى عريقة بالعلم والفضل . وثانيهما القاضى ابوالخير التتوى كان من نسل الشيخ فضل الله السندى المشائخ المعروفين بالفضل والصلاح كان عالما محققا مدققا فاضلا عارفا له اليد الطولى فى حفظ آراء الفقها والاستشهاد بها والتحقيق من منطوقها ومفهومها . لم يزل يشتغل بالفقه والحديث ويخدمهما كثيرا مثل آبائه الكرام والشيخ محمد مخدوم السندى (١١٠٠هـ) نشأ بارض السند وقدم اكبر آباد فولى الصدارة العظمى فى

سنة ١٠٩٣هـ)لقبه عالمكير ماهل خان (٥٩) .

والشيخ عبداللطيف البديسي السندي فاق في الفقه والأصول تصدر للدرس والافادة مدة حياته - احرى له عالمكير الارزاق السنية بعد كبر سنه .

والفقيه محمد بن عبدالباقي السندي ١٠٢٠هـ ولي شياخة الاسلام ببلاد السند بعد ما توفي والده ابوسعيد الحسيني الفقيه الكبير (٦٠)

والشيخ محمديوسف التتوى السندي (١٠٣٥هـ) برزفي الفقه والأصول . أخذ عنه آصف جاه ابوالحسن وكان يحسن اليه . وفوض الخدمات الشرعية من القضاء والاحتساب على اخوانه واقاربه بارض السند (٦١)

القـــرن الثـــــاني عشـــر

كان القرن الثاني عشر من أزهى العصور في اقليم السند من ناحية ازدهار العلم . فالنهضة العلمية التي اخذت في الظهور بفضل المخدوم مخنر لونتره واصحابه في عهد دولة السمه في القرن العاشر ظلت تنمو سائرة في عهود الارغون والترخان حتى بلغت اوجها وذروة مجدها في القرن الثاني عشر بفضل جهود العلماء الافذاذ الذين لاقوا صعوبة شاقة في سبيل نشر العلوم وقدموا للآخرين خيرما عندهم فصار اقليم السند من اهم مركز للحضارة والثقافة الاسلامية واصبحت تته مثابة المجد ومجتمع افراد الزمان من العلماء والفقهاء والشعراء والأدباء . ونرى ان كثيرا منهم اشرفوا على التصنيف والتاليف لم نجد مثل هذه النزعة الكريمة قبل في السند . و بالاضافة الى ذلك اصبحنا نسمع عن كثير من علماء الحجاز وبرهانبور ودهلي ينتسبون الى السند ومن اجل هذا انا لانتجاوز الحقيقة ان عددنا القرن الثاني عشر عصرا ذهبيا من ناحية نشر العلوم المختلفة في الاقليم وخاصة علم الفقه الذي زها وارتقى مستوى الدراسة فيه الى نوع جديد في هذا العصر .

ومن اهم الشخصيات في هذا العصر الفقيه الشيخ ابوالقاسم ابن المفتي

محمد داؤد كان كثيرا الحفظ والاطلاع على أقوال الفقهاء وآرائهم وكان دعامة من دعائم العلم في السند . عينه الملك عالم كير اورنك زيب عضوا في المجلس الشرعي في دهلي توفي الى رحمة الله سنة الف ومائة وثلاث (١١٠٣هـ) فأرخ تلميذه المخدوم رحمة الله السندي لموته من قوله ذهب العلم من السند . (٦٢)

والشيخ عناية الله بن فضل الله التتوي السندي ١١١٤هـ أحد العلماء المبرزين في علوم الدين قرأ العلم على مولانا اسحق التتوي وقرأ عليه الشيخ المخدوم ضياءالدين والمخدوم محمدمعين وخلق كثير من العلماء ٦٣

والعلامة المفتي المخدوم عبدالواحد الكبير اسادتي الذي استخدمه الملك اورنك زيب على وظيفة القاضي في مات سنة (١١٢٣هـ) له مؤلفات كشف الأسرار في الفقه وان العائلة عريقة بالمخدومين المنحرفين من اليه .(٦٤) .

والشيخ عناية الله بن فضل الله بن شهاب الدين الصوفي (١١٣٠هـ) كان اصله من قرية جرجور من اعمال سوره . راح الى بلاد نبهه والدكن وادرك الشيخ عبدالملك في ارض الدكن فلازمه مدة واخذ عنه الطريقة . ثم رحل الى دهلي وقرأ العلم على الشيخ غلام محمد الدهلوي ثم رجع الى تته وسكن ميرافور وحصل له القبول العظيم . محمد فمحض اسماء المشائخ فضلوه وكان شيخا جليلا وقورا يذكر له كشوف وكرامات (٦٥)

والقاضي ابو البقاء بن عبد الرحمن التتوي السندي احد الرجال المعروفين بالفضل والصلاح اخذ عن تراب حيدرالدين السندي مات في اواخر عهد محمد شاه الدهلوي(٦٦) والشيخ الامام العالم العلامه المحدث الكبير ابو الحسن نور الدين محمد ابن عبد الهادي الحنفي السندي اصلا والمولد ١١٣٨هـ اخذ عن السيد محمد بن عبد الرسول البرزنجي والشيخ ابراهيم بن حسن المدني وغيرهما من المشائخ بالحرم الشريف واشتهر بالفضل والصلاح . الف مؤلفات نافعة

اشهرها الحواشی الستة علی الصحاح الستة وله حاشية نفسية على مسند الامام احمد . وحاشية على فتح القدير لابن الهمام الى باب النكاح . وحاشية على حاشية شرح جمع الجوامع لابن القاسم المسماة بالآيات البينات وله شرح على اذكار الامام النووی (٦٧)

والشيخ العالم الصالح ابو الطيب محمد بن عبد القادر السندی المدنی احد العلماء المحدثين ولد ونشأ ببلاد السند وقرأ العلم وسافر الى الحجاز فحج وزار وسكن بالمدينة المنورة واخذ الحديث عن الشيخ حسن بن علی العجيمی وقرأ عليه الصحاح والسنن عاليها بمشاركة العلامة طاهر بن ابراهيم ابن الحسن الكورانی المدنی واخذ عن الشيخ محمد سعيد الكوكبی واجازه الشيخ احمد البنا ودرس وافاد مدة عمره وكان على قدم الصدق والصلاح . حنفی المذهب ونقشبندی الطريقة له شرح حسن بالعربی على جامع الترمذی وله فی الفقه شرح تنوير الابصار المسمى بقرة الانظار . وقد اخذ عنه الشيخ عبد الرحمن بن عبد الكريم الانصاری والشيخ عبد الله ابن ابراهيم البری والشيخ محمد بن علی الشرواسی والشيخ يوسف بن عبد الكريم المدنی وخلق كثير من العلماء(٦٨) والشيخ العالم الفقيه كمال الدين بن عناية الله السهكری السندی احد الافاضل المشهورين لم يكن فی زمانه مثله فی الفضائل مات سنة اثنتين وثلاثين ومأة والف (١١٣٢هـ) والشيخ العالم الكبير المحدث محمد اكرم بن القاضی عبد الرحمن الحنفی النصرفوری السندی احد العلماء المبرزين فی الفقه والحديث والعربية له «امعان النظر فی توضيح نخبة الفكر» والشيخ محمد رضا التتوی السندی احد العلماء المشهورين كان يسكن ببلدة بهكر مات سنة اربعين ومائة والف (١١٤٠هـ) فارخ لموته بعض اصحابه من قوله «محمد رضا داده جان درجنان شده» والشيخ الفاضل محمد باقر بن عبد الواسع التتوی السندی كان من نسل حمزة الواعظ وكان غاية فی الفضل والذكاء لم يكن فی زمانه افقه منه وقضى عمره بالدرس والافادة وجاوز

ثمانين سنة.

والشيخ الفاضل عبد القدوس بن الحامد بن الحسن بن حامد بن شرف الدين بن حسين بن المنصور بن محمد حسين الحسيني التتوي السندي احد العلماء المشهورين بالفضل والتقوى في عصره . مات سنة ست واربعين ومائة والف تارخ لموته مصنهم وقوله . «هم مكرمون في جنات النعيم» (١١٤٦هـ) و

والشيخ ابو الحسن السندي الصغير بن محمد صادق السندي كان مشهورا بالصغير ليمتاز عن الشيخ ابي الحسن محمد بن عبد الهادي السندي الكبير ولد بأرض السند وهاجر الى المدينة المنورة واخذ عن الشيخ محمد حيات السندي ولازمه ملازمة طويلة ثم تصدر للتدريس في تلك البقعة المباركة ولم يكن منه في ... كثرة الدرس والاعادة له مصنفات عديدة منها شرح جامع الاصول ... مختار الاطوار في اطوار المختار. وله غير ذلك مات ليلة الجمعة ... من شهر رمضان سنة سبع وثمانين ومائة والف (١١٨٧هـ) بالمدينة المنورة .

والشيخ الفاضل عبد الجميل بن رحمة الله التتوي السندي احد ... المعروفين بالبراعة في علوم الدين كان ختنا للشيخ ضياء الدين مات سنة أربع وخمسين ومائة والف (١١٥٤هـ) والشيخ الفاضل عبد الباسط التتوي السندي احد العلماء المبرزين في الفقه والاصول والعربية . كان من نسل الشيخ علي محمد التتوي ولاه عالمكير الصداره بمدينة تته . فاستقل بها مده وسافر الى الحرمين الشريفين فحج وزار ورجع الى السند . وكان مع كبر سنه يدرس ويفيد ... وكانت في ذلك العهد في تته . مدرسة عظمية والفضل الاكبر يرجع في انشائها الى المخدوم عناية الله التتوي واستاذه المخدوم احمد الكتابي وكانت هذه المدرسة منبث نور العرفان لتته وغيرها من بلاد السند وكان السيد ضياء الدين والمخدوم محمد معين من جملة اساتذتها فتخرج فيها طائفة من المحدثين والفقهاء وارباب الاقلام . ومن ابرزهم الشيخ الكبير العلامة الشهير المخدوم محمد هاشم التتوي

الذي انشأ نهضة جديدة في رفع مستوى الدراسات الفقهية في اقليم السند.(١)

نرى انه الى بداية القرن الثاني عشر كانت دراسات علوم الدين كلها باللغة العربية في جميع انحاء الهند (٢) فلما تفهنا شأن المسلمين في الهند على اثر ضعف حكم المغول شعر العلماء بحاجة ماسة الى نشر العلوم بلغات الناطق وأحس به أولا المخدوم ابو الحسن بن عبد الهادي السندي الكبير (١١٦٥هـ) في السند كما احس به العالم الرباني قدوة الفضلاء شاه ولي الله الدهلوي الذي ترجم القرآن الى اللغة الفارسية لاستفادة عوام الناس (٣) ولم يكن للغة السندية الى ذلك الوقت رسم كتابة معروفة فهندس المخدوم ابو الحسن الحروف للغة السندية وقدر مقاييسها واخترع القواعد لها على اساس رسم الخط العربية (٤) و قد حرر المخدوم ابو الحسن كتابا في الفقه في نفس رسم الكتابة التي انشأها وسماه بمقدمة الصلوة ـ وهو يعد أول كتاب مرقوم في رسم كتابة اللغة السندية كما هو اول كتاب فقه في هذه اللغة تبعه المخدوم ضياء الدين بن ابراهيم والمخدوم محمد هاشم التتوي اللذان عنيا بتجويد رسم خطها فهؤلاء هم السابقون الاولون اخترعوا النهج الجديد وشقوا الطريق لرسم خط اللغة السندية لمن أتى بعدهم من العلماء وبه كانت تكتب الرسائل والكتب والمكاتيبات . وأخذ العلماء بنقل العلوم الاسلامية الى اللغة السندية ونبغ فيه عدد من ارباب الاقلام وجاء بعدهم طبقة أخرى قدمت حركة التصنيف والتأليف في اللغة السندية فأرتقى رسمها على الاساس الذي وضعه الشيخ ابو الحسن السندي واصحابه من طور الى طور حتى آلت الى الشكل المعروف التي تكتب به الآن .

فكانت هذه ناحية اخرى في النهضة الحديثة التي ظهرت في هذا العصر الذهبي وازدهر الفقه بتأليف الكتب السندية فضلا عن التأليف العربية . وجدير بنا ان نذكر من مؤلفي هذه اللغة في علم الفقه .

المخدوم عبد اللطيف بن المخدوم محمد هاشم والعلامة السيد فقير الله

اهمية اللغة العربية فى القرن الخــــامس عشر الهجـــــرى

الدكتور · قاضى محمد مبارك

الاستاذ المساعد بقسم اللغة العربية بشاور

قبل التكلم عن أهمية اللغة العربية فى القرن الخامس عشر يجدر بنا ان نعود قليلا الى الوراء . ونلقى نظرة عابرة على الدور الذى د. العربية فى جميع ميادين الحياة ـ وذلك ان الحياة الاسلامية كحلقة ، يمكن ان تنفصل بعضها عن بعض . وفى القاء الضوء على ما كان من الايجابى الفعال للغة العربية . يمكننا ان نستفيد من ذلك فى حياتنا المستقبلة

وقد شرف الله تعالى اللغة العربية بانزال كتابه فيها . وجعل القرآن الكريم قرآنا عربيا ودستورا للامة الاسلامية وحفظه من أن يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وختم به الكتب السماوية . وأكمل به الدين الحنيف فقال عز من قائل · « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ـ ورضيت لكم الاسلام دينا » .

وكانت هذه اللغة قبل نزول القرآن الكريم لغة الفصاحة والبلاغة وكانت قد بلغت الى ذروة من الكمال . وكان الكلام العربى يعتبر فى قمة من القوة والسبك المتين . وكان العرب يتبارون فيما بينهم فى الخطابة . والشعر . وكانت الأسواق تقام لهذه المساجلات الشعرية والخطابية فى مختلف الانحاء من الجزيرة ـ وبعد ما نزل القرآن الكريم قالت هذه اللغة شرفا أكثر من ذى قبل وسكنت من التوسع

والنشر والازدهار ، وذلك لإحتوائه على الاسلوب الألهى المنين الذى يحير الانسان أمام قدرته . ولعلوه فى درجة الفصاحة والبلاغة حيث جعل هذا الكتاب المجيد المنزل على محمد ﷺ من قبل الله تعالى معجزة ابدية لسونه ـ وقد رأينا بأن هؤلاء العرب قد حاولوا كثيرا ان ينقصوا من شانه ، ولكن لم يتمكنوا من ذلك . كما ان الله تعالى تحداهم ايضا وطلب منهم ان يأتوا بسورة من مثله ان كانوا فى ريب من هذا القرآن . ولكنهم قد عجزوا امام هذا التحدى ولم يتمكنوا من ذلك ـ هكذا كان القرآن الكريم واثره فى اللغة العربية

هذا من ناحية البلاغة ـ واما من ناحية التبليغ ونشر الاسلام فان اللغة العربية قامت بدور فعال فى هذا السبيل . وهى التى قد شرفت وعرفت حتى وصلت فى الغرب الى جبال الالب . و فى الشرق الى بلاد الصين ـ وكانت تقوم بنشر التعاليم الاسلامية الصافية فى اسلوب جميل رصين . وكانت تقدم هذه التعاليم فى الصورة التى نزل بها القرآن الكريم . لان جميع الناس كانوا يستقون العلم والارشاد من النبع الاصيل مباشرة بدون التراجم أو التأويلات المعوجة فقد رأينا ان الاسلام انتشر فى عصر النبى ﷺ . و عصر الصحابة رضى الله تعالى عنهم فى الجزيرة العربية . وفى عصر الأمويين خرج من الجزيرة العربية الى كثير من البلدان بسرعة فائقة قد تحير الناس من هذا الانتشار . واللغة العربية كانت تقوم بجميع هذه الامور التى كانت لازمة للنشر الاسلامى فى هذه البلاد

وبجانب ذلك . قد وسّعت اللغة العربية صدرها للعلوم ففى الزمن الأموى وقبله وجد فيها العلوم كالتفسير . والقراءات ـ والنحو . والصرف . والبلاغة وما الى ذلك . وفى العصر العباسى قد رأينا ان هذه الامور قد ازدهر أكثر . وكان هذا العصر يسمى بالعصر الذهبى . وذلك لازدهار العلوم بكثرة لم يوجد لها مثيل لان العلوم العربية والاسلامية التى كانت وجدت من قبل قد توسعت . واما العلوم الاجنبية كالمنطق والطب والفلسفة والعمران . وغير ذلك . وقد ترجمت كتبها من

اللغة اليونانية والهندية . والفارسية وغيرها الى اللغة العربية التى كانت ترحب بهذه العلوم . وتوسع لها صدرها . وتحملها فى قالب عربى جميل اخاذ ظهر ويبدو لك ان هذه العلوم كانت موجودة فى هذه اللغة من قبل

والفكر العربى الاسلامى . والفقه والفقه ـ واصول الفقه . فقد وصل الى ماوصل اليه من النضج والكمال حتى الناس ولازال العالم الاسلامى وغير الاسلامى شرقيا كان أو غربيا يستقى من معينه الصافى . ومكاتب الفكر العربى كانت كثيرة . وكل مكتب فكرى كان يحاول ان يستخرج الكنوز العلمية الصحيحة من القرآن الكريم والاحاديث النبوية . ولم يكن صاحب أى مكتب يخالف الآخر فى الاصول وانما كان الاختلاف فى الفروع . وكل واحد كان يحاول حسب فهمه ان يصل الى المصدر الرئيسى ـ القرآن الكريم ـ وهذه المكاتب الفكرية يتزعمها الامام مالك رحمة الله عليه . والامام ابى حنيفة رحمة الله عليه والامام ... رحمة الله عليه . والامام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه ـ ولازالت رحمة ... الاسلامى ـ وهؤلاء الائمة قد خدموا الاسلام خدمة جمة . وكل ذلك بفضل تمكنهم من اللغة العربية علومها . وادابها . حيث كانوا يعرفون القرآن والاحاديث النبوية فيستخرجون منها ما يحتاج اليه الانسانية من شئونها الدنيوية فى الدنيا والآخرة

واللغة العربية لم تكن محلية . ولم تكن تقتصر العلوم على المسلمين فقط وانما كانت تقدم المعارف الى الجميع اراد أم لم يرد . لانها لغة القرآن . والقرآن للعالمين . فارادت اللغة ان توصل هذه المعالم المرآية فى لغتها البشرية الى جميع العالم . فنرى ان اللغة العربية قامت فى بلاد الاندلس من الدور الفعال فى توصيل العلوم ونشر الضوء العلمى فى البلاد الاوربية ـ وكان الاندلس بمنزلة الجسر لتوصيل علوم المشرق الى بلاد المغرب ـ ويقول فى ذلك الكاتب الانجليزى

ما كان احلى قصور قرطبة . وحدائقها . ولم يكن مابصير الاعجاب اهل

روعة وابداعا . كما كانت المدينة ناصعة بالحياة - أما النشاط الفكرى فكان في
كالمدينة ذاتها - لقد حملها الأساتذة . ورحال العلم كمنة للثقافة في أوربا . فكانوا
عشاق المعرفة يرحلون اليها من كل حدب ليتلقوا علومهم على يد أولئك
المفكرين الكبار

وكما يقول الفيلسوف رينان - عن الحركة العلمية والأدبية في الاندلس
كان الذوق العلمي . والتذوق الادبي قد تقررت قواعدهما في القرن
العاشر الميلادى في تلك البقعة المنيرة عن العالم - وكان هذان قد بلغا مستوى
لايضارعه المستوى الحديث . وكانت روح التسامح . سائدة بين السكان وحرية
الفكر بين يستقى منه الجميع . فكان اليهود والمسيحيون . والمسلمون يتحدثون
لسانا واحدا يعبرون به عن افكارهم . كانوا يرتلون نفس الاغانى ويتهيج نفوسهم
للمعنى الادبى الرفيع الواحد . واذا ماتدارسوا العلوم نرى افاق معرفتهم ممتدة
واسعة يصوغون تعريفاتها فى قوالب محدده . وفى لغة واحده . انها العربية -

وهكذا اقامت اللغة العربية بنشر العلوم والمعرفة وخدمت الاسلام
والمسلمين فى جميع بقاع الارض . ووحدت بين المسلمين وجمعتهم على عقيدة
واحدة على عقيدة نابعة من القرآن الكريم . وبذلك وصل المسلمون الى
ماوصلوا من العزة والقوة والشوكة والعظمة والهيبة . وكانوا على هذه العزه ماداموا
متمسكين بالاسلام . وباللغة العربية ولكنهم حينما تزعزعوا عن عقيدتهم . وتركوا
هذه اللغة . ورجعوا الى لغاتهم المحلية فى فهم القرآن وفهم الدين . خسروا
خسرانا عظيما . لان اللغة العربية كانت تجمعهم فى اطار واحدة . وتوحدهم فى
ظل عقيدة واحدة . وتأتى بهم تحت رأية واحدة - الا . وهى رأية الاسلام . فكانوا
متحدين . ومعتصمين بحبل الله طبق الآية القرآنية الكريمة .

«واعتصموا بحبل الله جميعا . ولا تفرقوا - (٣/٣ ،)

وعندما تركوا حبل الله تفرقوا واختلفوا . وصاروا القمة سألفة لاعداء

الاسلام ووقعوا في شرك وصاروا بعد ان كانوا اسيادا مسودين وذلك ببعدهم عن الاسلام وعن اللغة العربية . لغة القرآن

هكذا كانت اللغة العربية في القرون الماضية ـ واما القرن الخامس عشر الهجري . فأهمية اللغة العربية قد أزدادت أكثر من ذى قبل . لانا نرى المسلمين في الوقت الحاضر مختلفين بعضهم عن بعض . وكل يحسون بالوحدة والتضامن ضد قوى الطغيان . والشر قوى الكفر . والالحاد التى انتشرت في العالم . وتريد ان تلقى بالبشرية في هاوية الهلاك . والدمار . وان تبعد المسلمين عن عقيدتهم الاسلامية . وتستولى على خيرات بلادهم الكثيرة التى تضم صورة الذهب الاسود . وغيره من الخيرات التى وهبها الله تعالى للبلاد عامة . والعربية خاصة ـ

وقد رأينا ان الصراع قد اشتد في هذا القرن من ذى قبل وكل يصل الى الهدف الذى يريده . غير ان العالم الاسلامي قد استيقظ وتنبه من مايكيد أعداء الاسلام وفهم حقائق الامر وبدأ النضال يكاد ان يكون مباشرا وقد رأينا آثارها قد ظهرت في بعض البلاد الاسلامية بصورة سافرة من قبل الأعداء أعداء الاسلام ـ وبالأحرى اعداء الانسانية اعداء الخير والرفاهية . فهنا نرى زعماء المسلمين وأمراءهم . وملوكهم وقادتهم قد تنبهوا الى ذلك ويريدون ان يقوموا بدور فعال يمكنهم من الوقوف والصمود في وجه هذه التيارات الهدامة الالحادية . ولذلك يعقدون مؤتمرات في صورة مختلفة عسى ان يصلوا الى ما يمكنهم من الوصول الى الهدف العظيم ـ وهو هدف القوة والعزة والشرف . ولكن كيف يمكن ان يصلوا الى ذلك . فهذا امر يحتاج الى العمل الجدى . والبحث في السبيل المستقيم الموصل الى هذا الهدف الأسمى . وذلك لا يكون الا بالعودة الى القرآن الكريم . ولغته العربية التى قامت بما قامت به من الخدمة الجليلة في سبيل الاسلام والمسلمين . ونهضتهم العلمية والادبية في الماضى . طبست هى

عاجزة عن ان تقوم بهذا الدور من جديد ، و نرفع بالمسلمين الى قمة القوة . والعزة لان القرآن الكريم يدعو الى النظر ما في السموات وما في الأرض ويحضهم على طلب قائلا ان العزة لله ورسوله وللمؤمنين

والاهتمام باللغة العربية ليس معناه ان نقوم بالدعاية في الجرائد والصحف والمجلات ، ونشر الكلام بالمذياع ، والتلفزيون ، وعقد ندوات ، وإلقاء كلمات رنانة ، وانما يحتاج ذلك الى العمل الجدي ، وهو ان ندرس اللغة العربية ونفهمها حق الفهم ، ونتمكن من قواعدها واساليبها وادابها حتى نتمكن كي نصل بذلك الى معرفة القرآن والاحاديث النبوية معرفة حقة ، وهذا لا يمكن الا ان نجعل البلاد الاسلامية جميعها اللغة العربية ، اجبارية في جميع المناهج الدراسية من المرحلة الابتدائية الى المراحل العالية ، وان ندرس المواد الدراسية كلها في هذه اللغة وبذلك نرى بعد عدة سنوات ان هذه اللغة قد اتت ثمارها ناجحة ، وقامت بالدور العلمي والادبي بين المسلمين ، كما تؤدي بذلك الدور السياسي ايضا ،وهو دور التوحيد بين المسلمين في جميع العالم ، لاننا نرى ان اللغة تلعب دورها في توحيد الشعب ، لان الشعب الذي يتكلم بلغة واحدة تكون احساسيسهم واحدة ، وقلما يكون هناك مجال للفرقة والتشتت والتباغض والتناحر ـ فاذا جعلنا اللغة العربية اجبارية في جميع المراحل التعليمية فهي سوف تقوم بمهمة توحيد المسلمين في جميع الميادين ، بالاضافة الى تقريبهم الى المنبع الاصيل ، والى الحياة الاسلامية الصحيحة ، وازالة البدع والخرافات والأوهام من اذهان المسلمين .التي نشأت فيهم بسبب تعدد اللغات الاخرى التي صارت سببا لفرقتهم وتشتتهم ، وبالتالي صارت سببا في ضعفهم وذلهم ومسكنتهم ، وتجعلهم من جديد في صف الامم القوية الجبارة ، القائمة على العدل والانصاف والحق

وبجانب هذا ، سوف تسهل الطرق الى جميع من يريدون ان يستقوا العلوم من المصادر العربية القديمة ، ويطلع على الكتب العلمية التي الفت في زمن

الازدهار والتقدم والقلة في العصور الماضية

وأمثلة ذلك موجودة من قبل ـ لاننا قد رأينا ان كثيرا من الشعوب ماكانوا من عرب . ولكن لما انتشر الاسلام . ودخل هؤلاء في الاسلام وجعلوا اللغة العربية لغة لهم . وتركوا لغاتهم السابقة . ودخلوا في دائرة العرب المستعربين . وصاروا بعد ذلك يعرفون الى الآن باسم العرب منهم اهل الشام . والعراق . ومصر وليبيا . وتونس . والجزائر . ومراكش وسودان . وصومالنا . وغيرها

والى جانب الميادين العلمية والادبية . تقوم اللغة العربية بدور فعال في المجال السياسي ايضا . ولعبت دورا أساسيا في تعريب الامة المسلمة فمثلا في بعض قرى ان المؤتمرات تعقد . والندوات تقام . ويرى الزعماء المسلمين واحد منهم يتكلم بلغته ـ ويقوم شخص بدور المترجم . ولا يمكن للمترجم اوتي من قوة ومهارة . ان يترجم ما يجيش في خاطر صاحب الكلام وكثيرا ما ان صاحب المقال يقول شيئا. والمترجم يقول شيئا اخر . وهنا ينشأ نوع من بين هؤلاء ـ الزعماء . وهؤلاء الافراد . ويحسب كل واحد نفسه أجنبيا عن غيره وبذلك نرى ان هذه المؤتمرات تأتي بالنتائج الى جنب الا . لنسيج لترجمة منها لاتظهر الى الخارج . فاذا كانت لغة هؤلاء واحدة وكانت هي اللغة العربية لما كان هناك احتياج الى مترجم . لما كان يحس أي واحد بالغربة . ولأتت هذه المؤتمرات بالنتائج الحسنة المثمرة ولرأينا العالم الاسلامي كله وحدة تهب هبته وجلالها في العالم كله

....

المـــــــراجـــــع

١) القرآن الكريم

٢) تاريخ الفكر العربي للدكتور عمر فروخ

٣) باكستان من فروخ عربي مجموعة مقالات دون مؤتمر [illegible]

٤) الائمة ابوحنيفة ومالك والشافعي واحمد بن حنبل رضي الله عنهم [illegible] لأبي زهرة

٥) تاريخ الاسلام السياسي لحسن ابراهيم حسن

٦) نفح الطيب . للمقري

٧) تاريخ الادب العربي لاحمد حسن الزيات

تعليـــــق

كتاب الصيدنة فى الطب

للعلامة ابى الريحان محمد بن أحمد البيروني

تحقيق

الحكيم محمد سعيد . والدكتور رانا أحسان الهي.طبع تحت

اشراف /مؤسسة همدرد الوطنية كراتشي (باكستان

عام١٩٧٣م

الكتاب وترجمته الى اللغة الانكليزية فى جزء . والجزء الثانى ذيل لهذا الكتاب الفه سامى ك . همارنه .ثمن الجزء الاول ٢٥٠ روبية باكستانية أو ٣٠ دولارا وثمن الجزء الثانى ٥٠ روبية أو ٦ دولارات

كان الطب عند العرب من علومهم القديمة . ومن عادتهم اجراء التجارب فى العقاقير والحشائش والحبوب والثمرات والخضراوات والاملاح والاحجار والمعادن والمياه والنبات والاشجار والاتربة ولما اسلم العرب تقدموا فى العلوم والبحوث العلمية واخذوا الحكمة والعلم اينما كانا بدون تردد أو أى تعصب . ولم يقنعوا بما وجدوا عندهم بل درسوا الاشياء وفحصوا الادوية وزادوا على القديم شيئا نافعا وعلما كثيرا

جرب الاطباء تأثير الالوان والروائح والطقوس والاجواء والازهار والاوراق وعلموا بتجاربهم الاماكن الصحية للسكن والمستشفيات . وحاولوا اجراء العمليات فى العضو المصاب بالمرض وعمل التخدير وفحصوا الادوية المفردة وعلموا خواصها كما صنعوا الادوية المركبة . وكل ذلك مذكور فى تاريخ الطب .

ثم ان المسلمين برعوا في اكتشاف الادوية والعلاجات الشافية ولم يقتصروا ماورثوه من القدامى بل اضافوا اليه زيادة علمية . وذلك عندما كان المسلمون مدون البحوث والدراسات في علم من العلوم عبادة . لأن كتاب الله أمرنا ان ندعو رب زدني علماء . فكان هم كل واحد من العلماء ان يأخذ ما يجده عند الناس أسره ثم يحسن اليه ويزيد عليه ويبتكر فيه حتى يتركه لمن يأتي بعده في أحسن صورة متقدما ولو بخطوة واحدة

ان الله سبحانه وتعالى قال في كتابه للنحل « مختلف ألوانه فيه شفاء للناس » أليست هذه الآية تحث العلماء على أن يتفكروا في اجزاء النحل وما يكون فيه من تفاعلات كيماوية . وقد ذكر الله في كتابه الكريم الاشجار ، والمعادن والاحجار وما شاكلها وجعل كل شيء في الكون اية للناس الكتاب فالقراءة لا تقتصر على قراءة الكتاب ولكنها تشمل قراءة والاحجار والعقاقير وما في الكون من الآيات

ثم ان القرآن المجيد يحث على العناية بالصحة . ويعلمنا المبدأ الاساسي للصحة بقوله : « كلوا واشربوا ولا تسرفوا »

ان هذه التعليمات الحكيمة في القرآن فتح للمسلمين ابواب العلم والمعرفة والقراءة والدراسة فلم يكتفوا باصلاح العقائد وقراءة الكتب فحسب بل ادركوا كوامن الأشياء وقرأوا كل ما هو مكتوب في صفحة الكون وسخروا لهم كل صعب واستفادوا من كل شيء بمعرفتهم سنن الله واودعه في ذلك الشيء وكل ما نرى من مؤلفاتهم يخبرنا انهم اجتهدوا غاية اجتهادهم في معرفة خصائص الاشياء وحقائقه . وليس كتاب الحيوان وكتاب النبات . وكتاب الاشجار وأمثالها الا نبذة من مجهوداتهم في معرفة سنن الله في الكون وفي انفسهم . وكانوا تأكدون أن مساعيهم في حقول العلوم طاعة ربهم وعبادة

ان الحكيم محمد سعيد مستشار رئيس باكستان في الطب مولع بخدمة

الطب والعلوم الاسلامية . وقد أسس لدراسة الطب مؤسسة همدرد الوطنية التي لاتهتم بصناعة الادوية فحسب بل تهتم بطبع ونشر الكتب العلمية الطبية النادرة ان مؤسسة همدرد لها الفضل الكبير في اخراج هذا الكتاب النادر النفيس بعد التعليقات العلمية بمناسبة مرور الف عام على ولادة العلامة البيروني شكر الله سعيها كما نرجو منها ان تعود لا مثاله

ان كتاب الصيدنه كما يظهر من أسمه معجم للادوية مرتب حسب الحروف الهجائية . ومعه ترجمة الى اللغة الانجليزية مع تعليقات نافعة ولانريد ان نتكلم حول الترجمة في هذا التعليق الموجز فانها أمر هام وصعب جدا والبيروني عند ما يذكر اسم دواء يحاول ان يترجمه في بعض اللغات الاخرى كالهندية والرومية والسريانية والفارسية وغيرها كما يذكر وصف الدواء وخاصته بالتفصيل - ويذيله الجزء الثاني الفه الاستاذ سامي ك همارنة باللغة الانكليزية يشتمل على معلومات نافعة حول الكتاب ومؤلفه - والكتاب جدير بأن لا يخلو منه أي مكتبة لا سيما مكتبة الاطباء .

(عبدالرحمن الطاهر السورتي)

* * * * * *

مجلة فصلية اسلامية

تبحث فى الدين والآداب والثقافة

ذوالقعدة ١٤٠١هـ — ستمبر ١٩٨١م

مجلة مجمع البحوث الاسلامية

إسلام اباد ـ باكستان

مجلة مجمع البحوث الاسلامية

إسلام آباد ـ باكستان

(٣) ١٦

العدد الثالث — المجلد السادس عشر

ذوالقعدة ١٤٠١ هـ — سبتمبر ١٩٨١ م

هيئة التحريــــر

* * * * * *

المحتوى

* * * * * *

ضيوف العدد

* **الأستاذ محمد ظفر أحمد الانصارى :**

من كبار علماء الباكستان و قادتها وعضو مجلس الفكر الاسلامى وعضو المجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى

* **الأستاذ الدكتور أحمد اقبال القاسمى .**

رئيس قسم الحضارة الاسلامية بجامعة السند . حيدر آباد باكستان

* **الأستاذ سيد سعيد أحسن العابدى :**

باحث فى علم التفسير و متخصص فى أسلوب الفراهى

* * * * * * *

ليس من الضرورى ان تتفق ادارة المجمع مع جميع الآراء والبحوث التى نشرها الكتاب فى هذه المجلة

كلمــة العـــدد

نرى عالمنا الاسلامي اليوم في وضع حرج وهذا الحرج ذو نواح عديدة : حرج في التعليم ، حرج في الفكر ، حرج في الثقافة ، حرج في الحضارة أما من ناحية التعليم فنرى أن نظام التعليم الذى ورثناه من الغرب انما هو نظام أعور وليس نظام نصير نضارة كاملة فلايرى الاشياء بعينيه ، بل يراها بعين واحدة ، ويجعل أبناءه يرون الاشياء بعين واحدة فعالم الكيمياء لا يرى حقائق الاشياء كما هي ، بل يراها كما تريه الكيمياء إياها ، ويتجاهل الاخلاق والآداب والحقائق الـديـنية وذلك لأن أهل الغرب لا يعالجون الحياة ككل و وحدة متكاملة بل يعالجونها في متفرقة ، لاصلة لبعضها ببعض فنحت تأثيرهم أصبحت مراكز التعل خالية من العواطف الروحية و عاد الجيل الذى نشأ فيها مطف كليل النصر ضعيف اليقين . وأصبح شبابنا المسلم على أيدى ولاة الحديث شيئا ضائعا فكان على حد قول شاعر الاسلام محمد اقبال مثل فراخ الصقور فربوه تربية بغاث الطيور ، و كان مثل أشبال الاسود فجعلوا منه ضعاف الخروف

* * * * * * *

وأما من ناحية الفكرفنرى في عالمنا الاسلامي طبقة غير صغيرة تعاني من إلحاد فكرى رهيب وانحراف عقلي مهيب وهذا نوع غريب من الالحاد الفكرى والانحراف العقلي الذى لا يرى له مثيل ولا نظير في التاريخ الاسلامي . فان المسلمين واجهوا كثيرا من الأزمات الفكرية في تاريخهم الطــــويل . ولـكننا لم نر أزمة فكرية أثرت علـى عقول

المسلمين وأذهانهم تأثيرا يبلغ في سعته وعمقه تأثير الالحاد الفكرى الغربى على عقليات المثقفين من أبناء العالم الاسلامى.

ولعل أول أزمة فكرية واجهها العالم الاسلامى فى صدر تاريخه ظهرت بداية تراجم "الآداب الاغـــريقية والفارسية والهندية إلى اللغة العربية . حيث ظهرت قضايا جديدة و متنوعة . وبدأت مناقشات فلسفية معقدة . وقام جمع من أهل العلم بحوث و دراسات فى مسائل الالهيات وماوراء الطبيعة و كانت طبيعة الاسلام العلمية و تعاليمه السهلة البيضاء التى ليلها كنهارها لا تقبل هذه المناقشات اللاغية الفارغة التى لا تغنى من شيء . ولذلك نرى كتاب الله الحكيم المبين الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه خاليا عن هذه المباحث العقلية التى شبهها محمد اقبال باللات و المنات ولذلك لما خطرت بال بعض الصحابة أسئلة عن مثل هذه القضايا منعهم رسول الله ﷺ من الخوض فيها وإضاعة الوقت فى البحث عنها والمناقشة فيها فان البحث الذى لا يجدى والمناقشة الفلسفية العقيمة فى هذه الذات الالهية وحقيقتها و مبدأ قدرتها ومنشأ حكمها وملكها هى كلها من وساوس الشيطان والذين يضيعون أوقاتهم ومواهبهم فى الأقاويل اللاغية والمحادثات اللفظية فى قضايا دقيقة مثل قضية القدر خيره وشره شبههم رسول الله ﷺ بمجوس هذه الأمة

وقصارى القول أن رسول الله ﷺ قام بتربية المسلمين تربية جادة وتدريبهم تدريبا عمليا لمعالجة هذه القضايا و أمثالها . فأصبحت لجيل الصحابة ومن تبعهم عقلية اسلامية خالصة صيغت فى الصيغة النبوية وقلبت فى قالب الوحى والرسالة فلما واجهت هذه العقلية قضايا الفلسفات اليونانية والمصرية القديمة لم يتأثر بها ذووها ولم يشعروا بأى انهزام فكرى وتقهقر عقلى وخيبة علمية أمام هذه الفلسفات . بل انتقدوها انتقادا علميا . وعاملوها معاملة الجوهرى الخبير الذى يميز الخبيث من الطيب والفاسد من الصالح ـ ويجتنى مافيه خير له وللمجتمع . وقاموا

عملية جراحية على هذه الافكار الجديدة . وأخرجوا منها أجزاءها الفاسدة
واستخدموا الباقي في خدمة الاسلام والمسلمين وكانت هذه العملية
الجراحية عملية طويلة المدى . واستمرت حوالي أربعة قرون حتى جاء
عهد الامامين الغزالي والرازي . ورأى العالم أن الفلسفة اليونانية انهارت
انهيارا كاملا . وخرت للاسلام ساجدة

* * * * * *

وأما من ناحية الثقافة والحضارة فمؤلم أن نرى أغلب ما في حركة
يمكن أن نسميها نوعا من الردة أو نقول عنها إنها ردة دون ردة . ولعل
من القراء الكرام من ينكر هذا الاصطلاح أو يرتفع بكلمة الردة . ويرى
لا حاجة إلى هذا التهويل والازعاج . فان كلمة الردة ليست سبا ولا شتما
بل هي اصطلاح اسلامي يشير إلى حقيقة واقعة فليس مقصودي من
استعمالها أن أسب أحدا أو أشتمه . ولكننا نريد نكشف عن واقع مؤلم
وهل للردة معنى غير الرجوع المتعمد عن طريقة الاسلام
ومعالمه ؟ ولا شك أن كل من دعي بهذا اللقب في التاريخ الماضي عرف
أنه مرتد يختلف حقيقة عن ذلك إنهم كانوا أناسا آمنوا بعقيدة ، و
لأنفسهم طريقة ونظاما وقبلوا مبدأ . وكانوا على بينة من الامر . وقد
قبلوا على علم وبصيرة . ثم رجعوا عن ذلك كله رجوعا متعمدا و ارتدوا عنه
فسموا مرتدين

أفلا يعلم المسلمون في ضوء تاريخهم الطويل أن الاسلام ليس
اسما لمجموعة من العادات أو الطقوس فقط . بل هو نظام إلهي شامل
للمدنية و الحضارة . وهيئة اجتماعية اساسية تضم البشر كله وتجمعهم على
أساس العقيدة والنظرية ؟ ألا يعلمون رسول الله ﷺ بعد أن هاجر من مكة
المكرمة الى مدينة المنورة قام قبل كل شئ بوضع أسس المدنية
والحضارة الاسلامية ألا يعلمون أن المظاهر الثقافية لهذه الحضارة سماها
القرآن بشعائر الله و أوجب على كل مسلم أن يحافظ عليها و يحترمها

الامام حميد الدين الفراهى
حيـــــاته و مؤلفاتـــــه

للأستاذ سيد سعيد أحسن العابدى

ولد الامام حميد الدين الفراهى فى قرية «فريها» من قرى مديرية «أعظم كره» بالولاية الشمالية بالهند فى سنة ١٢٨٠ هجرية الموافقة سنة ١٨٦٢ ميلادية . فى أسرة لم يسجل لها التاريخ .. و كثيرا فى كتب التاريخ الحديث . لأحصل على بعض المعلومات فلم أجد شيئا يحدى فى هذا الصدد . إلا أنه تبين لى بعد ما بالعلماء الذين لهم صلة قريبة أو بعيدة به أنها كانت على قسط العلم والدين ، وكانت تتمتع باحترام بالغ فى قلوب الناس . حيث كانت لها الزعامة والقيادة فى القرية و فى القرى المجاورة لها

بدأ الفراهى دراسته فى بيته وقد حفظ القرآن الكريم أولا على عادة الأسر المسلمة المتمسكة بالدين الحنيف . فكان أبناؤها يحفظون القرآن الكريم كله أو بعضا منه . وبعد أن أكمل حفظه لكتاب الله أدخل فى مدرسة القرية لدراسة اللغة الفارسية التى كانت لغة الدراسات والثقافة الاسلامية في ذلك العصر و كان الله قد منحه ذهنا قويا ، فنبغ فى مدة قليلة فى هذه اللغة وآدابها وحصلت عنده ملكة شعرية جعلته ينظم القصائد على منوال الشعراء الفحول .

وبعد انتهاء دراساته الفارسية ، خرج من قريته ، وذهب الى العلامة شبلى النعمانى الذى كان من نابهى الذكر فى الهند ، والمتضلعين من الأدبين الفارسى والعربى مع علو كعبه فى اللغة الأردية وآدابها . وكان شبلى ابن عمة الفراهى . فأكمل عنده دراساته العربية والدينية حسب المنهج الدراسى السائد حينذاك فى الهند ، وكان هذا المنهج يحتوى على اللغة العربية والأدب والتفسير والحديث والبلاغة، والنحو والفلسفة والمنطق .

ولما قام شبلى النعمانى فى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى برحلة علمية داخل شبه القارة الهندية ، خرج معه الفراهى أيضا ، ومكث معه فى لكهنؤ عاصمة الولاية الشمالية . وهناك عرف العلامة أبا الحسنات عبد الحى اللكنوى صاحب المؤلفات القيمة فى الفقه والحديث ، ودرس عليه الفقه الاسلامى، كما اتصل خلال اقامته فى لكهنؤ بالأديب الكبير الشيخ عزيز الدين عزيز اللكنوى ، فأفادمنه كثيرا فى الأدب الفارسى وربطت بينهما علاقة ودية راسخة بقيت إلى أن فرق الموت بينهما .

رجع الفراهى من لكهنؤ بعد أن حصل على ماحصل من العلم والمعرفة وكان قلبه الطموح يبحث عن رجل يستطيع أن يشبع غلته . وكان قد سمع خلال إقامته فى لكهنؤ أن هناك فى لاهور عالما وأديبا كبيرا يدرس بكلية العلوم الشرقية THE ORIENTAL COLLEGE وهو العلامة الشهير فيض الحسن السهارنپورى ، فدب فى قلبه دبيب الشوق للالتحاق بهذه الكلية والاستفادة من علمه وفضله. فاستأذن من أبيه ، وخرج إلى لاهور ، ولكنه فوجىء لدى وصوله إليها لما علم أن ميعاد

الالتحاق قد فاته . ومن ثم كان عليه أن ينتظر إلى العام القادم . فلم يقتنع بهذا الخبر . وأراد أن يتصل بالعلامة فيض الحسن نفسه . ويعرض عليه أمره . فتم له ما أراد. ولكن فيض الحسن رد عليه «أنه ملتزم بنظام الكلية» وليس في استطاعته إدخاله فيها مادام ليس فيها مكان شاغر . كما أنه لا يقدر على إعطائه وقتا في المنزل . ولكن الفراهي قال له : «قد تحمل كل هذه المشقة ليستفيد منه فهل يرجع خائبا خاسرا . فأثر كلامه فيه . و قال «إن مشاغلي لا تترك لي بقية من الوقت إلا ما أقضيه في الطريق من البيت الى الكلية ؛ وأنا أستخدم عربة يجرها الخيل . فهل تستطيع أن تدرس على في الطريق بحيث تجرى وراء العربة . وأنا راكب فيها ؟ .. وكان فيض الحسن يريد اختبار إرادته . وشوقه العلمي ـ فقبل الفراهي ذلك . ولا ننسى هنا أن نذكر أنه كان من أسرة غنية ميسورة الحال . وأنه نشأ في ترف ونعيم . ولكنه حبه العلمي حمله يتحمل كل الصعوبات في سبيله فلما رأى فيض الحسن أنه صادق في إرادته تحول اليه . ومنحه جانبا لا بأس به من وقته وهكذا حقق الفراهي أمنيته وهي تكميل تخصصه في الأدب العربي عنده.

ولا نعرف الفترة التي أقامها الفراهي بلاهور . ولكن العلاقة التي نشأت بينه وبين أستاذه . كانت علاقة متينة للغاية واستمرت بعد عودته من لاهور . ولم ينس الفراهي أستاذه وفضله عليه طوال حياته . وقد قام بطبع ديوانه العربي على نفقته الخاصة . كما كان الاستاذ يفتخر بأن بين تلاميذه نابغة مثل الفراهي .

دراسته اللغة الانجليزية :

حينما رجع الفراهي من لاهور كان عمره عشرين سنة، وكان

ذلك في سنة ١٣٠٠ هجرية / سنة ١٨٨٢ ميلادية ، فعقد العزم على أن يتعلم اللغة الانجليزية ، رغم أن تعلمها كان يعد في ذلك الوقت كفرا عند بعض المتشددين من علماء المسلمين ، لأنها لغة الانجليز الذين قضوا بأفكارهم ، وسلوكهم على الروح الدينية ، والمزايا الشرقية في المجتمع الهندي . ولكن الفراهي رأى أن اللغة الانجليزية ، والثقافة الغربية لابد من تعليمها لأبناء المسلمين ، لأن الدفاع عن الاسلام و النبي الاكرم الذى جاء به صلى الله عليه و سلم وتاريخه ، كما أن نشر الاسلام ، وتعاليمه لا يمكن الا بالجمع بين العلوم الاسلامية العربية ، والعلوم الحديثة الغربية ، لأنه كان ذلك عصر الانتقال من طور إلى طور، وكان أهل الغرب قد نبغوا في الفلسفات الحديثة ، وأنشأوا علوما تقوم على التشكيك في العلوم الاسلامية عامة ، والعقائد الدينية خاصة . وكان الجيل الجديد من المسلمين متأثرا بالثقافات الغربية ، وآراء علماء الغرب،فكان من الضرورى توجيههم توجيها سليما ، ولا يمكن ذلك إلا بالوقوف الكامل على مناهج أهل الغرب في البحث والتفكير ، والتعمق في الثقافات الغربية . فالتحق الفراهي من أجل هذا الهدف بكلية عليكره الاسلامية . الجامعة الاسلامية حاليا ـ ورغم أنه التحق بها لدراسة اللغة الانجليزية ، إلا أن جهوده لم تقتصر في هذا الميدان فقط ، بل وسع دائرة نشاطه ، وبدأ يستفيد من الندوات العلمية والأدبية التى كانت تنعقد فيها ، ويشترك فيها كبار الأساتذة بالكلية ، أمثال العلامة شبلى النعماني، والأديب الكبير والشاعر المبدع ألطاف حسين حالي ، والمستشرق الانجليزى المعروف توماس ارنولد ، الذى كان يدرس الفلسفة الحديثة ، وكانت تعم هذه الندوات روح علمية .

وفضلا عن أن الفراهى أكمل فى كُلية عليكره الاسلامية دراسته للثقافة الانجليزية . فانه استفاد من المستشرق ارنولد فى دراسة الفلسفة الحديثة . فجمع صاحبنا بذلك بين الثقافتين الاسلامية والغربية . وزادت هذه الثقافات فكره وعقيدته تعمقا وسعة . وعملت على ترسيخ إيمانه بمبادىء الاسلام.

يقول العلامة المؤرخ السيد سليمان الندوى : كان مع كونه مثقفا بالثقافة الانجليزية . مثالا رائعا للاخلاق الحسنة . والزهد والتقوى. كان رحمه الله مطلعا على العلوم الحديثة . وخبيرا بمتطلبات عصره. وكان أول من كتب وتحدث في الفلسفة الكلامية بعد البحث والتمحيص والدراسة.وكان الذين تصدوا للكلام فى هذا المجال قبله يرددون كل ما قاله الآخرون . وان كانوا يزعمون أنهم مؤسسون لعلم الكلام». «وفاة «الفراهى» مقال نشر في مجلة «معارف» التى تصدرها دار المصنفين بأعظم گره فى سنة ١٩٣١م) .

وأصدق شاهد على ذلک أن الفراهى حينما كان يدرس على «ارنولد» لم يكن يسكت على كل أفكاره وآرائه سواء كانت اسلامية أم غير اسلامية،بل كان يناقشه مناقشة صريحة . ورغم أن أرنولد كان يعد من القلائل الذين أثروا فى أذهان المسلمين وغير المسلمين تأثيرا قويا جعلهم ينظرون اليه وأمثاله كأنهم قدوة فى البحث والتفكير . فان الفراهى لم يكن يعتبره الا مستشرقا يهدفه التشكيک فى الاسلام وعلومه، ونشر العلوم الغربية فى المجتمعات الاسلامية .

ولماألف «ارنولدكتابه السهيرالدعوة» الى الاسلامPREACHING OF ISLAM ملاء قلوب الناس غبطة و سرورا، فكانوا يعتبرونه خدمة

للاسلام والدعوة الاسلامية ، ولكن الفراهي كان أول من وقف على اتجاهه الاستشراقي في هذا الكتاب ، وأعلن أن المؤلف قد أهمل فيه مكانة الاسلام الروحية إهمالا يكاد يكون متعمدا ولم يتعرض لتسامح المسلمين مع غيرهم ، ولم يكتف بذلك ، بل هدم ركن الجهاد الذي يعد من أهم أركان الاسلام .

فالفراهي لم يكن اذن مقلدا أعمى لعلماء الغرب يقبل كل ما يقولونه ، بل كان يعرض أفكارهم على محك النقد ، فاذا صلحت قبلها وإلا نبذها ، و بين فسادها كلما استطاع إلى ذلك سبيلا .

وفي سنة ١٨٩٢ حصل الفراهي على شهادة الليسانس في الأدب الانجليزي من جامعة الله آباد ، واستمر في دراسته ، ولكنه لم يكمل دراسته للماجستير .

دراسته اللغة العبرية :

في سنة ١٩٠٦ ميلادية قدمت الحكومة البريطانية في الهند مساعدة مالية كبيرة الى القسم العربي في كلية عليگره الاسلامية ، ولكنها اشترطت أن يدرّس فيه أستاذ أوربي ـ وهذا دأب الاستعمار في كل مساعداته ـ فقبلت الكلية هذه المساعدة ، لأنها كانت في حاجة ماسة اليها وانتدبت المستشرق الألماني « جوزيف هورفيتس » لتدريس اللغة العربية ، وكان الفراهي قد عيّن أستاذا مساعدا في القسم المذكور .

وحينما تسلم المستشرق المذكور منصبه ، اتصل بالفراهي ، فعرف في أول لقاء معه مكانته العلمية ، ومهارته في اللغة العربية وآدابها ، ورغم أنه كان أستاذا ، ولكنه لم يتردد في أن يعرض على الفراهي أن يعلمه اللغة العبرية ، فقبل ذلك ، وكان المستشرق متخصصا

فى اللغة العبرية . فانتهز الفراهى هذه الفرصة وبدأ يدرسها على المستشرق ليستفيد بها فى دراسته للثقافات اليهودية والمسيحية . وقد أفادته هذه اللغة فى أبحاثه فيما بعد لاسيمافى كتابه « الرأى الصحيح فيمن هو الذبيح» الذى سوف نذكره انشاءالله .

كان الفراهى مع حدة ذهنه ، وكثرة فضله . وسعة علمه سليم الايمان ، قوى اليقين ، طاهر السريرة ، نقى القلب ، بعيدا عن الر ذائل، برا بوالديه مطيعا لأوامرهما فى الخير. وفى صغر سنه كان يقرأ على عمته « قصص الأنبياء» التى كانت تحب أن تسمعه القصص المقدسة للأنبياء الكرام. وبمزاولة هذا العمل قد تغيرت مناهج تفكيره ، ورسخ فى قلبه حب الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، حتى عرف ـ وهو لم يبلغ سن الرشد بعد ـ أن خير مسلك للحياة هو مسلك الأنبياء الذين كانوا يخطون كل خطواتهم فى سبيل الحق والخير .

وكان من ورعه أنه التزم الصدق منذ صغره . وهو يقول : «حيث لا يجد الناس حرجا فى قول الكذب قد التزمت الصدق ، وقد جربت فى حياتى أن صاحب الصدق لا يخسر أبدا» . كما أنه يحكى حكاية طريفة تدل على مدى التزامه صفة الصدق فهو يقول : «عندما كنت أعد العدة للسفر الى لاهور للتخصص فى الأدب العربى ، عند العلامة الشيخ فيض الحسن ، ودعت أمى و خرجت من البيت ، فلقيت أبى بالباب فسألنى عن مبلغ النقود التى أعطتنى والدتى ، ففكرت فى ذهنى إن أخبرته بالمبلغ الذى أخذته من أمى فربما وضعه مما يريد أن يعطينى من النقود ، ووقعت فى حيرة لا أدرى ماذا أفعل ، وبدا لى أنه لا محيص لى عن الكذب ، ولكننى صممت على أن لا أكذب ، فأجبت على سؤال أبى : لن أقول

لك شيئا ، فسره هذا الكلام. و قال : أن حميداً لا يكذب . وأعطاني مبلغا كبيرا من المال لم أكن أتوقعه ..

وكان من مظاهر ورعه أنه لم يكن قط يخوض في الحديث عن الناس . وكانت مجالسه العلمية تضم أناسا من كل الطبقات من الطلبة والعلماء والباحثين و أصحاب السياسة . ولكنها كانت بعيدة عن الغيبة والنميمة والنيل من أعراض الناس مهما كانوا. فان كان الحديث يتجاوز العلم والدين الى أخلاق الناس وعاداتهم كان الفراهي يوجه دفته الى المباحث العلمية والدينية بحيث لا يشعر بذلك أحد .

وكان ورعه أيضا أنه كان يتجنب الشبهات فضلا عن المعصية الظاهرة ، ويحكم بالحق ولو على نفسه خوفا من الله. فقد كتب تلميذه الجليل الشيخ أمين أحسن الاصلاحي : نشب نزاع بين أبيه وبين رجل من قريته حول قطعة من الأرض ، فجعل الرجل الفراهي حكما لهذه المشكلة ، وأذن له أن يحكم بمايشاء ، فبعد أن درس الفراهي المشكلة عرف أن الحق مع الرجل لا مع أبيه ، و حكم بتسليم الأرض فورا للرجل. و من هذا يتبين مدى عدالته كما يتبين مدى ثقة الناس به.

وكان الفراهي أيضا معتزا بنفسه. وقد شغل زمنا منصب عميد كلية «دار العلوم» في حيدر آباد ، وكان شغله الشاغل التدريس والتأليف، و مكث في منصبه أعواما أبى خلالها الاتصال بحاكم أقليم حيدر آباد الذي كان الناس يتمنون لقاءه . ولم يشأ حميد الدين الفراهي أن يلبي الدعوات المتتالية التي كان يوجهها اليه الحاكم لمقابلته ، ولكن ألح عليه بعض أصدقائه في تلبية الدعوة ، فذهب على مضض إلى قصر الحاكم ، ولم يلتزم الفراهي يومئذ بقوانين البلاط المعمول بها في القصر،

وحتى ألا يرفع صوته على صوت الحاكم ولا يتناقش فيما يراه الحاكم صوابا، وعندما يقوم من عنده يرجع رجعة القهقرى، فقد كان الفراهي يرى أن في هذا اهانة للنفس . وفضل مغادرة حيدر آباد مؤثرا الحفاظ على كرامته وعزة نفسه غير ملتفت الي المرتب الكبير الذى كان يتقاضاه في منصبه والذى كان يبلغ نحو خمسمائة جنيه في الشهر الواحد . وهو أعلى مرتب كان يتقاضاه أى شخص فى الهند . ولكنه لم يبال عندما أصبح الأمر متعلقا بكرامته .

إنتـــاجـــه

لم يكن الامام الفراهي مصنفا محترفا . بل كان همه إصلاح المسلمين عامة عن طريق إصلاح العلماء . اذ بيدهم زمام أمور المسلمين الدينية . كما جاء في وصفهم أنهم «ورثة الأنبياء» . وقد كتب أو أراد أن يكتب في جميع العلوم التى لها علاقة بكتاب الله. و اختار اللغة العربية ليكتب بها . فهى اللغة الموصلة الى فهم الاسلام . وهى كذلك اللغة المشتركة بين المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها . وقد اعترض عليه أحد معاصريه قائلا : لماذا تكتب باللغة العربية . ولا سيما تفسيرك للقرآن الكريم . وعارفو هذه اللغة فى الهند لا يتجاوزون عدد الأصابع ؟ فرد عليه : «إنى أفسر كتاب الله للعلماء . لأنهم هم الذين حدوا عن جادة الطريق فكريا وعلميا . فبدون إصلاحهم لا يتأتى إصلاح عامة المسلمين، وأنا أريد بتفسيرى للقرآن الكريم أن أدعو العلماء للقيام باصلاح أفكارهم وسلوكهم . لتزول الانحرافات التى جدت فى المجتمع الاسلامى . كما لا أريد ان تكون رسالتى مقتصرة فى بلد دون آخر . بل أريد أن تعم وتنتشر في جميع البلاد الاسلامية. ومن المعروف

أن لغة علماء المسلمين المشتركة هي اللغة العربية لغة كتاب الله وسنة رسوله . ولذلك اخترتها لنشر أفكاري ورسالتي ، وبالاضافة إلى ذلك كان الفراهي متحمسا للعرب ولغتهم تحمسا كبيرا . فقد كان يرى أن الدفاع عن العرب دفاع عن الدين . لأنهم حاملوا الدين الاسلامي ، والرسول صلى الله عليه وسلم بعث فيهم و منهم إلى الناس كافة .

وهنا نرى من المناسب أن نلقي أضواء خاطفة على بعض مؤلفاته . لكي يتبين للقارئ العربي الجهود التي بذلها هذا الرجل في سبيل خدمة العرب و نشر الاسلام.

(١) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان :

كانت حركة الاحياء في العلوم الاسلامية التي قامت عقب سقوط الدولة المغولية الاسلامية في الهند وسيطرة الاستعمار الانجليزي على شبه القارة الهندية رداً على افتراءات المبشرين والمستشرقين التي تزايدت عقب دخول الانجليز في الهند . وكان الهدف منها تقويض أركان الاسلام والقضاء على المجتمع الاسلامي والأصول الاسلامية السامية ، حتى يخلو الجو للانجليز دون منازع أو مدافع.

وكان من أبرز سمات حركة الاحياء هذه اهتمامها بتفسير القرآن الكريم بأسلوب جديد لاتلتزم فيه بالأساليب التقليدية التي درج عليها المفسرون الأوائل،وهي الاعتماد على اللغة العربية والأحاديث النبوية . ورغم توافر حسن النية وطهارة المقصد لدى بعض هؤلاء المفسرين الذين ظهروا في عصر الاستعمار إلا أنهم ما لبثوا أن حادوا عن جادة الطريق ، و انتهى بهم الأمر إلى القول بالاقاويل البعيدة والتاويلات الضعيفة في التفسير.وقد قوى هذا الاتجاه بدرجة كبيرة ،

حتى تكونت مدرسة سميت «بمدرسة أهل العقل و الرأى فى التفسير» و بدأت تفسير القرآن حسب فهمها لكتاب الله لا كما فهمه الرسول صلى الله عليه وسلم ، والمسلمون من بعده ، كما أنكرت المعجزات والدعاء وعددا كبيرا من المبادىء الدينية.

وعندما أعد الفراهى عدته للنظر المستقل فى العلوم الاسلامية والعلوم القرآنية ، وجد أنه قد آن الأوان له أن يقوم بالدعوة الصحيحة للاسلام ، وتنقية المجتمع الاسلامى الهندى مما أصابه من الأفكار الغربية الهدامة ، كما آن له أن يتصدى لاصلاح حال المسلمين فى البلاد ، ووجد أن هذا الاصلاح لا يتأتى الا بتوجيه المسلمين الى دراسة القرآن دراسة جديدة ، حتى تتضح لهم المقاصد العالية التى جاءبها ، وتتبين لهم التعاليم الاسلامية الغراء ، فيستطيعوا الصمود أمام التحديات الغربية الاستعمارية الالحادية ، كما يمكن لهم القضاء على الخلافات المذهبية التى كانت على أشدها فى عصره لبعدهم عن روح القرآن الكريم.

ولكن الفراهى قبل أن يقدم على هذه المهمة الجليلة الشاقة ، وقبل أن يرد ميدان التفسير ، وضع أصولا متينة للتفسير فى مقدمته التى سماها «فاتحة نظام القرآن ، وتأويل الفرقان بالفرقان» وقد وضع هذه الأصول لكى يمنع انتشار التفسير بالرأى ، ويفتح بابا لدراسة القرآن دراسة صحيحة.

ومنهج الفراهى فى تفسيره يشتمل على المبادىء الرئيسية : منها ، النظام ، والربط بين آيات القرآن و سوره ، فمعرفة النظام والربط عنده هى معرفة نصف القرآن ، فمن فاته النظام والربط فقد فاته شىء

كثير. كما أن السبب عنده فى الخلافات المذهبية التى جدت فى الأمة الاسلامية وأثارت بينها عداوة وبغضاء يرجع إلى عدم اعتناء العلماء بالنظام القرآنى . فهو يقول : فانى رأيت جل اختلاف الآراء فى التأويل من عدم التزام رباط الآيات . فانه لو ظهر النظام . واستبانت لنا مقاصد السور . لجمعنا تحت راية واحدة وكلمة سواء . كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء . وجعلنا معتصمين بحبل كتابه كما قال تعالى : «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا»(١) وهو يعنى بالنظام والربط أن تكون السورة كلها متكاملة مترابطة آياتها بعضها ببعض . ثم تكون ذات صلة بالسور السابقة واللاحقة . فكما أن الآيات ربما تكون معترضة فكذلك تكون السور أيضا معترضة . وعلى هذا الأصل نرى القرآن كله كلاما واحدا مترابطا فى نظام واحد .

والمبدأ الثانى الذى التزم به الفراهى فى تفسيره هو : تفسير القرآن بالقرآن . فانه يجعل القرآن أولا أمامه فى فهم معانيه . ومفرداته . ولا يرجع إلى مراجع أخرى إلا اذا أعيته الحيلة فى العثور على مفردات متشابهة المعانى . وعند ئذ يرجع إلى الحديث النبوى لفهم معانى القرآن . كما أنه يوجب الاستعانة بكلام العرب الجاهلى لفهم معانيه . وكان دأبه الاكثار فى الرجوع إلى أساليب العرب الموجودة فى أمهات الكتب العربية من الشعر والنثر لفهم مفردات القرآن . يقول العلامة سيد رشيد رضا(٢) :إن له لفهما ثاقبا فى القرآن . وأن له فيه مذاهب فى البيان . وطرائق فى الاستطراد منها القريب والبعيد . وأنه لكثير الرجوع باللغة الى مواردها . والصدور عنها ريان من شواهدها . فقد كتب فى تفسير كلمة «صغت» فى قوله تعالى : «إن تتوبا الى الله فقد صغت

قلوبكما».

(٢) مفردات القرآن :

لا يعد هذا الكتاب معجما لغويا لألفاظ القرآن الكريم كما يظهر من اسمه . بل شرح فيه الامام الفراهى بعض ألفاظ كتاب الله التى خالف فيها المفسرين واللغويين. وطريقته فيه أنه يبحث عن معانى هذه الالفاظ أولا في القرآن الكريم نفسه جريا على قاعدة «القرآن يفسر بعضه بعضا» . ثم يستدل على آرائه بكلام العرب الجاهلى من الشعر والنثر . كما أنه يكثر الاستدلال باللغة العبرية ولا سيما للألفاظ التى قال عنها بعض المستشرقين أنها ليست عربية . فهو يقول عن كلمة «الأب» الواردة في سورة «عبس» : «الأب» العشب والمرعى من أب يوب أبا وأبابا وأبابة : نشأ وطلع . وهى مادة قديمة جرى فيها تصرف اللسان فتجدها فى صور متشابهة . مثلا : أم . هم . هب . تأهب . فأب صورة أخرى لهب. ولذلک نظائر . مثلا : هز . أز . وأراق هراق. ثم يبين وجه تسمية المرعى والعشب «بالأب» فيقول : انما سمى المرعى أبا لنشأه بعد المطر . ومنه أبان النبات لأول خروجه . ثم توسع فقيل «أبان الشباب» لمناسبة ظاهرة . ثم أبان كل شيء أول وقته . وتجد هذه المادة بهذا المعنى فى العبرانية وهى أخت العربية ـــ (ا ب ب) ـــ (ا ب) الخضرة والثمرة ـــ (أبيب) السنبلة الخضراء . ومما ذكرنا يتبين أن هذه المادة مما عرفته العرب . و انما قل استعمالها فى أشعارهم لخفة مترادفاتها»(١).

فتكفى نظرة عابرة على هذا الكتاب لتبين تمكن الفراهى من اللغة العربية . وسعة اطلاعه على أساليب بلغاء العرب وفصحائهم .

(٣) جمهرة البلاغـــة :

بين الفراهي في هذا الكتاب آراءه ، ونظرياته البلاغية، ووضع أصولا جديدة في ضوء من القرآن وأساليب الشعراء والأدباء الجاهليين ، والذين عاشوا عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعصر ما قبل اختلاط العرب بالعجم.

والفراهي مع تقديره واحترامه للجهود التي بذلها علماء البلاغة وأئمة البيان لوضع أصول البلاغة العربية ، يرى أن معظم هذه الأصول مأخوذة من كلام اليونان الذي دخل بواسطة الترجمة ، ولذلك لا يمكن فهم محاسن أسلوب القرآن و مزايا كلام العرب البلاغية بهذه الأصول . والدليل على ذلك أن قدامة بن جعفر الذي يعتبر أول ناقد منهجي في اللغة العربية ، أستمد معظم أصوله من الأدب اليوناني. فانه أولا : جعل أساس الحسن والجودة في الكلام على الكذب. وثانيا : أعطى كل عنايته للصياغة والنظم لا للمعنى. وذلك يخالف روح الأدب الاسلامي . فاذا قارنا بين كتاب "نقد الشعر" لقدامة ،"والشعر" لأرسطو لوجدنا شبها كبيرا بينهما. فأرسطو وضع أصولا للنقد في ضوء كلام الشاعر اليوناني "سوفاكليس" الذي كان يصف الناس بخلاف ماهم عليه. أما الفن العربي فقد كان قائما على هذا الاساس الذي بيّنه طرفة بن العبد البكري في شعره :

و ان أحسن بيت أنت قائله
بيت يقال اذا أنشدته صدقا

فالفراهي يرد أن يضع أصولا للبلاغة والنقد في ضوء من الأدب الاسلامي الذي جاء به القرآن الكريم والحديث النبوي ، فهذا الأدب

يعنى بالصياغة ولا شك ، ولكنه يعطى أهمية كبرى للمعنى. ولذا يدعو الفراهى أن يتّرس فن البلاغة كفن فيه متعة للقلب والروح ، لا كعلم يقوم على المنطق ، والفلسفة . وذلك لايتأتى إلا بكثرة دراسة النصوص الأدبية من القرآن ومن كلام أساطين العرب فى العصور الأولى ، لا من كلام الشعراء المتأخرين الذين تسربت فى كلامهم كثير من الصنعة.

ويرى الفراهى أن الفن ليس مجرد وسيلة للذة ، ولا اشباع جوع النفس ، بل هو وسيلة لنشر القيم الأخلاقية ، والتعاليم النبيلة بأسلوب ممتع جذاب ، إنه يقول : إن الكلام لا يبلغ قلب العاقل إلا إذا كان معناه شريفا ، ولا اعتبار لتأثر الحمقى والأشرار ، فاننا نعطى الأشياء اسما نظرا لسلامة الحال . . . فالبليغ هو المعنى ، واللفظ مركبه ، فالمعنى أجدر بالنظر فى حسن الكلام».

(٤) الرأى الصحيح فيمن هو الذبيح :

لا نعرف تاريخ تأليف هذا الكتاب ، والنسخة الموجودة لدى ليس فيها تاريخ الطبع ، ولكننى أعتقد أن الفراهى ألفه فى سنة ١٩١٢ أو نحوه ، ففى سنة ١٩١١ اشتعلت حرب طرابلس الغرب ، وفى سنة ١٩١٢ تخلت الدولة التركية عن طرابلس وبنغازى لايطاليا. وقد شعلت هذه الحرب ضد بلد عربى عريق وجعلت المسلمين الهنود يبكون من أعماق قلوبهم ، ولا سيما بعد أن استولت ايطاليا على طرابلس وبنغازى. فكانت الهند التى ظلت تحت الحكم الاسلامى لمدّة قرون خرجت من أيديهم ، وها هو بلد عربى آخر يخرج من أيدى المسلمين ويحتله استعمار غربى. وكان الفراهى مرهف الحس،فقد حزن أشد الحزن على الكارثة التى أصابت الاخوة العرب ، فبكى وأبكى ، وحرض المسلمين

- على خوض المعركة والجهاد فى سبيل الله لتحرير الأرض. وقد عبر عن حزنه فى قصيدة نظمها عقيب الحرب مباشرة يقول فيها :

كيف القرار ونكست
أعلامنا بطرابلس
كيف القرار وحولنا
الأعداء ترتقب الخلس
من كل ذئب إن رأى
من عزة فينا اختلس
أو افعوان مطرق
ان لم نبادره نهس
نبكى على اخواننا
بين القتيل ومن جبس
كم من تقى طاهر
فيهم ونحرير ندس
هم أهلنا وعشيرنا
أفيألمون ولا نحس
يا أمة الاسلام
يا أبناء آباء شمس
هل تنعسون وخصمكم
عن كيده ما أن نعس
ألا تهبوا اليوم فالـ
اسلام يتعس بل تعس

قـــد زلـزلـت أركانـه
حتـــى تقعقعـــت الأسس
فالخصم يجهـد أن يـرى
الاســلام فـــى بؤس بئس
هـــلا ذكـرتم ما أصـاب
المسلميـــــن بأنـدلس
يغـــــون قـسطنطينيـــة
وبعـــدها أرض القـــد س

فهذه الأبيات تبين مدى حزنه على ما أصاب المسلمين العرب في هذه الحرب من الآم وأحزان . كما كانت قوة الا ستعمار الانجليزى قد بلغت أشدها في ذلک العصر،وكانت السلطات الانجليزية تحاول بكل الطرق القضاء على مشاعر الحماس . والمحبة التى كان المسلمون يكنونها في قلوبهم للعرب . وكان المستشرقون ينشرون من الأبحاث والدراسات المغرضة بهدف تشويه سمعة المسلمين العرب ومن ثم زاد تحمس الفراهي لقضية العرب . وعقد العزم على أن يتفرغ للكشف عن مزاياهم أمام الناس حتى يعرفوا خبث اليهود . ومكرهم و كيدهم .

وقد قسم الفراهي الكتاب إلى مقدمة . وثلاثة أبواب . وخاتمة . وجعل لكل باب فصولا . وعرض في المقدمة عرضا سريعا لمكانة التضحية في الاسلام الذي هو في حقيقته عبارة عن التضحية والفداء والخضوع الكامل لله تعالى. ولئن كانت الأديان السماوية اسلاما بالمعنى العام . ولكن هذا اللفظ «الاسلام» لم يطلق كالعلم والاسم إلاعلى هذا الدين الذى جاءبه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وذلک يدل على

مايحمله هذا الدين من المعاني السامية من تسليم النفس لخالق الكون ، والانقياد الكامل لأوامره . وإليه تشير هذه الآية الكريمة : «اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً» ، وكما قال في موضع آخر : «وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم ، وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل ، وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم ، و تكونوا شهداء على الناس».

ولما كان اليهود يقومون بدعايات كاذبة ومختلقة ضد العرب وتحاول صحفهم ووسائل إعلامهم تشويه وجوه العرب وسمعتهم أمام المسلمين وغيرهم ، رأيت من الواجب أن أعرف هذا الكتاب الجليل الصغير الحجم ، الكبير النفع بشيء من التفصيل . وهذا الكتاب يعرّف العالم العربي بالصورة الحقيقية لليهود ، لافي العصر الحاضر الذى اغتصبوا فيه فلسطين ، بل في العصر الماضي القديم الذى لا نعرف عنه إلا قليلا .

وإلى جانب هذه الكتب ، ألف الفراهي كتبا كثيرة أخرى كلها تسعى وراء هذه الغاية السامية ، ألا وهي إصلاح التفكير الاسلامي ونكتفي بذكر أسمائها :

١) أساليب القرآن
٢) أسباب النزول
٣) إحكام الأصول بأحكام الرسول
٤) الأزمان والأديان
٥) الامعان في أقسام القرآن

٦) أوصاف القرآن
٧) التكميل فى أصول التأويل
٨) دلائل النظام
٩) فقـه القرآن
١٠) القائد الى عيون العقائد
١١) كتاب الرسوخ فى معرفة الناسخ والمنسوخ
١٢) كتاب العقل وما فوق العقل
١٣) ديوانه العـــربى
١٤) ديوانه الفارسى ـ نوائ پهلوى.

وبعض هذه الكتب طبع فى الهند . بينما ظل بعضها مخطوطا لم ينشر بعد .

المـــــراجــــع

١) سورة آل عمران . ١٠٣
٢) مجلة المنار المجلد الثاني عشر . سنة ١٩٠٩ . ص ١٣٥ ـ
٣) سورة التحريم . ٤
٤) مفردات القرآن ص ١٥ . أنظر لسان العرب ٣ ـ ٤ . والقاموس المحيط ٤/١٩٤ . وقد رد المرحوم عباس محمود العقاد على أحد المستشرقين الذى زعم أن الكلمة ليست من العربية . راجع ما يقال عن الاسلام . ص ٢٦٨.
٥) ديوان طرفة تحقيق كرم البستاني . ص ٩٨
٦) سورة المائدة . ٣
٧) سورة الحج . ٧٨ـ

* * * * * *

لمحة خاطفة على الاتجاهات العلمية والفكرية في شبه القارة في بداية العهد المغولي

محمود أحمد غازي

كان السلطان الافغاني سكندر اللودهي بن السلطان بهلول اللودهي متربعا على عرش السلطنة الاسلامية حينما بدأ القرن العاشر من الهجرة. ويحتل السلطان سكندر اللودهي مكانة ممتازة بين أباطرة دهلي الذين حكموا شبه القارة خلال القرن العاشر للباقته السياسية وحنكته الادارية ونزعاته العلمية وشغفه الديني . ونرى الامام المحدث الشيخ عبد الحق يعبر عن تقديره وإعجابه بشخصية السلطان سكندر اللودهي بقوله : «والحقيقة أنه لا يمكن أن نحيط محامد زمانه ومزايا سلطنته بالكتابة والخطابة»(١).

وكانت للسلطان سكندر اللودهي نزعه علمية واتجاه ثقافي ـ وكان يرعى العلماء وأهل العلم والأدب ، حتى سجعت رعايته العلمية كثيرا من أولي العلم والأدب من خارج الهند ـ عربا وعجما ـ على أن يردوا الهند ويتوطنوها(٢). وكان شبه القارة وخاصة مدينة دهلي عامرة بأولي العلم الذين انحدروا من أوطانهم إلى هذه البقعة من الأرض. ومن

أشهر علماء عهده مولانا الهداد الجونبورى الذى ألف عدة كتب فى الفقه وشاه جلال الدين الشيرازى الذى هاجر من مكة المكرمة الى الهند، و كان يعد من كبار الاساتذة ا لذين اشتهروا بتدريس كتاب المثنوى المعنوى لمولانا جلال الدين الرومى - ومنهم الأخوان الشيخ عبد الله وعزيز الله الذان كانا يعتبران من أبرز اساتذة المعقولات فى حاضرة بلاد الهند - مدينة دهلى . و هذا الشيخ عبد الله ألف كتابا باسم بديع الميزان فى شرح ميزان المنطق . وتوجد النسخ الخطية لهذا الكتاب فى مكتبات رام بور وحيدر آباد وبانكى بور.

ويجدر بين علماء هذا العهد بالذكر الخاص مولانا سيد رفيع الدين الصفوى الذى كان ممتازا بجمعه بين المعقولات والمنقولات . وكان تلميذا للعلامة جلال الدين الدوانى الفيلسوف الايرانى الشهير وقرأ عليه المعقولات . وتتلمذ على الامام شمس الدين السخاوى وقرأ عليه المنقولات وخاصة علم الحديث الذى كان الامام السخاوى من أكبر أئمته فى عصره(٣) .

ولكن مع هذه الحركات العلمية كلها يجب الاّ نتغافل عن الحقيقة التى أشرنا إليها فى أحد بحوثنا . وهى أن المجتمع الاسلامى فى شبه القارة قد بلغ نقطة التشبع خلال العقود الاخيرة للعهد التغلقى وبدأت آثار هذا التشبع السياسى والاجتماعى تظهر فى مختلف نواحى الحياة. وبدأت كنتيجة هذا التشبع معالم اليأس والتشاؤم تظهر فى عقول الناس وأذهانهم . وجنبا الى جنب مع هذه الحالة نرى الحركة البهكتية على أشدها فى هذه الايام. وكان المفكر الدينى الهندوكى تلسى داس يؤثر تأثيرا بالغا فى الديانة والفلسفة والثقافة الهندوكية بآرائه المتأثرة

بالتوحيد الاسلامى وفكره الممزوج بالاسلام والهندوكية. وكانت إلى جانب هذا آراء كبير بهكت دورا غير صغير فى تقريب الاسلام من الهندوكية ، وهذه العلمية الخطيرة لو نجحت لأطاحت بالاسلام فى شبه القارة . وكان كبير هذا قد تأثر فى شبابه بشخصية رام نند وآراءه . ورام نند هو الزعيم الروحى الهندوكى الذى تولى كبر الحركة البهكتية فى القرن التاسع من الهجرة.

والقاعدة الأساسية التى أخذها كبير من مرشده وأستاذه رام نند هى اللامبالاة بالاسلام أو الهندوكية وعدم أخذهما كشرط أساسى للحصول على الكمال الروحى والنفسى للانسانية، وأدت هذه الحركة الى ظهور حركات وآراء مماثلة بين الصوفية المسلمين . وذلك لأن المجتمع الاسلامى فى شبه القارة كان ممتازا بصبغة صوفية عميقة منذ البداية. وسبب ذلك يرجع إلى الحقائق التاريخية التى تشهد على أن الاسلام فى هذه المنطقة من الأرض شاع ، بادئ ذى بدء على أيدى كبار الصوفية. وكان الشعب المسلم فى شبه القارة يجل الصوفية ويحترمهم ويقدر جهودهم حق التقدير. وبما أن التصوف والروحانية أمر يتعلق بالقلب وباطن الرجل لا بظاهره و جوارحه يصعب عادة أن يتميز الرجل الصوفى الحقيقى المتديّن الواصل بالله من المنتحل الشاطر المتقمص لباس الصوفية للتمويه على الناس. فظهر فى شبه القارة مثل الاقطار الاسلامية الأخرى أناس كثيرون ادعوا الروحانيات و تقولوا فى الدين الاقاويل. ولعبت الهندوكية فى ذلك دورا هاما.وبدأت تتسرب فى الجهاز الفكرى العاطفى الاسلامى بواسطة الروحانية والباطنية مستغلة بذلك بعض الجهلة

من الصوفية المسلمين. وازدادت في المسلمين والهنادكة رغبه شديدة لدراسة بعضهم دين بعض. فنرى في المسلمين أمثال رزق الله المشتاقي ومباركه الذين مهروا وبرعوا في علوم الهنادكة ودرسوها دراسة عميقة. وكذلك نرى من البراهمة من تضلّع بالعلوم الاسلامية ، حتى بلغ الأمر مبلغا نهائيا وظهر بين الهنادكة رجال بدؤا يدرسون العلوم الاسلامية على أيدى العلماء المسلمين ونرى المسلمين يرجعون الى الهنادكة والبراهمة لتعلم دينهم. ويندهش القارئ حينما يقرأ أن الشيخ ركن الدين الكنكوهي كان يذهب الى يوغي هندوكي يسمى بال ناتهـ ليستفى من علمه بالاسلاميات ويتعلم منه أسرار التوحيد«».

وكانت الطريقة الشطارية نموذجا كاملا لهذا الاتجاه الفكرى. وظهرت هذه الطريقة فى هذا العهد على يدى عبد الله الشطارى الذى توفى قبل اعتلاء السلطان سكندر اللودهى على عرش دهلى بأربع سنوات وتطورت هذه الطريقة على أيدى خلفاء مؤسسها فى العهد الاخير من حكم الافاغنة . ووطد رجال هذه الطريقة علاقاتهم الفكرية والروحية المتينة مع الهنادكة والبراهمة ودرسوا دياناتهم وآراءهم وألفوا كتبا تمثل اتجاههم الفكرى ، ولعل أهم ماكتبه هؤلاء الصوفية هو كتاب بحر الحياة للسيد محمد غوث الگواليارى الشطارى ، وهذا الكتاب هو النموذج الكامل لهذا النوع من الفكر الصوفى فى تاريخ شبه القارة.

ومن ناحية أخرى يمتاز هذا العهد بنفوذ آراء محى الدين ابن عربى بين العامة والخاصة. وأما قبل هذا فكان العلماء والفقهاء يحاولون أن يسدوا الطريق أمام انتشار آرائه فى الشعب. وأما فى هذا العهد فنبغ عدد من الصوفية الذين وقفوا أنفسهم على نشر آرائه وأفكاره. ويجدر

منهم بالذكر الشيخ على المهائمى والشيخ عبد القدوس الكنكوهى الذان كتبا شروحا لمؤلفات ابن عربى وخاصة لكتابه الشهير فصوص الحكم . ولعبت هذه الشروح دورا هاما فى نشر فكرة وحدة الوجود وترسيخ الآراء الوجودية فى الأوساط الدينية والصوفية . وكان الشيخ على المهائمى أشدهم تحمسا فى هذا المجال فانه ذهب إلى بلاد اليمن ليتعلم فكره ويدرس آراءه .و بلغ تحمسه لفكر ابن عربى إلى درجة أن سمى فى بعض الاوساط بابن عربى الثانى».

هذا ومن أهم ماشهده القرن العاشر من الهجرة فى نواحى الدين والثقافة هى الجهود الهندوكية الهجومية لاحياء الثقافة الهندوكية فى جميع نواحى الحياة. وتجلت هذه الجهود فى كثير من المظاهر بما فيها الديانة الالهيّة التى انتحلها الامبراطور جلال الدين أكبر والتى تولى كبرها ملا مبارك ناكورى وأبناه فيضى وأبو الفضل ، وظهرت لهذه الجهود نتائج جبارة فى كل ناحية من نواحى حياة المسلمين الاجتماعية والثقافية».

ويقول الاستاذ محمد أسلم إن الفكر الصوفى الاسلامى فى شبه القارة خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر قد غلب عليه السكر وتأثر من الفلسفة الويدانتية الهندوكية. ويرجع الفضل الاكبر فى القضاء على هذه النزعات الهندوكية فى الفكر الصوفى الاسلامى إلى الخواجه محمد الباقى بالله وإلى خليفته الشيخ المجدد الامام الربانى الذان روّجا فى شبه القارة الطريقة النقشبندية التى تومن بأنه لا يمكن الوصول إلى مراتب السلوك إلا باتباع الشريعة الاسلامية السهلة الغراء. ونبها الصوفية الى أن الوقت ليس وقت السكر بل الوقت قد حان أن يستيقظ .

الصوفية من سكرهم ويختاروا الصحو. ولعل كتاب اللطائف القدوسية للشيخ عبد القدوس الكنكوهي هو من أهم ما يرجع اليه كمصدر رئيسى لمعرفة الحالة الدينية والصوفية في، هذا العهد فنرى المجاذيب يكثر ذكرهم وعددهم في البلاد . حتى ذكر الشيخ عبد القدوس جماعة منهم في هذا الكتاب». وقدعم في هذا العهد بين أوساط الصوفية المسلمين مايسمى بالعشق المجازى. فترى أحد الصوفية المسمى بالشيخ حسن يعشق السلطان سكندر اللودهى لحسن بشرته وجمال صورته ولحلقه اللحية. ونرى آخر يسمى بالشيخ سلطان البهرانشى مغرما بعشق امرأة هندوكية».

وكان هذا كله تحت تاثير الحركة البهكتية التى تجلت في هذا العهد في صورة فكر جامع شامل والتى كانت تنادى إلى جمع كلمة المسلمين والهنادكة تحت لواء الفلسفة الوجودية البهكتية . و إلى جانب هذا نرى بين الهنادكة ظهور حركات تبشيرية تهدف إلى فتنة المسلمين عن دينهم وثقافتهم وحضارتهم . ونجحت هذه الحركات كلها في التغلغل حتى في الاوساط الحكومية فنسمع مثلا عن نصير خان أحد ضباط كاليى أنه « رغب عن الجادة المستقيمة للشريعة الاسلامية واتخذ لنفسه سبيل الالحاد والزندقة وترک الصلاة والصوم ووكل النسوة المسلمات إلى القوادين الهنادكة ليعلموهن الرقص(١٠)» ونسمع عن أحمد خان بن مبارک خان اللودى حاكم لكهنوتى أنه «سلک مسلک الارتداد بمصاحبة أهل الفكر وانحرف عن الدين الاسلامى»(١١).

وتغلغلت هذه الحركات الهندوكية في الفكر الصوفي الاسلامى إلى درجة بالغة المدى. وظهر تحت تاثيرها بين الصوفية المسلمين رجال ناووا بوحدة الأديان ووحدة الفكر الصوفى الوجودى. فنسمع الشيخ عبد

القدوس الكنكوهى أحد كبارالصوفية يصرخ فى احدى صرخاته الوجودية التى كانت تتناوب عليه أحيانا:

..لماذا هذه الصرخات ؟ ولماذا هذه الاصوات ؟ يقولون أن فلانا مؤمن ! وفلانا كافر ! و فلانا مطيع ! وفلانا عاص ! وفلانا مهتد ! وفلانا ضال ! وفلانا مسلم ! وفلانا صالح ! وفلانا ملحد ! وفلانا متق ! والحقيقة أن الجميع منسلكون فى سلك واحد»(٢٢).

وباعتلاء أكبر على عرش المملكة بدأ العهد الزاهر للعلوم والاداب الهندوكية . فنرى الملك يأمر أن تقرأ عليه أمهات الكتب الهندوكية المقدسة . فعهد إلى بعض العلماء نقل هذه الكتب إلى اللغة الفارسية ـ لغة الادارة والثقافة فى العهد الاسلامى فى شبه القارة . فقام المؤرخ عبد القادر البدايونى بنقل الراماثن إلى الفارسية وأتم الترجمة فى أربع سنوات . وأمر بعضهم بترجمة مها بهارت إلى اللغة الفارسية. ومن المعلوم أن راماثن ومها بهارت هما كتابان مقدسان لدى الهنادكة .

ولم يكتف الملك بقراءة هذه الكتب والاستماع إليهما بل استدعى اليه علماء الديانات والنحل من برهمية وبوذية وجينية وزردستية ونصرانية.

وأما العلوم الاسلامية فلم تلق أى اهتمام أو عناية من قبل الحكومة. وبما أن الناس على دين ملوكهم فنرى العامة يهملون العلوم والآداب الاسلامية. ويعنون بالعلوم الهندوكية والاداب الفلسفية وما يسمى بالمعقولات. ويروى لنا المؤرخ عبد القادر البدايونى أن القرن العاشر شاهد كثيرا من الناس يطعنون فى علوم الفقه والتفسير والحديث ويفضلون عليها علم النجوم والفلسفة الاغريقية القديمة والفلسفة

الهندوكية والطب والحساب والشعر والقصص وما إليها(٣٠) وما أنتجته قرائح العلماء المسلمين في هذه العلوم الاسلامية كان مقتصرا على تأليف الحواشي والشروح على المتون الفقهية القديمة. و نذكر فيما يلي بعض الكتب الفقهية القديمة التي ألفها فقهاء الهند في القرن العاشر الهجري(٣١) .

١ ـ الشيخ معين الدين العمراني :

أ ـ حاشية على التلويح

ب ـ حاشية على الحسامي

ج ـ حاشية على المنار

د ـ حاشية على كنز الدقائق للنسفي

٢ ـ مولانا أبو حفص سراج الدين عمر بن إسحاق :

أ ـ شرح الجامع الصغير

ب ـ شرح الجامع الكبير

ج ـ شرح الهداية للمرغيناني

د ـ شرح المختار

هـ ـ حاشية على المنار

٣ ـ الشيخ سيد يوسف الملتاني :

أ ـ حاشية على المنار

٤ ـ القاضي حميد الدين الدهلوي :

أ ـ شرح الهداية

٥ ـ الشيخ زين الدين بن عبد العزيز

أ ـ قرة العين في الفقة الشافعي.

ونرى شبه القارة بأسره خاليا عن علم الحديث فى القرن العاشر. فيروى لنا الاستاذ المؤرخ خليق أحمد النظامى أن هذا القرن رأى محدثين جديرين بالذكر فى شبه القارة وهما الحاج إبراهيم القادرى والشيخ إسمعيل اللاهورى. أما الشيخ إبراهيم القادرى فولد فى مانكپور وتوفى عام ١٠٠١هـ وتعلم الحديث فى بغداد حيث أقام ثلاث سنوات ثم رحل إلى مصر وقرأ الحديث على الشيخ شمس الدين العلقمى،وحصل على الاجازة عن الشيخ محمد بكرى الشافعى ، ثم أتى مكة المكرمة وتتلمذ لكبار المحدثين فى رحاب بيت الله العتيق . يليق بالذكر منهم الشيخ عبد الرحمن بن فهد المغربى والمحدث الهندى الكبير الشيخ على المتقى الهندى صاحب كنز العمال الذى عكف على تدريس الحديث فى المسجد الحرام أكثر من أربعين عاما. فبعد أن حصل على حظ أوفر من علم الحديث رجع الشيخ ابراهيم القادرى إلى مصر واشتغل هناك فى تدريس الحديث لمدد أربع وعشرين سنة. وكان من حسن حظ شبه القارة،أن غلبه الحنين الى موطنه ومسقط رأسه فغادر مصر إلى الهند وأقام بآگره حيث استعل فى خدمة الحديث وتوفى وهو يناهز التسعين من عمره (١٥).

ولكن على الرغم من خلو سبه القارة عن أى نشاط ملموس فى خدمة الحديث كانت منطقة گجرات على ساحل بحر العرب عامرة بنشاط كبير واسع فى خدمة الحديث النبوى حيث قام العلماء بخدمة هذا العلم الشريف دراسة وتدريسا وتاليفا وشرحا وقراءة . ولعل أجدرهم ذكرا هو الامام الكبير المحدث محمد بن طاهر الفتنى الذى فاق أقرانه واعترف بفضله علماء الآفاق والاقطار. ولد بگجرات ٩١٣هـ ونشأبها

وحفظ القرآن الكريم قبل أن يبلغ الحلم. وبعد أن تتلمذ لكبار علماء
كجرات وبرع فى عدة فنون شد رحله إلى الحرمين الشريفين سنة
٩٤٤هـ وأخذ العلم عن الشيخ أبى الحسن البكرى والشيخ الكبير أحمد
ابن حجر المكى والامام المحدث على المتقى الهندى الذى لازمه وأخذ
عنه كثيرا كما ذكره فى مقدمة كتابه مجمع بحار الانوار (١٥).

ورجع الى الهند واشتغل بخدمة الحديث النبوى تدريساً
وتأليفا. وكان ممتازاً فى صلاحه وورعه وعلمه ولم يبلغ أحد من أقرانه
مبلغه لا فى تعمقه فى علم الحديث ولا فى خدمته لهذا العلم الشريف
فانه قدورث من أبيه مالا كثيرا وأنفقه على طلبة العلم. وكان من
عادته أن يختار للعلم صبياناً صغاراً من الكتاتيب ويعلمهم وينفق عليهم
من ماله ثم يدربهم فى علم الحديث. حتى اذا فرغوا أتى بفوج جديد من
الصبيان.

وله مؤلفات عديدة فى علم الحديث منها مجمع بحار الانوار .
ولطائف الاخبار فى غريب الحديث . وتذكرة الموضوعات . والمغنى فى
أسماء الرجال . وتوفى رحمة الله فى سنة ٩٨٦ ودفن فى موطنه ومسقط
رأسه فتن (١٦). وكان رحمة الله من أشد المنتقدين على الحركة المهدوية
فهجم عليه جمع منهم يوما وقتلوه.

وأما البلاط الملكى فكان مملوءا من الجهلة المتمردين
المتفلسفين الذين كانوا متضلعين بالاداب الايرانية والعلوم الهندوكية.
وأما العلوم الاسلامية فكان يعتقدونها تقاليد وخرافات وكان دأبهم إيراد
الاعتراضات الفارغة على الدين الاسلامى وتعاليم الدين الحقة. وكان
البلاط على الرغم من ضمه عدداً غير قليل من الامراء والحكام والفلاسفة

ورجال الديانات الأخرى خاليا من علماء أهل السنة سوى عالمين اثنين اللذين جاهدا بقدر ما كان من مستطاعهما للحفاظ على الشريعة الاسلامية.

وبما أن هذين العالمين لعبا دوراهاما في الحياة الدينية والثقافية في شبه القارة بعامة وفي البلاط الأكبرى بخاصه تلم بنبذة من حياتها ليسهل على القارى الكريم تقدير دورهما.

فكان أحدهما الشيخ عبد الله السلطانبورى رئيس ديوان الافتاء في الدولة الاسلامية بشبه القارة منذ عهد السوريين. وكان منصب رئيس ديوان الافتاء يسمى في العهد الاسلامي بشبه القارة شيخ الاسلام. وكان شيخ الاسلام عبد الله السلطانبورى من سلالة انصارية انحدرت إلى بلاد الهند من جزيرة العرب ، وكان من فحول علماء عصره ومن كبار المتضلعين من الآداب العربية واصول الفقه والتاريخ وسائر العلوم النقلية. وكان صاحب المؤلفات الرائعة ، منها كتاب في عصمة الانبياء وكتاب في شرح شمائل النبي صلى الله عليه وسلم. و كان دائما يسعى لتنفيذ أحكام الشريعة الغراء وللدفاع عن منهب أهل السنة والجماعة الذى كان يتعصب له تعصبا شديدا(١).

وكان الشيخ عبد الله الانصارى من كبار الفقهاء والعلماء في عصره وكان يتحمس للدين ولمذهب أهل السنة والجماعة وكان شديدا على كل من خرج عن إطار أهل السنة متعصبا لمعتقداته مبادرا للقضاء على كل من خالفه في رأيه . وكان أحيانا يتجاوز الحد في معالجته لقضايا بسيطة. ويتطرف في أحوال تحتاج الى الاعتدال والتوسط.

وثاني اثنين من زعماء أهل السنة في البلاط الملكي هو الشيخ

عبدالنبى، عينه الامبراطورعام ١٥٦٥ صدر الصدور - وهو اسم لمنصب رئيس القضاة والرئيس الأعلى للشئون الدينية فى عهد المغول. وكان الشيخ عبد النبى رجلا عالما صوفيا روحيا. ينتمى الى الطريقة الجشتية. وزار البلاد العربية فى شبابه.

وكان الشيخ من أنصار المغول ضد الافغانيين . ولكن مع ذلك كان الملوك والسلاطين الافاغنة يجلونه ويقدرونه حق تقديره فالامبراطور شيـــر شاه الســــورى هو الذى عينه فى منصب شيخ الاسلام. فلما اعتلى جلال الدين أكبر على عرش الامبراطورية بعد هزيمة الافاغنة أصبح للشيخ عبد الله الانصارى.شأن كبير ومنحه الامبراطور جلال الدين أكبر لقب مخدوم الملك وأقطعه أراضى واسعة وقدم إليه مبالغ عملاقة ورواتب كبيرة . فأصبح الشيخ بذلك من كبار أغنياء الدولة(٣)

وتتلمذ على علماء الحرمين الشريفين . ثم اختار طريقة المحدثين وسلك مسلكهم فى المبالغة فى النقد على البدعات ورد بعض العادات الصوفية وأفتى بأنها بدعة ليست لها بالاسلام علاقة كالسماع وغيرها. ثم تردد إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة. ولما عين بمنصب صدر الصدور عمل عملا لم يسبق له مثيل فى تاريخ الهند فى عهد صدر آخر. وقام بتنظيم الاوقاف والشئون الدينية وما اليها تنظيما شاملا رائعا(٤).

وكان الامبراطور جلال الدين أكبر يجله ويحترمه فى بادى الامر كما كانت سيدات القصر الملكى يحترمنه ويجللنه. ولكن الشيخ عبد النبى كان رجلا غير لبق ساذجاً أشد فى التحمس للدين من زميله الشيخ عبد الله الانصارى.

تاثير الهنادكة فى شئون الدولة :

بلغ تأثير الشيعة فى شبه القارة أشده فى زمن الامير اطور نصير الدين همايون الذى استمان العاهل الايرانى الصفوى على حصول عرشه المفتقد من أيدى السوريين السنيين فاضطر همايون لكسب معاونته إلى أن يظهر ميوله الى الشيعة. فلما توجه تلقاء الهند على رأس جحافل أعدها له الامير اطور الايرانى صحبه سبع مائة عالم من علماء الشيعة الذين انحدروا معه الى الهند وتغلغلوا فى شئون الدولة وتسربوا فى الاجهزة الادارية والقضائية والثقافية. وكان ورود هؤلاء الجماعة الشيعية فاتحة لفيضانات متوالية لأهل العلم والاداب من ايران الى شبه القارة الذين قاموا بدور كبير فى تطوير الاداب والشعر الأردوى فى العهود اللاحقة.

ولما تولى أكبر الحكم بعد وفاة أبيه همايون فى الرابعة عشر من عمره انتهز هذه الفرصة أحد الأمراء الشعيين بيرم خان وتسلط على مهام الامور وجعل نفسه وصيا على الامبراطور الشاب. وبما أنه كان فى مقدمة رجال الحاشية فى بلاط الامر اطور الراحل فكان ابنه الامير اطور الجديد جلال الدين محمد أكبر يجله ويحترمه وينزله منزلة شيخه واستاذه.

ولم يلبث بيرم خان أن قتل تاردى بيک أحد كبار زعماء أهل السنة ولكن الامير اطور لم يأخذ عليه شيئا ولم يستنكر هذا الأمر. و هذا شجع بيرم خان وشيعته على التمادى فى خطتهم ، فجاء تلو هذا القتل تعيين الشيخ گداتى فى منصب رئيس القضاة. و كان الشيخ گداتى يميل الى المذهب الشيعى وكانت اتجاهاته اتجاهات شيعية واضحة. وفسر

الناس قتل تاردى بيک وتعيين الشيخ گدائى فى هذا المنصب الهام بالمـــرحلة الاولى لتنحية أهل السنة والجماعة من شئون الدولة ومن الجهاز الادارى واحلال الشيعة محلهم . ولم يكن هذا التفـــسير بدون مبرر. فان الحوادث التى تلت صدقت هذا التفسير ورأى الناس أن رئاسة الشئون الدينية بعد رئاسة القضاء وكلت الى عالم شيعى آخر . ومـن المعلوم أن رئاسة الشئون الدينية كانت تسمى بصدارة الصدور.

فكان صدر الصدور الجديد هو فتح الله الشيرازى الفيلسوف الايرانى الشهير الذى استدعاه الامير اطور الى الهند فى عام ٩٩١هـ واستقبله استقبالا رائعا وأحسن منزلته ، ثم عينه فى منصب صدر الصدور ولقبه بأمين الملک وعضد الملک. ويمكن تقدير سياسة صدر الصدور الجديد وأعماله ومنجزاته أن أول ما قام به هو تدوين التقويم الجديد المـسمى بالتقويم الألهى (على طراز الدين الالهى) . ونفذ هذا التقويم الجديد فى ٢٠ مارس ١٥٨٤ م ٩٩٢هـ فى الدولة . وكانت السنة فى هذا التقويم تحتوى على ٣٦٥ يوما وسميت أشهرها بنفس الأسماء التى كانت تسمى بها الأشهر فى ايران القديمة. ولم تكن فى شهرها أسابيع بل سمى كل يوم باسم خاص. واستمر هذا التقويم الجديد سائداً حتى عهد اورنگ زيب الذى بدله بالتقويم الهجرى الاسلامى(٣).

ويعترف الوزير الاكبرى أبو الفضل أن هذا العالم الايرانى لعب دوراهاما فى ترويج العلوم العقلية الفلسفية دون العلوم الدينية الاسلامية. وكان يتلقى فى هذه المساعى كل تشجيع وتقدير من قبل الامير اطور. وكان فتح الله الشيرازى بصفته كصدر الصدور رئيسا عاما لمصلحة التربية والتعليم . فحط من رواتب العلماء الذين كانوا يدرسون العلوم

الدينية . ولعب هذا الفيلسوف الشيرازى دوراً هاما فى اغلاق كثير من المدارس الدينية وزوال علوم الدين فى شبه القارة فى هذا العهد. وكانت النتيجة الطبيعية لسياسة إخماد العلوم الدينية أن قىل عدد العلماء المتضلعين من الفقه والتفسير والحديث. فترى الامام المجدد أحمد السرهندى يشكو الى الشيخ صدر جهان المفتى العام للدولة فى العهد الجهانكيرى أن مدينة سرهند لم يعين فيها قاض ولا مفت منذ مدة طويلة والناس يواجهون كثيرا من المشاكل فى أقضيتهم ومرافعاتهم وفق أحكام الشرعية الغراء(٣).

ولنرجع الآن الى الامبر اطور أكبر و مساعيه الهدامة لتسليط الهنادكة على جهاز الحكم وزيادة تاثيرهم فى الحياة السياسية. نجد أن فرغ الامبراطور من القضاء على نفوذ الامراء وخاصة بيرم خان بدأ عهداً جديداً فى توحيد الشعوب الهندية . فطفق يقرب زعماء الهنادكة وفتح لهم أبواب بلاطه على مصراعيها وذلك بجعلهم مناصب هامة إليهم المدنيّة منها والعسكرية. وأصهر إلى كبار أمراء الهنادكة. فتزوج بالاميرة الهندوكية أجودهابائى وعدد غير قليل من ، الهندوكيات الأخرى. وكان بين وزرائه وحكامه نخبة مؤثرة ذات تاثير ونفوذ من الهنادكة. فهذا بيربل الوزير والمستشار الهندوكى كان من أقربهم إلى الامبراطور . وكانا عاى حد قول المؤرخ عبد القادر البدايونى قالبين اثنين فى الظاهر وكانا فى الحقيقة ذاتا واحدة وشخصا متحدا . وكان أحدهم يقول للآخر بلسان حاله : لحمك لحمى ودمك دمى(٣). ولعب هذا الوزير دوراهاما فى تضليل الامبراطور وإفساده فى دينه. وكان فى الحقيقة شاعرا برهميا من قرية صغيرة. واسمه الحقيقى برهم داس. ثم شرفه الملك بلقب كب راى (ملك الشعراء).

وبعد ذلک اشتهر بلقب بیربل أو بیربر (السید الشجاع) وکان من أقرب الوزراء الى الملک ومن أکبرهم نفوذا وتاثیرا فی نفسیة الملک وفی الشئون الاداریة. وبالغ فی جهوده لادخال أکبر عدد ممکن من البراهمة والهنود فی القصر الملکی والبلاط الامبراطوری والجهاز الاداری والسیاسی.

وبالاضافة إلی ذلک کله احتل الهنادکة کبار المناصب. ویذکر الوزیر أبو الفضل فی کتابه آئین اکبری (التقالید والمبادیء الاکبریة) اسماء خمسة وخمسین هنادکة الذین کانوا یحتلون کبار مناصب الدولة. وکان کل واحد منهم علی منصب فوق منصب دوصدی (قائد مائتی جندی) الی منصب بنج هزاری (قائد خمسة آلاف جندی) . ویمکن أن یعادل هذا المنصب الأخیر بمنصب الفریق فی هذه الایام. ومن المعلوم أن حامل منصب فی النظام المغولی کان یحکم علی اقلیم أو مقاطعة أو مدیریة . فکان یجمع بین مناصب مدنیّة ومناصب نظامیة.

وشجع الهنادکة تاثیرهم ونفوذهم فی شئون الدولة علی عدم المبالاة بقانون البلاد ودستور الامبراطوریة. ویمکن تقدیر الموقف الهندوکی نحو القانون والدستور ونظام الحکم من حادث البرهمیّ الذی أحدث ضجة کبیرة أقلقت البلاد والبلاط وأخلت بنظام الامبراطوریة وأمنها وسلامتها.

أراد قاضی مسلم فی مدینة متهرا بناء مسجد . فجمع لذلک أثاث ومعدات ومستلزمات. فسرقها برهمی وفرّبها. فلما اعترض علیه القاضی وطلبه فی محکمته سب النبی صلی الله علیه وسلم وشتم الاسلام والمسلمین . ولم یعبأ بأمر المحکمة. فرفع القاضی أمره الی محکمة صدر

الصدور الشيخ عبد النبي الكنكوهي التي كانت أكبر محكمة في البلاد وفق دستور الامبراطورية . فأصدر صدر الصدور مرسوما بأمر البرهمي بالحضور في محكمته، ولكن البرهمي رفض عن الحضور في هذه المرة أيضا . فرفع صدر الصدور أمره إلى بلاط الامبراطور الذي شكل لجنة مكونة من أبي الفضل وبيربل وأرسلها الى متهرا . فذهبا الى تلك المدينة ، وتفقدا الاحوال ، فوجدا أن الشكوى ضد البرهمي صحيحة حقيقية. فذهبا بالبرهمي الى العاصمة. فلما حضر البرهمي الى العاصمة بدأ العلماء يناقشون في أمره وظهر اختلاف كبير في شأنه . فـــــرأى فريق من العلماء أنه يجب قتله ، ومنهم صدر الصدور. ورأى فريق آخر أن قتل الذمي الذي سب رسول الله صلى الله عليه وسلم لايجوز. فرفع الأمر إلى الامبراطور بعد أن افتى صدر الصدور بوجوب قتله. ولكن الامبر اطور كان يتردد في الأمر بقتله. وبعد أن أصر عليه صدر الصدور أحال عليه الأمر قائلا : أنت أعلم بأحكام الشريعة ، فافعل كما ترى. فأمر الشيخ عبد النبي بقتله بصفته صدر الصدور،وكانت سيدات القصر الملكي يضغطن على الامبراطور و على صدر الصدور أن يطلق سراح البرهمي وقلن إن هؤلاء « الملآيات » لا ينبغي أن يؤذن لهم بالاهمال برغبة الامبراطور وعدم المبالاة بما يراه الملك.

ويقول الدكتور اشتياق حسين قريشي انه اجتمعت هناك عدة أسباب أوجبت قتل البرهمي ودعت صدر الصدور الشيخ عبد النبي الى اتخاذ هذا الموقف الصلب واصدار هذا القرار الجرئ . أولا : انه سرق أموال وقف المسلمين ثم غصبها وأبى أن يردها إلى القاضي القائم بشئون المساجد والأوقاف . وثانيا انه سب النبي صلى الله عليه وسلم وثالثا،انه

أبى عن امتثال أوامر أعلى محكمة فى الدولة.

وكانت لقتل البرهمى عواقب خطيرة تركت آثارها على تاريخ الاسلام فى شبه القارة. وبعد هذه الوقعة فكر الامبراطور فى الحط من اختصاصات العلماء والفقهاء وخاصة منهم صدر الصدور . وأراد أن يختص لنفسه حق الترجيح فى الآراء المختلفة ليقلل الاعتماد على الفقهاء والعلماء فى شئون الدين وأحكام الشريعة.

فلما أحس أبو الفضل وأبوه شيخ مبارك بهذا التفكير من الامبراطور بادروا الى تحقيق أمينته وجاؤا بها الى حيز الوجود فأعدوا ذلك المحضر الشنيع الذى سماه بعض المؤرخين بمحضر العصمة. وتبعتها عدة خطوات متوالية اتخذها الامبراطور وتوطد بها تاثير الهنادكة والبراهمة ونفوذهم فى شئون الدولة والجهاز الادارى ونظام الحكم. ففى سنة ١٥٦٣ م ألغيت الضريبة التى جعلها بعض الأباطرة المسلمين على الهندوكيين الذين يزورون أماكنهم المقدسة ـ

وفى سنة ١٥٦٤ ألغيت الجزية التى فرضها فاتح السند محمد بن القاسم الثقفى على الهنادكة بصفتهم أهل الذمة فى السند وأبقاها ملوك الاسلام فى شبه القارة عبر القرون.

وفى عام ١٥٦٢ م ٩٧٠هـ والاعوام التى تلته تزوج الامبراطور. بالاميرات الهندوكيات من ولايات هندوكية ذات نفوذ سياسى وقوة عسكرية فى البلاد ثم أمر ببناء مايسمى. بالمعبد الملكى فى سنة ١٥٧٥ جمع فيه علماء الهنادكة والبراهمة وفلاسفتهم. وتحتاج مناقشة الدور الذى لعبه هذا المعبد الملكى فى تقويض دعائم الثقافة والحضارة الاسلامية فى عهد جلال الدين أكبر إلى مقاله مستقلة.

ولم يكتف الامبراطور بالتزوج مع الأميرات الهندوكية بل جمع الى جانبهن جماعة كبيرة من النسوة في القصر الامبراطورى قضاءا لشهواته العارمة. ويقول أبو الفضل أحدوزرائه المقربين و ثانى اثنين اللذين دبرا المؤامرة الشهيرة التى تعرف بأسم الدين الالهى . يقول في كتابه آئين أكبرى (أى الدستور الاكبرى) مانصه :

هر يكى از بردگيان را كه از پنج هزار افزودند جداگانه منزلى نامزد كردند.

وجعل (الامبراطور) لكل واحدة من اولئك السيدات اللواتى جاوز عددهن من خمسة الآف منزلا مستقلا (فى القصر)

ومن المعلوم أن أكثر هؤلاء النسوة كن هندوكيات.

وسمح لكل واحدة من هؤلاء النساء الهندوكيات فى القصر أن يعبدون أوثانهن طبق طريقتهن وأن يقمن بمراسم عباداتهن الدينية. وكان الامبراطور يشجعهن فى هذه العبادات ويشترك معهن فيها. وكان من الطبيعى أن يكون للأمراء الهنادكة تاثير كبير على شخصية الأمبراطورو نفسيته بواسطة هؤلاء النسوة.

وكان بيربر (أو بيربل كما يتلفظه بعض الناس) من كبار الامراء الهنادكة الذين كانوا يتمتعون بنفوذ كبير فى شخصية الامبراطور . وأقنع هذا الرجل الامبراطور بعبادة الشمس واتخاذ الزنار والقشقة. وكان الامبراطور يحبه حباجما وكان لايفارقه فى سفره وفى حضره.

وزين حبه الجم الشديد للراجبوت (قوم محارب من الهنادكة وأسلم بعضهم فى العهد المغولى المتوسط وبقيت أغلبيّتهم على

إنتها الهندوكية) عادتهم وأزيائهم وتقاليدهم الى الامبراطور فحلق
لحية تحت تاثيرهم ،واستبدل أزياءهم أزياء المسلمين . وبما أن الناس
انوا على دين ملوكهم سارع الناس وتبادروا الى اتخاذ كل تقليد
ندوكي وكل عادة هندوكية اتخذها الامبراطور وحاشيته.

المراجع

(١) الامام المحدث عبد الحق الدهلوي ، أخبار الأخيار ، ص ٢٢٠ ، طبع دهلي ١٣٠٩هـ

(٢) مصدر سابق.

(٣) مصدر سابق.

(٤) راجع للتفصيل : اشتياق حسين قريشي THE MUSLIM COMMUNITY OF THE INDO/PAKISTAN SUBCONTINENT.

(٥) راجع لطائف قدوسي ص ٤٧ للشيخ عبد القدوس الكنكوهي.

(٦) خليق أحمد النظامي ، سلاطين دهلي كے مذهبي رجحانات ص ٤٤٧ ـ ٤٤٨

(٧) راجع للبحث في الدين الالهي الاكبري بشيء من البسط والتفصيل الى مقالتنا التي طبعت تحت اشراف مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٩ م

(٨) لطائف قدوسي ، طبع دهلي ١٣١١هـ ص ٨ ـ ٩ نقلا عن النظامي ، سلاطين دهلي كے مذهبي رجحانات.

(٩) راجع اخبار الاخيار ، ذكر عشق الصوفيين

(١٠) طبقات أكبري ، مجلد ثالث ص ٣٣٦

(١١) مصدر سابق مجلد اول ص ٣٣٦.

(١٢) مكاتيب الشيخ عبد القدوس الكنكوهي ، طبع دهلي ، ص ٥٠٧

(١٣) منتخب التواريخ ، ج ٢ ، ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧

(١٤) خليق أحمد النظامي ، حياة الشيخ عبد الحق الدهلوي (باللغة الاردوية) ص ٤٥ ـ ٤٦

(١٥) خليق أحمد النظامي ، حياة الشيخ عبد الحق (بالاردو) ص ٤٠ ـ ٤١ وراجع لترجمة الشيخ ابراهيم القادري كلزار ابرار ص ٤٣٣ ومنتخب التواريخ ص ١٣٩ مجلد ثالث.

(١٦) طبع طبعا حجريا في الهند.

(١٧) نزهة الخواطر ، مجلد رابع ، ص ٢٩٨ ـ ٣٠١.

(١٨) منتخب التواريخ ، لعبد القادر البدايوني مجلد ٣ ص ٧٠

(١٩) العلماء في السياسة للدكتور قريشي (ULEMA IN POLITICS) وهذا الكتاب من أحسن ما ألف في الموضوع

(٢٠) منتخب التواريخ ، عبد القادر البدايوني مجلد ثالث ص ٨٠.

(٢١) محمد أسلم ، سرمايهٔ عمر ، ص ٩ ـ ١٢ و ص ٢١ ـ ٢٢.

(٢٢) محمد أسلم ، مصدر سابق ، ص ٢٩ ـ ٣٠.

(٢٣) البدايوني ، منتخب التواريخ ، مجلد ثان ، ص ١٦٦.

(٢٤) جيون ملا ، كلمة تطهيرية لعلماء الدين.

المخدوم محمّد هاشم التتوى
حياته و مكانتـــه العلميـــــة

للاستاذ الدكتور أحمد إقبال القاسمى

هو العالم الربانى محى السنة قدوة الفضلاء امام عصره الشيخ الكبير والعلامة الشهير المخدوم محمد هاشم بن عبد الغفور بن عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن خير الدين الحارثى السندى البتورائى ثم التتوى،كان من قبيلة بهنواتـــران قبيلة من القبائل العربية التى جاءت إلى السند مع محمد بن القاسم رحمه الله عليه واستوطنتها وكانت تسكن فى سيهوان وصارت معروفة باسم بهنور.

وكان الشيخ الفاضل عبد الغفور أبو المخدوم محمد هاشم من العلماء الكبار الذين اشتهروا لاعتنائهم بخدمة الدين والعلم وانتقل من سيهوان الى بتوره من أعمال تته حيث ولد له المخدوم محمد هاشم فى العاشر من ربيع الاول سنة أربع ومأة والـــف وكان أبوه أول معلم له . حفظ عليه القرآن وقرأعليه مبادىء العربية وكان والده يرغب فى تعليمه و تثقيفه رغبة شديدة، لما رآى من ولده صفاء الذهن وحدة الذكاء وشدة الانتباه. ولم يمض عليه وقت قليل حتى حصل ما أراد له ابوه . وأصبح مستعدا لطلب العلم ولكنه فوجئ بموت أبيه فتأثر بذلك تأثيرا كبيرا وكان آنذاك فى التاسع من عمره. فانتقل الى تته لطلب العلم . وكانت تته فى ذلك العصر مركز العلم و الحضارة والثقافة لاسلامية . وكانت مدرسة الشيخ أحمد الكتابى تعتبر منبعا للفيض والارشاد لاقليم السند . وكان طلاب العلم يفدون اليها من البلاد المجاورة لتلقى العلم .

أخذ المخدوم محمد هاشم الآداب العربية عن الشيخ محمد سعيد التتوى وقرأ الفقه والحديث على المخدوم ضياء الدين ولازمه كثيرا واجتهد فى الاستفادة من علمه وساعدته فى ذلك جودة ذهنه وعلو فهمه . حتى برع و مهر فى الفقه والحديث وفاق على أقرانه وساد على زملائه وهذا كله الى جانب قوته فى التدين والصيانة والعفة والبعد عن المنكرات والابتعاد عن الناس وكان عميق الفهم فى علوم الدين والآداب وكان يضرب به المثل فى الحياء والغيره والحمية للدين . ولم يتكبر على أحد من جلسائه قط . كبيرا كان او صغيرا . جليلا كان أو حقيرا. هذا مع ما اتصف به من كرم زائدواشتياق الى الخيرات وحبه لاهل العلم والفضل والصلاح والاحسان اليهم بما يستطيع ان يقدمه اليهم . وقد صنف وألف وانتهت اليه رئاسة العلوم الاسلامية فى عصره وصار من ابدع ابناء عصره

سافر المخدوم محمد هاشم إلى الحجاز وأدى فريضة الحج سنة خمس وثلاثين ومائة والف ١١٣٥هـ وسمع كثيرا من اصول الدين والعقائد وعلم القراءات وفروع الفقه الحنفى وكتب الاحاديث عن كبار مشائخ الحرمين كالشيخ عبد القادر الحنفى المكى والشيخ عبد بن على المصرى والشيخ محمد ابى طاهر المدنى والشيخ حى بن عبد الملك الدراوى . وكتب المخدوم محمد هاشم فى تصنيفه ..اتحاف الملاء.. عن تفصيل أسناد العلوم التى قرأها على شيوخه وقد جمع العلامة السيد فقير الله العلوى تلميذ المخدوم محمد هاشم تلك الاسناد فى رسالته ..وثيقة الاكابر..

كان المخدوم مع اشتغاله بالعلوم الظاهره عابدا ورعا مجاهدا يكثر الذكر مع التخشع والتضرع الى الله تبارك و تعالى وكان فى بداية حياته يميل الى الطريقة النقشبندية ويحضر فى مجالس الشيخ أبى القاسم النقشبندى الملقب بنور الحق الذى كان من كبار مشائخ أقليم السند فى عصره وكان له حظ وافر من العلوم الباطنية مع بصيره فى العلوم

الظاهرة وترجع سلسلة مشائخه الى الامام المجدد أحمد السرهندى رحمه الله . لما التمس المخدوم محمد هاشم أن يبايعه الشيخ أبو القاسم فى

الطريقة النقشبندية نصحه أن يرجع الى مرشد آخر وهو علامة العصر وصاحب الارشاد السيد سعد الله السورتى شيخ الطريقة القادرية . فحيما رجع المخدوم من الحجاز سنة ست وثلثين ومائة والف مكث فـــى بلـــدة سورت فى زاوية السيد سعد الله ولازمه سنة وحصل عنه الاجازة فى الطريقة القادرية ونال خرقة الخلافة ورجع الى تته فى ١١٣٧هـ .

ترجمة السيد سعد الله السلونى

هو العلامة السيد سعد الله سلونى من اسباط الشيخ بير محمد السلونى من مشاهير المشائخ . أخذ الطريقة عن والده عبد الشكور ثم سافر الى الحجاز فحج ورار المدنية المنورة واقام بالحجاز مدة من الزمن حيث اخذ عنه الشيخ عبد الله بن سالم البصرى صاحب ,,ضياء السارى فى شرح صحيح البخارى،، والشيخ أحمد النخلى وغيرهما من الائمة . ثم رجع الى الهند وسكن ببندرسورت . وصار مرجعا للانام وأقطعه الأمبراطور عالمكير قريتين وكان يكرمه ويجلّه وكان يخاطبه فى المراسلات بلقب سيدى وسندى . والعلامة سعد الله صاحب مؤلفات عديدة.

سلسلة مشائخ المخدوم فى السلوك

تنتهى سلسلة مشائخ المخدوم فى السلوك الى السيد عبد القادر الجيلانى بتسعة وسائط وهى كذا:

أخذ المخدوم محمد هاشم عن السيد سعدا لله السلونى عن والده عبد الشكور عن الشيخ ابراهيم عن الشيخ مسعود الا سفرائينى عن الشيخ على عن الشيخ جعفر عن الشيخ ابراهيم عن الشيخ عبد الله عن الشيخ عبد الرزاق عن والده الشيخ الامام عبد القادر الجيلانى .

أقام المخدوم محمد هاشم بعد البراعة فى العلوم الظاهـ

وزيارة الحرمين الشريفين في موطنه ومسقط راسة قرية ستوره . وكذلك مكث مدة قصيرة في قرية بهرامپور . ولكن لم تعجبه صحبة أهالي القرية. وكان المخدوم تستمه هذه البيئة الضيقه فكان يحاول أن يجد محيطاً اوسع ومجالس أرقى يبسط فيها علمه وآراءه وكان يريد تعميم التعليم والتربية والاستفادة لكى تقوى الروح الدينية فى الجيل الناشئ ليقوموا باعلاء كلمة الله ـ واحياء السنة النبوية وللقيام باعباء الجهاد وكان يحدد الوسائل التي يعتبرها كفيلة بتحقيق هذا الهدف العالي . همد اليه مخلصوه وأحبابه من اهل العلم يد الدعوة لاقامته في تته التي كانت موطن الحكم ومركز العلم والعلماء . فلبى الدعوة وقدره اهل العلم وأعيان الحكومة حق تقدير واستطاع المخدوم بانشاء مدرسة عظمية في وسط المدينة فلم يمض عليه وقت كثير حتى نالت المدرسة شهرة واسعة وأخذ الطلاب يفدون اليها من مسافات بعيدة لدراسة اللغة العربية وعلوم الدين وخاصة الفقه الحنفي . وبقي المخدوم رئيسا للمدرسة مدة حيا

دار الافتـــــــاء

والى جانب المدرسة اعتنى المخدوم بقيام دار الافتاء تعميما للنفع والافادة فياتيه عامة الناس للاستفتاء كما تاتيه الرسائل من جميع أماكن السند تسأله رأيه فى قضايا شرعية هامة ليفتى عليها . وكان تلاميذه ينقلون هذه الفتاوى . وهكذا دونت للمخدوم مجموعة من المذكرات العلمية فى مجلدين ضخمين تعرف بالبياض الهاشمي وتشتمل على نوادر مسائل الفقه والحديث والتفسير والعقائد والاصول وغيرها والحق أنها مثل دائرة المعارف.

وقد حصل المخدوم على درجة عالية فى الافتاء ويقال انه لم يصل اليها أحد قبله من الفقهاء فى اقليم السند . وروى أنه حينما تولى غلام شاه كلهورو ولاية تته واستقامت له الاحوال عين المخدوم محمد هاشم التتوي فى منصب قاضى القضاة اعترافا بعلمه ومنزلته وظل فائزا

بهذا المنصب إلى أن توفى إلى رحمة الله وهو يبلغ من العمر سبعين عاما في سنة أربع وسبعين ومائة والف من الهجرة ودفن في مقبرة على جبل مكلى في تته.

اعتناءه بتربية المسلمين

كان المخدوم محمد هاشم شديد الحرص وكثير الاعتناء بتربية المسلمين في عهده وتزكية نفوسهم وتنظيم أمورهم وتأديب أخلاقهم والعمل على اصلاح شأنهم في جميع نواحي الحياة . وما كان سعيه في الوصول الى ذلك الهدف الأسمى الاعن طريق اعادتهم إلى الله والعمل بالسنة وعن طريق احتذابهم بجو تقاليد أسلافهم وعن طريق اقامة الوحدة والالتئام بين صفوف المسلمين وهدم البدع و ازالة الفواحش و محو الاخلاق السيئة . و وضع لتحقيق هذه الاغراض أساليب متنوعه . وفيما يلي نذكرها بايجاز :

الخطب والمواعظ

قام المخدوم محمد هاشم بتنظيم مجالس الخطابة ودروس الحديث لابلاغ دعوة الدين إلى عامة الناس. وكان كل يوم يجلس في مسجده بعد صلوة العصر للوعظ وتدريس الحديث . وكان يخطب أيضا في الجامع الشاهجهاني . ولم تمنعه مكانته العلمية الرفيعة من الجلوس مع الناس في الاسواق والمجتمعات للافادة تسهيلا عليهم وتعميما لنفعهم.

تأسيس المدرسة في تته

أنشأ المخدوم مدرسة عظمية في تته وكان يهدف الى تخريج رجال وعلماء سيما هم التمسک بفضيلة الدين والتفاني في خدمة المسلمين . ونالت المدرسة شهرة واسعة واستفاد منها خلق كثير . ونبغ منها طائفة من العلماء والمحققين الذين تقدموا حركة اقامة الدين والوحدة الاسلامية والتضحية في سبيل الاسلام وجعلوا خدمة الدين والعلم الهدف الاول من حياتهم . مثل المخدوم عبد الرحمن والمخدوم عبد اللطيف من ابناء المخدوم محمد هاشم نفسه والشيخ نور محمد نصر پوري الذي أقام

مدرسة في نصر پور- والشيخ عبد الخالق تتوى الذى ترجم كتاب مطلوب المؤمنين من تصنيفٌ استاذه المخدوم محمد هاشم الى اللغة السندية فى الشعر . ولكن الذى كان من أبرز تلاميذه هو السيد فقير الله العلوى الذى برع فى علوم الحديث والتصوف والسلوك وحصلت له شهرة واسعة . كان يرجع اليه أمراء عهده يستشيرونه فى أمور البلاد وأنشأ السيد فقير الله مكتبة عظيمة فى شكار پور تحتوى على عدد كثير من الكتب الدينية . و له عدة مؤلفات منها فتح الجميل فى مدارج التكميل . وبراهين النجاة . والفيوضات الآلهية . و الفتوحات الغيبية فى شرح عقائد الصوفية . وترك ذخيرة عظمية من المكاتيب الى جانب هذه المؤلفات.

استخدام الوسائل والقوة السياسة لتطبيق أحكام الدين

لم يكن المخدوم محمد هاشم يشعر فى نفسه نحـــوٌ هادى تسود فيه الفرحة والسكون ، وذلك لأن القلاقل والتوتر والفتن التى كانت توجد حولـــه فى عصره جعلته يفكر دائما لاصلاح هذه الاحوال السيئة فانه كان يريد الاصلاح فى كل نواحى الحياة الاجتماعية. وكان فى تته عنصران بارزان من اسباب الفســـاد أولهما انتشار نزعات التشيع فى الطبقة العالية من الامراء والأغنياء واعيان الحكومة . وثانيهمـا تأثير الهنادكة فى الطبقة السفلى من عوام الناس . وكان ذلك كله بسبب العامل السياسى . فاستخدم المخدوم كل ما عنده من مواهب خطابية وعلمية فى سبيل مواجهة هذه الاتجاهات .

وقد اتخذ المخدوم قلمه وسيلة هامة لتوطيد روح الدين وترسيخها فى قلوب أهل وطنه . ودعاهم إلى اقامة الدين واحياء السنة فى اقليم السند . وحثهم على تأييد مذهب اهل السنة وعلى تحطيم محاولات الشيعة والهنادكة . وراسل ايضا بهذا الصدد بالعاهل الايرانى نادر شاه والعاهل الافغانى أحمدشاه الأبدالى وغيرهما من أعيان قلات ومكران يرشدهم فى تنفيذ أوامر الله واقامة حدوده والجهاد فى سبيله . وقد استمرت

مساعيه البالغة و نجحت الى حدٍ كبير. والذى يهمنا هنا أن أمراء البلاد وأعيان الدولة ساعدوه وتعاونوا معه فى هذه النزعة . فلما تولى أمراء عائلة كلهوره مقاليد الحكم فى تته لم يقصروا فى تأييدهم له ولجهوده . فان الأمير نور محمد كلهوره كان حاكما متدينا وكان شديداً ضد الهنادكة خاصة فى آخرَ ايام حياته . ففى سنة ١١٥٤هـ هجم على قلعة عمر كوت وغلب عليها . وحينما كان مشتغلا بمحاربة الهنادكة فى منطقة جيسلمير لبى داعى الاجل.

ولم يكن غلام شاه كلهورو الذى خلف نور محمد دونه فى حماسته للدين وعداوته للكفر ومحاربته للبدع و عادات الشرك فى السند، وكان يكرم المخدوم ويجله ويتلقى اشاراته بالقبول . حتى انه فوض المخدوم بوظيفة قاضى القضاة فى حكومته ونشر منشورا لعمال الحكومة كلهم وأمرهم أن يعملوا بتوجيهات المخدوم . ويعد هذا المنشور وثيقة تاريخية هامة ولها اهمية سياسية وتاريخية كما لا يخفى . وهى كمايلى :

ليعلم عمالنا ومؤظفونا فى الحاضر والمستقبل أن عليهم ان يجتهدوا جهداتاما فى العمل بماكتبه المخدوم محمد هاشم فى ترويج أحكام الاسلام وتنفيذها وفى منع الناس عن عقد المآتم وصنع التابوت وغيرهما من بدع المحرم وفى المنع عن شرب الخمر وسائر المسكرات وعن القمار والاختلاط بالشباب المرد والبغايا والمخنثين . وعليهم ان يمنعو المسلمين والمسلمات من النياحة على الميت وقت العزاء وان يمنعوا المصورين من تصوير ذوى الارواح . وأن يمنعوا الهندوكيين من كشف ركباتهم وقت جلوسهم على الدكاكين أو فى الشوارع أوفى الاسواق . ويلزم عليهم منع المسلمين عن قص لحاهم قبل بلوغها حد القبضة وعن اعفاء الشوارب ومنع الهندوكيين عن الاعلان بالهولى وبهكت (أنواع من المناسبات الهندوكية الدينية) والغناء وضرب المزامير والدفوف والنواقيس والسجدة الى الصنم وعبادة البحر . ويجب عليهم ان يزجروا الناس عن

هذه البدع زجرا بليغا حتى ينزجروا ولايجترأ أحد منهم على ارتكاب المحرمات والبدع القبيحة . وعليهم أن يحثوا المسلمين على اقامة الصلوات وصيام رمضان وغيرها من العبادات البدنية والمالية. والعمل بهذا المنشور واجب محتم . والمداهنة فيه يستوجب عليهم العقاب.

تحريراً فى اليوم الثانى من شعبان سنة ١١٧٢هـ

فبهذه الطريقة ساعد المخدوم على تطبيق أحكام الشريعة فى اقليم السند .

مـــؤلفات المخدوم

والى جانب هذا الجهاد العملى الضخم ألف كتبا كثيرة ترمى الى الغاية التى كان يهدف اليها جهاده . و تتدفق عواطفه وتظهرآماله فى هذه المؤلفات . وهى أيضا تكشف عن الاوضاع التى قام فيها المخدوم حاملا لواء احياء السنة بحماسته الشديدة للدين وتربية النفوس على الفضائل . وكان يعمل على تحقيق جميع الوسائل التى يراها كفيلة لتحقيق هذه الآمال. وقد اتخذ المخدوم مؤلفاته صلة بينه وبين معاصريه من أهل العلم ووسيلة لتغذية عقول القراء . وكان يكتب الرسائل الصغار على ما تقتضيه شئونهم الاجتماعية وحاجات أهل وطنه. فصارت رسائله كالمجلات والجرائد فى عهدنا . فكان يعلمهم بها واجباتهم ويهديهم الى الأخلاق النبيلة يبث فيهم روح الدين ويدعوهم الى الجهاد فى سبيل الله ويتعرض لكثير من المسائل ولم ينكر فيها أحد غيره من علماء عصره فى اقليم السند.

وكان المخدوم سببا فى تقدم حركة التاليف فى هذه البقعة من شبه القارة الهندية الى درجة عالية . وقد فتح للناس أبوابا كثيرة بمؤلفاته للبحث والمناقشة . وكان قويا على العمل ولذلك امتاز بين أقرانه بسرعة التاليف والتدوين . وكان أقدرهم فى ذلك لتعمقه فى الثقافة الاسلامية وآداب اللغة العربية . و تربو مؤلفاته على مؤلفات أقرانه من علماء السند بأسرهم . واستطاع أن يكتب حتى بلغ عدد مصنفاته ثلاث مائة كتاب.

حسب بعض الروايات . وقد ساعده على كثرة التاليف طول عمره وقطع فراغه للكتابة والتاليف.

وكانت العادة فى جميع أنحاء الهند أن جميع العلماء كانوا ينشرون مؤلفاتهم فى اللغة العربية أو الفارسية اذ كانت اللغة الفارسية اللغة الرسمية فى عهد المغول . واتباعا لهذه العادة ألف المخدوم محمد هاشم أكثر مؤلفاته وأهمها فى اللغة العربية وكان يخطب ويعظ فى لغة منطقته أيضا جنبا الى جنب باللغة الفارسية . ولقد نشطت فى ذلك العصر حركة انشاء خط اللغة السندية بفضل المخدوم الشيخ أبى الحسن السندى الذى قد بدأه وشكله على نمط خط اللغة العربية و لم يسبقه أحد فى هذا العمل. واتخذها وسيلة لكتابه المشهور المسمى بمقدمة الصلواة . فتبعه المخدوم محمد هاشم . وكان واسع الاطلاع مضطلعاً باللسان العربى والفارسى. ونقل كثيرا من كنوز اللغة العربية الى اللغة السندية حسب حاجة البلاد. وسبق فى هذا المجال علماء عصره . فسهل على تلاميذه التأليف فى هذه اللغة المحلية فكثر المؤلفون فيها و كثرت التاليفات فكانت هذه نهضة جديدة ثم أخذ المثقفون ينقلون الى السندية تراث أسلافهم حتى تطورت اللغة وازدهرت.

و قصارى القول أن المخدوم العلامة قد خدم العلم والاسلام فى اقليم السند خدمة لا تقدر . واتخذ خدمة الدين الهدف الاول من حياته و صرف عمره فى تدريس العلوم الدينية وتصدى لاصلاح الامة بنشر مؤلفاته فى علم التفسير والحديث والفقه والسيرة والتاريخ و والتصوف والتجويد . وراسل مع العلماء والامراء ليجذبهم الى دعوته . وقل أن يكون لمجهوداته ومساعيه نظير قبلــه . فقد كان العلماء يبرزون فى ناحية من النواحى المختلفة ولكن لاتكاد يوجد فى عصره من يتصف بهذا العلم الموسوعى الغزير . ويجدر بنا أن نذكرهنا تفصيل مؤلفاته ومصنفاته بقدر الامكان لتتجلى عبقرية المخدوم فى مجال الثقافة الاسلامية . والأسف اننا لم نقف

على تفاصيل كافة عن تاريخ حياة المخدوم وأحوال عصره وجمعنا هذه معلومات المنتشرة في مئات الكتب و وضعنا بعضها ببعض لتتجلى صورة اجمالية . فهذه قائمة كتب المخدوم على حسب الموضوعات .لا يقال انها جامعة لجميع مصنفاته

علم التفسير

١ ـ التفسير الهاشمي

٢ ـ تفسير سورة الكهف

٣ ـ تفسير سورتي الملك والنون

٤ ـ جنة النعيم في فضائل القرآن العظيم

٥ ـ كفاية القاري

علم التجويد

٦ ـ خلاصة البيان في عد آي القرآن

٧ ـ رسالة في تعداد وجوه القراآت الجارية في قوله : ,,حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا تعالى آخر الآية على وجه الضرب والحساب

٨ ـ رسالة في تعداد وجوه القرا آت الجارية في آية سورة ,,واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله الايه

٩ ـ " " في وجوه قرا آت الآية ,,وان من أهل الكتاب،،

١٠ ـ كحل العينين بما يقع من وجوه القراءة بين السورتين

١١ ـ كشف الرمز عن وجوه الوقف على الهمز

١٢ ـ تحفة القاري بجمع المقاري

١٣ ـ رفع الخطأ عن مسئلة الراء

١٤ ـ اللؤلؤ المكنون في تحقيق مدّ السكون

علـــم الحـــديث

١٥ ـ فتح الغفار بعوالى الأخبار

١٦ ـ حياة القارى بأطراف صحيح البخارى

١٧ ـ حلاوة الفم بذكر جوامع الكلم

١٨ ـ الحصن المنوع عما أورد على من أدرج الحديث الموضوع

١٩ ـ رسالة فى شرح قوله صلى الله عليه وسلم .. ويح عمار تقتله الفئة الباغية.

عـــلم الفقـــه

٢٠ ـ دستـــور الفرائض

٢١ ـ عين الفقـــه

٢٢ ـ مفتاح الصلـــوة

٢٣ ـ أساس المصلـــى

٢٤ ـ القول المعجب فى بيان كثرة تشهدات المغرب

٢٥ ـ اصلاح مقدمة الصلوة باللغة العربية

٢٦ ـ اصلاح مقدمة الصلوة باللغة السندية

٢٧ ـ درهم الصرة فى وضع اليدين تحت السرة

٢٨ ـ ترصيع الدرة على درهم الصرة.

٢٩ ـ معيار النقاد فى تميز المغشوش عن الجياد

٣٠ ـ تنقيح الكلام فى النهى عن قراءة الفاتحة خلف الامام

٣١ ـ كشف الرين عن مسئلة اليدين.

٣٢ ـ نور العين فى اثبات الاشارة فى التشهدين.

٣٣ ـ رسالة فى كيفية مسح الرأس

٣٤ ـ رسالة فى تقدير الغسل والوضوء بموازين بلدة تته

٣٦ ـ تحفة العلماء فى قول الصلوة خير من النوم فى اذان الفجر حال القضاء

٣٧ـ مظهر الانوار فی مسائل الصیام
٣٨ـ حیاة الصائمین
٣٩ـ زاد الفقیـــر
٤٠ـ رسالة فی مناسک الحج
٤١ـ حیاة القلوب فی زیارة المحبوب
٤٢ـ سفینة السالکین الی بلد الله الامین
٤٣ـ تحفة الساکین الی جناب الامین
٤٤ـ التحفة المرغوبة فی عدم کراهیة الدعاء بعد المکتوبة
٤٥ـ جمع الیواقیت فی تحقیق المواقیت
٤٦ـ رشف الزلال فی تحقیق فیء الزوال
٤٧ـ فتح الکلام فی کیفیة اسقاط الصلوة والصیام
٤٨ـ الحجة الجلیلة فی حکم کراهیة سؤر الأجنبیة
٤٩ـ رسالة فی الجواب عما کتب بعض الافاضل فی الجواب عنها.
٥٠ـ فیض الغنی فی جواز نکاح البالغة بدون اذن الولی
٥١ـ رفع الغین عن مسئله الجمع بین الصمتین
٥٢ـ شد النطاق فی ما یلحق من الطلاق
٥٣ـ تمام العنایة فی الفرق بین صریح الطلاق والکنایه
٥٤ـ فاکهـــة البستان
٥٥ـ راحـــة المؤمنین
٥٦ـ رسالة فی ذکر کیفیات الصلوة علی النبی صلی الله علیه وسلم.
٥٧ـ السیف الجلی علی ساب النبی صلی الله علیه وسلم.
٥٨ـ رسالة فی أن ساب النبی صلی الله علیه وسلم وان أسلم لا یسقط عنه القتل.
٥٩ـ نتیجة الفکر فی تحقیق صدقة الفطر
٦٠ـ رسالة صغری فی تقدیر صدقة الفطر

٦١ ـ سد الباع الى تحديد الصاع
٦٢ ـ فتح الخلاق بموازين السبحة من الاوقات
٦٣ ـ رفع الغطاء عن مسئلة جعل العمامة تحت الرداء
٦٤ ـ القول الأنور فى بيان حكم لبس الاحمر
٦٥ ـ تحفة الاخوان فى منع شرب الدخان
٦٦ ـ موهبة العظيم فى ارث حق مجاورة الشعر الكريم
٦٧ ـ رفع المنكب الى تكثير التشهدات فى صلوة المغرب

علم أصول الفقه

٦٨ ـ الفصل المبين بحل عقدة قولهم الشك لا يرفع اليقين
٦٩ ـ رسالة فى تحقيق أن الواجب على العالم المقلد اتباع المجتهد او العمل بظاهر الحديث
٧٠ ـ الطراز المذهب فى ترجيح الصحيح من المذهب
٧١ ـ البياض الهاشمى.

علم السيرة

٧٢ ـ بذل القوة فى حوادث سنى النبوة
٧٣ ـ منح العلى فى حوادث سنى نبوة النبى
٧٤ ـ حديقة الصفا فى أسماء الرسول البشير
٧٥ ـ فتح القوى فى نسب النبى صلى الله عليه وسلم.
٧٦ ـ قوت العاشقين
٧٧ ـ الباقيات الصالحات فى ذكر الازواج الطاهرات
٧٨ ـ تحفة المسلمين فى تقدير مهور أمهات المؤمنين
٧٩ ـ رسالة فى مناقب أهل البيت المسماة وسيلة الغريب الى جناب الحبيب.
٨٠ ـ زاد السفينة لسالكى المدينة
٨١ ـ ثمانية قصائد فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم

علـــم أسمـــاء الـــرجال

٨٢ ـ رسالة فى تحقيق أسانيد حديث اقتلوا الساحر والساحرة
٨٣ ـ النور المبين فى جمع أسماء البدريين
٨٤ ـ أصح الاسانيد

علـــم العقـــائـــد

٨٥ ـ بناء الاســـــلام
٨٦ ـ فـــــرائض الايمـــان
٨٧ ـ رسالة فى تحقيق الكلام فى الرد على من نفى صحة السلام على المخطى بكلمة الاسلام
٨٨ ـ تحقيق المسلک فى ثبوت اسلام الذمى بقوله للمسلم انا مثلک
٨٩ ـ رسالة فى الحكم بالاسلام على الذمى آنندرام

علـــم التصـــوف

٩٠ ـ وسيلة القبول فى حضرة الرسول
٩١ ـ ذريعة الوصول الى جناب الرسول
٩٢ ـ بسط البردة لدى ناظم البردة
٩٣ ـ شفاء الحنان لأهل الصدق والايقان
٩٤ ـ الوصية الهاشمية
٩٥ ـ تهذيب الاصلاح فى تنوير المصباح
٩٦ ـ رسالة فى موعظة ما يتعلق بأحوال القبر وما بعده
٩٧ ـ تحفـــة التائبين
٩٨ ـ ترجمة دعائين (بالسندية)
١ ـ أللهم انى أعوذبک من أن أشرک الخ
٢ ـ الله ربى جل جلاله و محمد رسولى والقرآن امامى الخ.

علـــم العـــروض

٩٩ ـ التحفة الهاشمية فى شرح القصيدة القاسمية.

فن التصنيف والتاليف

١٠٠ ـ ارشاد الظريف لاطوار التصنيف

اصـــــلاح الســلک

١٠١ ـ كشف الغطاء عما يحل و يحرم من النوع والبكاء

١٠٢ ـ رسالة فى المنع عن المأتم فى ايام عاشوراء

١٠٣ ـ السنة النبوية فى حقيقة القطع بالافضلية

١٠٤ ـ الطريقة الاحمدية فى حقيقة القطع بالافضلية

١٠٥ ـ الحجة القوية فى القطع بالافضلية

١٠٦ ـ النفحات الباهرة فى جواز القول بالخمسة الطاهرة

١٠٧ ـ السيوف القاهرة على ساب الخمسة الطاهرة

١٠٨ ـ الحجة القوية فى الرد على من قدح فى الحافظ ابن تيمية

١٠٩ ـ التحرير الكبير فى الرد على من اعترض على الحافظ ابن تيمية

١١٠ ـ الشفاء الدائم عن اعتراض القائم

١١١ ـ قال اقـــول.

اسنـــــاد العلـــوم

١١٢ ـ إتحـــاف الاكابر بمرويات الشيخ عبد القادر

١١٣ ـ نور البصائر فى تكملة ذيل اتحاف الاكابر

١١٤ ـ غاية النيل فى اختصار الاتحاف والذيل

١١٥ ـ الرحيق المختوم فى وصل اسانيد العلوم.

* * * * * *

خواطـــر حـــول مشـــكلاتنـــا التربويـــة والثـــقافيـــة
(معرب)

الأستاذ محمد ظفر احمد الانصاری

لا يخفى شان التربية فى تكويـن شخصـية الامة و موقفها و مصيرها ونظرتها إلى الكون. فلا حاجة بنا إذن إلى الافاضة فى هذه النقطة ولا إلى الاسهاب فى الحديث عن الاهتمام الفريد والتأييد القوى اللذين اولاهما الاسلام للتربية والتعليم. وانما يكفينا هنـا أن نذكر أن التـربية والتعليم فى أى مكان كان ، لم تكونا تتعديان ـ قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ـ ان تكونا امتيازات خاصة لفئة مختارة وليستا حقا متاحا لعامة الناس .

وسوف يطول بنا الحديث كذلك ، اذا حاولنا استعراض منجزات الشعوب الاسلامية فى حقول التربية والتعليم والثقـافة والحضـارة ، فى غضون قرابة الف ومئتى سنة من عهودهم الزاهرة ، قبل أن يبدأ عهد الانحطاط منذ قرنين. على انه يجدر بنا أن نذكر بأن اول سورة نزلت على الرسول الكريم صلوات الله عليه كانت تبدأ بكلمة «اقرأ» وتنوه بشـأن القلم» ، وبأن سنة النبى القولية والفعلية قد أوجدت فى عقول المسلمين رغبة ظمأى الى اكتساب المعرفة والتعلم وكان من نتيجة ذلك أن أصبح المسلمون فى غضون مئة سنة او تزيد قليلا ، هم الوارثين بحق لجميع ما أنجزه الفكر البشرى حتى ذلك الحين ، ثم سرعان ما انهمكوا فى اعطائه وجهة جديدة فى ضوء افكارهم ومثلهم الخاصة. ثم كانوا هم على مدى

القرون الاثنى عشر التى تلت ذلك ، حملة مشعل التعليم ، وناشرة نور المعرفة فى جميع انحاء العالم المعروف أنذاك. وتلك حقيقة لا يستطيع أن ينكرها حتى الباحثون من غير المسلمين. ولقد بقيت البلاد الاسلامية حتى قبيل قرن و نصف ، تضم اكبر نسبة من عارفى القرأة والكتابة ، واكبر عدد من المؤسسات التروية التى تيسر التعليم بالمجان لا بعد مدى ممكن،

وكان عدد الكتب المؤلفة باللغة العربية وحدها ، أكبر من عدد الكتب المؤلفة باللغات الاوربية مجتمعة. وبفضل هذا التراث الذى خلفه المسلمون ، استطاعت اوروبة ان تسير الى الامام ، واستغلت النزعات الداخلية بين المسلمين واستفادت من سباتهم وتراخيهم واستسلامهم الى حياة الترف والدعة ، حتى استطاعت اخيرا ان تبذهم وتسبقهم ، وتستولى على معظم بلاد المسلمين ، وتصيّر المسلمين الى عبودية سياسية محضة.

على ان المد الدولى قد تحول لصالح المسلمين فى غضون العقود الثلاثة الاخيرة ، واستطاعت اغلبية شعوب العالم الاسلامى ان تحصل على تحررها السياسى. ولقد كان من الواجب حين احراز هذا التحرر السياسى ان تحتل مسألة معاييرنا التربوية والثقافية المكانة الاولى.

ولكن ذلك لم يحدث لسوٓ الحظ : بل حدث النقيض من ذلك : ففى الوقت الذى اصبح فيه الغزو الثقافى من الاقطار الاجنبية اكثر شدة واكثردهاء ، سمحنا لانفسنا ان ننساق فى تيار الاستعباد الثقافى بسرعة اكبر بكثير مما كانت عليه فى عهد استعبادنا السياسى . ذلك ان الشعوب والبلدان الاسلامية التى تحررت سياسيا ، لم تدرك الا قليلا ان التحرر الثقافى والاحتفاظ بكيان ثقافى متميز ، امر حتمى ولازم لاى امة تريد ان تحيا حياة كريمة وتتوق الى مساهمة مثمرة فى سبيل الانسانية جمعاء. وذلك من باب اولى اكثر تحتما فى حالة المسلمين الذين عليهم ان يدركوا انهم امة ذات رسالة عالمية وشاملة ، وان الله قد ابتعثهم ليقودوا البشرية فى طريق الحق والخير ، وينأوا بها عن سبيل الخطيئة والضلال.

في ضوء هذه الملاحظات التمهيدية الموجزة ، التي تتطلب كل منها شرحا وافيا في صفحات او فصول ، نستطيع الانتقال الى تفحص المعالم الاجمالية البارزة للتربية والثقافة في العالم الاسلامي اليوم.

واول ما يستلفت النظر من هذه المعالم ، في الحياة التربوية للعالم الاسلامي المعاصر ، وجود نظامين تربويين معاصرين مستقلين ، يعيشان جنبا الى جنب ، ويختلفان كل الاختلاف في اهدافهما واغراضهما ومنا هجهما وحتى في البيئة التي تضمهما ولقد ادى هذان النظامان المتنافران الى انتاج مجموعتين من الناس ، يحملان نظرتين متباينتين الى الحياة ، ولا تستطيع اى منهما ان تنظر الى وجهة نظر الاخرى بعين الاعتبار.

أولى هاتين المدرستين ، وهي التي يمكن ان نسميها النظام التقليدي للتربية اونظام التعليم الشرعي ، تعود عدة قرون الى الوراء ، وتعيش في ظروف لم يعد لها الآن وجود. وتضم مناهجها ما يعرف بصورة عامة باسم العلوم الشرعية ، بالأضافة الى بعض العلوم المساعدة كعلم الكلام والمنطق والبلاغة وما الى ذلك ولقد مضى وقت كانت فيه هذه المدارس تخرّج ناسا أكفاء للسير بذلك المجتمع القديم بصورة عامة ، كما تخرج اختصاصيين في مختلف فروع الاسلاميات وسائر حقول المعرفة. على ان هذا النظام لم يعانِ الا تبدلا بسيطا في غضون القرون القليلة الماضية في حين تطور العالم تطورا كبيرا في جميع الميادين ولقد نجم عن ذلك بشكل طبيعي ، تقلص في تاثير خريجي هذا النظام وفعاليتهم. فهذا النظام التربوي كما هو اليوم ، ليس اهلا لتخريج ذلك النمط من الناس الذى يستطيع تسيير مجتمع اليوم ، من اقتصاديين ، ومخططين اجتماعيين ، وعلماء اداريين ، ومعماريين، وفنيين ، ومهندسين ، وسياسيين ، اوباختصار ذوى الشان في تحديد طابع المجتمع الذى ننشئه وتحديد هذا المجتمع ووجهات نظره وخط سيره. وانما يقتصر هذا النظام الشرعي

الان على معاهد للاختصاص* فى الاسلاميات، وتخريج الأئمة والخطباء والمفتين والوعّاظ وكذلك المدرسين لمعاهد من هذا القبيل. ونظرا للفكرة السائدة عن نقص فى دراية هؤلاء الخريجين بتيارات الفكر المتد فقة من البلدان والمجتمعات الاجنبية . فقد ظلوا دون كبير تأثير فى مقاومة تسرب الافكار السقيمة الى الاجيال الصاعدة. ـ

ومن الوضح ان نظام التعليم الشرعى قد بقى ـ لاسباب لا مجال لسردها هنا ـ بعيدا عن اى تعديل ، نائيا عن واقع الحياة اليومية الحاضرة ، عاجزا عن مواجهة المتطلبات التابعة من تبدل الظروف مما دعا قسما كبيرا من المسلمين فى كل بلد من بلدان المسلمين تقريبا ـ الى اللجوء الى التعليم تطعيما فعالا وان يكن غير خالص النية غالبا ـ بمعونة الاجانب والنظم الاجنبية للتربية بوجه الاجمال. ولا مجال للتطرق هنا الى مناقشة الاسباب والظروف التى ادت الى هذا الوضع ، واوجدت هذه الهوة بين قطاعى المثقفين المسلمين ، تلك الهوة التى لا تزال فى اتساع مستمر . ولا تزال تنزل ابلغ المضار بوحدة الفكر ووحدة الهدف ووحدة التطلع وبقيام الامة بعمل مثمر .

على انه ينبغى ان لا يفهم من هذه الملاحظات اقل ما يوحى بان خريجى هذا النظام التربوى الشرعى ، لم يكن لهم او ليس لهم حاليا شان مفيد فى مجتمعنا. فنحن مدينون لهم بانهم استطاعوا ، فى ظروف حرجة وشاقة ، ان يحافظوا على تلك الرابطة الحية التى تربط الجماهير الاسلامية بدينها واعرافها.

والحق ان المسلمين اذا كانوا قد تمكنوا من الحفاظ على كيانهم المتميز على الرغم من السيطرة الاستعمارية ، فالفضل الاكبر يعود الى خريجى هذه المدارس الشرعية. كما يعود اليهم الفضل كذلك فى كبح جماح ذلك الانسياق الاعمى الى التفرنج ، ذلك الانسياق المؤدى فى كثير من الاحوال الى التخلى عن الاسلام. ولقد كان من الممكن ان تكون

وطأة الامم الغربية علينا اشد لو لم توجد هذه الطبقة بين ظهرا نينا.

اما النظام التربوى الاخر ، فهو مستورد من الخارج . وعلى الرغم من بعض الاختلافات فى معالم هذا النظام مابين بلد اسلامى وآخر، فانه يبقى من حيث الاساس واحد فى كل مكان. ومن ثم كانت له فى كل مكان تقريبا نفس النتائج، وادى الى نشوء مشاكل متماثلة. وتكمن مقومات القوة فى هذا النظام ، فى انه يستطيع تلبية الحاجات الضرورية لعصرنا ، اذ انه قادر على تخريج الاشخاص الذين يستطيعون السير بالحياة العصرية كالعلماء والمهندسين والاقتصاديين ومن اليهم.

وهو اذا كان يتمتع بهذه المزية ، فان له فى مقابلها بعض النقائص الجسيمة التى تجعله شديد الايذاء لامتنا : وضرره الاكبر يكمن فى انه يقطع تلك الصلات التى تصلنا بتقاليدنا السامية وماضينا المجيد. ذلك ان عقول أولئك الذين تخرجوا فى ظلال هذا النظام التربوى ، مشبعة بالاعجاب الاعمى والتقليد العبودى للمعايير الاجنبية دون تمييز. اذ انهم ليسوا اهلا لاجراء ذلك الفصل الضرورى بين المعرفة العلمية ومنجزاتها من جهة وبين القيم والمعايير الثقافية من جهة أخرى. فهم يحملون للغرب فى أذهانهم صورة المركز الخالد للرقى والتنوير وهم يضيّعون من جراء ذلك قدرتهم على النقد ـ تلك القدرة التى هى الصفة الاساسية لكل انسان مثقف ـ ويصبحون مجرد مقلدين على العمياء، ومجرد طفيليين على مائدة الغير.

هذا النظام التربوى ينشىء جيلا من اناس ليست لهم جذور ثقافية. ويكون من نتيجة ذلك ان اى بدعة سخيفة تبدأ فى زاوية من زوايا العالم الغربى ، تلاقى التقليد السريع من قبل شبابنا ابتداء من ازياء اللباس حتى قوانين العلاقات الاجتماعية. وبذلك ترانا قد تخلينا او نحن فى طريقنا الى التخلى التام عن اعرافنا الثمينة بل الى التخلى عن كل شيء. وحتى تمكنت عادة تقليد الغرب هذه من ان تضرب جذورها ، فان

اوامر الله ورســوله ونواهيهما يمكن ان تفقد هي نفسـها كل قوتها ومعناها في اناس كهؤلاء. وعلى هذا فليس مجرد مظاهر اعرافنا وتقاليد نا او حتى مبناها عرضة للخطر فحسب . وانما استمساكنا بالاسلام نفسه بكل معنى الكلمة مهدد بالخطر.

ثم ماذا ؟ ثم ان وضعية التخاذل الفكرى هذه . تجعل من المتعذر علينا حتى الاستفادة من خبرات الغرب ومنجزاته . لان هذا الافتتان بالعصرية والتحدد . يزين لا فرادنا ارتيـاد الملاعـب او الحانـات بدل الانصراف الى العمل الدؤوب في المخابر العلمية . وهو لا ينشيء فينا سجية الاخلاص للواجب • ولا عادة العمل الجدى ، ولا القدرة علـى التعاون والتضامن في العمل . تلك الصفات التي تدين بهـا للشعـوب الغربية والمزايا التي يتمتعون بها الى ابعد مدى . وانما يجعلنا نميل دائما الى اقتباس تلك الملامح الخلابة من الحياة الاجنبية التي تقود الـى الانسياق وراء رغبات النفس والغلو في ذلك • والتي تبـدو للدارسيـن المتعمقين وحتى الغرب نفسـه ، على انها نذر شؤم بانحطاط الحضـارة الغربية وافولها. ولطالما مر بدارسى التاريخ مثل هذه اللحظات التي تصبح فيهاامة من الامم بتماس امةاخرى، ولكنها لا تأخذ افضل ما في ثقافتها وحضارتها ـ فتأثير الاغريق على الرومان اشهر من ان يشار اليه. ولكن ما استهوى الرومـان في هذه الحـال لم يكن فكر الاغريـق ولا الـروح الديمقراطية التي تخللت حياتهم العامة . وانما استهوتهم ملامح البراعة الظاهرة البراقة . والمباذل المغرية . وسرعة تكيف المشاعر . تلك الصفات التي كانت تطبع الانسان الاغريقي العادى. وهذا هو بالضبط ما يلا حظ في حالتنا نحن ، ونظامنا التربوى هو احد العوامل الرئيسية المساهمة في الوصول الى هذه الحالة.

ولما كان الهيام المفرط بشعب آخر ، والتقبل الاعمى لمعتقداته حتى لتحسسـاتـه الذاتية ، يجعل العقل طفيليا ، ويقتل القدرة على التفكير

المبدع . فلن يخامرنا ادنى شك فى ان امة كهذه سوف تستطيع ان تبرز باى شىء مبتكر او مبدع او ايجابى ـ تلك المؤهلات الفكرية التى تظل منجزات الغرب بصورة رئيسية.

هذا النظام الاجنبى يمنعنا من ابداء اية نظرة ايجابية . او تطلعات من لدنا باعتبارنا امة متميزة . مما يحدر بنا الى ما يمكن ان نعبر عنه باسم العبودية الثقافية . واذا كان الاستقلال لم يعن الا مجرد احتفاء الجيوش الاجنبية من اراضينا . ولم يكن له اى معنى ايجابى على حد سواء فان علينا ان نكافح بقوة او قل : بضراوة من اجل التخلص من هذا الاستعمار الثقافى . وعندئذ فقط نكون قد حصلنا على استقلال حقيقى . واصبحنا قادرين على ان نشرع فى مساعينا من اجل تحقيق الذات وازدهار العبقرية الثقافية. وبدون التحرر الثقافى لن يستطيع التحرر السياسى حتى ان يثبت صلاحيته للبقاء او على الاقل ان يكون فعالا . وسنبقى دائما اتباعا للآخرين.

فى ضوء ما تقدم نستخلص ما يلى :

ان نظام التعليم الشرعى فى وضعيته الحاضرة يتطلب اصلاحات مدروسة وبعيدة المدى حتى يستطيع الاستجابة للمتطلبات الحيوية لشعب فعال فى هذا الربع الأخير من القرن العشرين . وهو ـ لاسباب تاريخية وسياسية تجنبنا تعدادها هنا ـ قد وصل الى مأزق تعوزه فيه مقومات اللحاق بالخطى الواسعة الرائعة التى خطاها الانسان فى حقول العلم والتقنيات (التكنولوجيا). او لا يجاد الوعى الصحيح لظروف الحياة الراهنة. بحيث اننا لو اردنا ان نقتصر على هذا النظام فى شكله الحاضر فسنبقى انفسنا فى حالتنا الحاضرة من الضعف والتأخر. وفضلا عن ذلك فانه لما كان يخرج أناسا غير ذوى خبرة كافية بالحياة الحاضرة وآلياتها المعقدة . فان هؤلاء الخريجين يفقدون مكانتهم شيئا فشيئا . ويتضاءل تأثيرهم حتى فى مجال موضوع دعوتهم الصريح الا وهو توجيه الامة المسلمة وهدايتها الى

تكييف حياتها في ضوء تعاليم الاسلام. ومن جهة اخرى فان نظام التربية الاجنبى الذى استورد الى بلادنا يشكل تهديدا حقيقيا لا حتفاظنا بكيان متميز، وتهديدا لا ستمساكنا بالاسلام . وتهديدا لطموحنا الى ان نستطيع ان نصبح امة تحترم نفسها وتؤدى دورها في بناء الانسانية جمعاء. ولا يسعنا ان نسمح باستمرار الوضع الراهن مدة اطول . لانه ادى الى نشوء طبقتين متمايزتين تتخذان موقفين متباينين بحيث لا يبقى بينهما مجال للتفاهم . كما انه قد ولد فينا قوى احتكاك داخلي . بلغت من الجسامة مبلغا اصبحت معه تشكل تهديدا حقيقيا لكياننا كامة ذات رسالة متميزة. ومن ثم فان الحل الوحيد يكمن في ان نمعن النظر في مجمل المشكلة التربوية من جديد . ونصمم فيما يتعلق بوضعنا الحاضر . نظاما جديدا للتربية من جميع الوجوه . . نظاما يستمد اصوله من هداية الوحى الذى يضمه القرآن والسنة باعتبارهما الينبوع الخالد للتنوير والهداية . . . نظاما مدركا تمام الادراك واعيا تمام الوعى لاهداف التربية التى حددها الاسلام . . . نظاما لا ينظر نظرة ارتياب الى حدود المعرفة الانسانية الرحبة التى لا تقف عن التوسع والامتداد . ولكنه يربطها ربطا صحيحا بالغاية الحقيقية من وراء كل المعارف والعلوم اذ ليس في الاسلام مكان للعلم لمجرد العلم . او العلم الذى ليس مرتبطا بغاية الحياة الانسانية . ولطالما سأل النبى الكريم ربه سبحانه «علما نافعا» ولطالما استعاذ به من «علم لا ينفع». واذا كان العالم اليوم مند فعا الى التدمير المريع بمعونة العلم . فلانه تغاضى او لم يع حقيقة الدور الذى يؤديه العلم وارتباطه بالهدف الاساسى لحياة الانسان كما يحدده الاسلام .

اما رسم تفاصيل هذا النظام التربوى المقترح ، فمهمة اكبر من ان يستطيع القيام بها شخص واحد. وانما يتطلب ذلك من خيار المختصين بالتربية في العالم الاسلامي ان يوحدو جهودهم على التفرغ لوضعها. ولسوف اكتفى هنا بمجرد الاشارة بخطوط عريضة الى المقاصد

والاهداف التي ينبغي ان يرمى اليها النظام المقترح.

ان العصر الذى نعيش فيه . يتصف من جملة ما يتصف به بأنه عصرعقائدى (ايد يولوجى) من حيث ان الحكومات فيه تلتزم بعقائد معينة. ومن ثم فان النظام التعليمى اخذ بالتكيف هنا وهناك بحيث ينشىء طرازا من العقلية والشخصية متجاوبين ومنسجمين مع وجهة نظر الامة واعرافها الثقافية . وبذلك ينبغي ان يكون أحد الاهداف الرئيسية من التربية ـ بالنسبة للمسلمين هو بنيان شبابنا فكريا وخلقيا ليعيشوا كمسلمين بالمعنى الحقيقى للكلمة . ويؤدوا دورهم الذى خلقوا له فى العالم وهذا يعنى بتنشئتهم علـــى النظـــرة الاســـلامية للحياة . وارضاعهم بلبان المعرفة الاسلامية . والعمل على تكوين الشخصية الاسلامية التى تستطيع تادية رسالة الاسلام . ومن الناس من يعتبر ذلك مسئلة بسيطة . شأنها فى البساطة شأن ادخال الاسلاميات ضمن المواد الالزامية فى مناهجنا . وهو امر واجب لا ريب في ذلك. ولكنه لايحل المشكلات التربوية الرئيسية . التى نواجهها . واذا ما بقى التوجيه العـــام للتربية كما هو عليه الان . فان هذا الترقيع سيكون قليل الجـــدى . وفى اعتقادى ان النقـــاط التـــالية جديرة بالتفكير الجدى.

ان الاثار الضارة المنتشرة فى بلادنا والناجمة عن نظام التربية المزدوج الذى يضم مدرستين متصارعتين . يمكن علاجها الى حد بعيد. باصلاح مناهج المدارس الشرعية بحيث نضمن قبل دخول الطالب فى مجالات الاختصـــاص انه اصبح ملمـــا الماما جيدا بمبـــادىء العلوم والرياضيـــات والصـــحة والاقتصـــاد والاجتمـــاع والمدنيـــات والسياسيـــات والتاريخ العام . مع اهتمام خاص بشؤون العالم الاسلامى المعاصر . ولقد يبدو لنا ذلك على انه تحميل للطالب فوق طاقته . بيد انه يمكن ايجاد حل يسير لذلك باعفاء الطالب من تحمل عبء بعض المواضيع التى تكاد تكون خارجة عن نطاق عصرنا الحاضر . كالمنطق الموجه توجيها اغريقيا

والبلاغة . والمسائل التبحرية التى اضاعت كثيرا اهميتها التى كانت لها . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى باد خال الاسلاميات والعربية كمواضيع اساسية والزامية فى مدارسنا المصرية واحلالها المحل الذى تستحقه لتكون حجر الاساس فى برامجنا التربوية برمتها.

يعنى هذا توحيد دراسات ما قبل الاختصاص فى كلا النظامين ، والسير قد ما فى بناء جسر يعبر الهوة التى تفصل الان بينهما . وينبغى ان تتخذ فى كل من نوعى المؤسسات هذين جميع الخطوات الكفيلة بضمان الالتزام الاسلامى والشخصية الاسلامية. اما تفاصيل هذه الخطوات وكذلك ما يتعلق با لنقاط التى يجب ان تتفرع فيها مناهج كل من النظامين لتأمير الدراسات الخاصة . فذلك كله اوسع من ان يذكر ها هنا ، واولى له ان يقوم بوضعه التربويون الاسلاميون كما سبق ان اقترحنا.

ونتيجة لذلك تاخذ المدارس الشرعية شكل معاهد اختصاص للدراسات الاسلامية العالية على ان تضم عمليا فى مراحلها الابتدائية والثانوية نفس الدراسات التى تضمها المدارس التى تدعى بالعصرية . والتى يجب ان تتبنى هى بدورها نفس مواد الدراسة فى الاسلاميات التى تدرس فى المدارس الشرعية المعدلة فى مراحلها الابتدائية والثانوية . وتهدف الى تغذية المعرفة بالاسلاميات وايجاد كثير من الالتزام الاسلامى فى علماء المستقبل ومهند سيه واطبائه ومن اليهم بنفس الدرجة التى تتطلبها فيما يدعى بالمدارس الشرعية فى مراحلها الابتدائية والثانوية.

وانه لمن الاهمية بمكان فضلا عن ذلك ، ان يكون أولئك الذين يتجهون الى دراسات التخصص فى الاسلاميات . متضلعين فى احد العلوم الاجتماعية على الاقل كالاقتصاديات او السياسيات او الا جتماعيات وما اليها.

وبعد ، فان هذا كله يتطلب شبكة من مؤسسات تدريب المعلمين ، لا يكون فيها معيار القبول مجرد المعرفة العلمية للموضوع، وانما معيارها

الاخلاص للعقيدة الاسلامية والالتزام الاسلامى في الحياة.

اما فيما يتعلق بالتدريس فى العلوم الكونية ، فاننا نستطيع ان نستفيد كثيرا من الاقتباس من البلدان المتقدمة . لان العلوم الكونية هى فى الواقع طبيعية فى غاياتها. فوظيفتها الوحيدة هى اكتشاف القوانين التى تسرى بالفعل فى الكون ، مما يزيد بالتالى من سيطرة الانسان على قوى الطبيعة. واذا لم يكن هنالك شيء خاص يمكن قوله فيما يتعلق بتدريس العلوم الكونية ، فانه تجدر الاشارة الى انه اذا امكن للحقائق التى يكشفها العلم ان تفسر على اساس نظرة الاسلام الشاملة ، فانها ستساعد على ايجاد النظرة الاسلامية التى نريد. والذى اقترحه ليس اساءة استعمال العلوم كما يحدث احيانا فى روسيا ، وليس تشجيع ذلك التصرف التافه الذى اخذ يلاقى رواجا بين المسلمين وهو الاستشهاد بمختلف الآيات القرآنية الكريمة حين ايراد هذا المذهب العلمى او ذاك (تلك المذاهب التى سرعان ما يظهر بطلانها بعد مدة طالت او قصرت) ، وانما الذى اريده ، هو ان تعرض الحقائق المتعلقة بالحياة والكون وتفسر بطريقة تقوى بها المعتقدات الاسلامية الغيبية.

فالنظام التربوى المقترح ، ينبغى ان يهدف من جهة الى انشاء المسلمين الصالحين من حيث ايمانهم وعلمهم وشخصيتهم ، ومن جهة اخرى الى ان يصبحوا مختصين فى مختلف فروع المعرفة. ويتكلف ذلك جعل دراسات الاسلاميات الزامية بطرائق حسنة و مدروسة فى جميع مراحل التعليم ، والاهم من ذلك ان تتخلل وجهة النظر الاسلامية جميع المواضيع وخاصة العلوم الاجتماعية كان نهتم فى تدريس الاقتصاد مثلا الى جانب دراسة تاريخ الاقتصاد والمؤسسات الاقتصادية والنظرات الاقتصادية بتدريس مدى ملائمة التعاليم الاسلامية للنظريات الاقتصادية، وكذا المؤسسات الاقتصادية الاسلامية وما الى ذلك. والصعوبة الحقيقة تكمن فى انه ليس لدينا العدد الكافى من الدارسين المؤهلين تأهيلا عاليا

والذين يجمعون بين معرفة عميقة بالاسلاميات وبين معرفة عميقة بالاقتصاد مثلا . بالاضافة الى الالمعية التى هى لازمة لكل عمل مبدع ـ وما لم يكن لدينا هؤلاء الدارسون الذين يتمتعون بمكانة علمية ويستطيعون ان يملؤوا هذه الفجوة ـ اى معالجة العلوم الاجتماعية من وجهة نظر اسلامية ـ فان وضعنا الحالى سيبقى على ما هو عليه . اعنى ان اجيالنا الشابة ستستمر فى تشرب الافكار النابعة من محاولات غير اسلامية لمواجهة مشاكل الحياة. وانه لمن الضرورة بمكان ان تتحرى الخطوات العملية التى يمكن اتخاذها فى هذا الصدد لتأمين بداءة مشجعة.

وعلى الرغم من اننا يجب ان نبقى متفتحى الذهن لتقبل اى شىء يضاف الى مجموع المعرفة الانسانية دون ان يهمنا من اى وعاء خرج ، فان من الاهمية بمكان ان نتخذ جميع الخطوات الكفيلة ببقاء توجيهنا الثقافى المتميز واضحا على الدوام . وينبغى ان نصر بحزم على ان تكون لغتنا الاسلامية هى لغات التعليم (فيما عدا الحدود التى يتطلبها حقل المصطلحات العلمية والفنية الى حين) ، وخاصة اللغة العربية فى البلدان العربية ، وليس ذلك فحسب ، وانما يجب ان نسعى باخلاص لجعل اللغة العربية تدخل كمقرر الزامى حتى نهاية التعليم الثانوى على الاقل فى جميع البلدان الاسلامية التى لا تتكلم العربية. وفائدة ذلك غير مقتصرة على المساعدة فى توثيق الصلات بين ابناءالعالم الاسلامى فى مختلف نواحى الحياة ، وانما تتعدى ذلك الى ايجاد وحدة الفكر ، وفتح الابواب على الينبوع الاصيل للتعاليم الاسلامية هذا وانه لمن العسير ان نحصى جميع ما ينبغى فعله فى هذا السبيل . على ان الغاية يجب ان تبقى واضحة على كل حال : وهى انه ينبغى ان نفعل كل ما فى وسعنا لنحفر فى اذهان طلابنا انهم ذووتراث ثقافى متميز يجب ان يعتزوا به . وان يتجلى فى جميع تصرفات حياتهم بكل وضوح.

على ان هنالك بعض المسائل فى هذا الصدد ، تستأهل عناية

خاصة ، وبعضها فى رأيى مدرج فيما يلى :

١ ـ العلوم والتقنيات (التكنولوجيا) هما حجر الاساس فى الحياة العصرية . . . هما ضروريان ويجب ان يشجعا لاسباب عديدة. ونظرا الى انهما مفاتيح القوة ، فاننا بدونهما سنبقى فى مستوى ضئيل من القدرة لا يجـــوز لنـــاكمسلمين ان نتحمل هذا الوضع . وفضلا عن ذلك فان التقدم فى هذه المجالات يعنى وضع قوة اكبر تحت تصرفنا لاستئصال ما يشوّه حياتنا من فقر وجهل ومرض وما الى ذلك. اضف الى ذلك انّ تقاعسنا فى هذه المجالات عامل مساعد دائما على توليد الشعور بالنقص بين شعوبنا . وبناء على ذلك ، فانه بالاضافة الى تشجيع تدريس هذه المواد فى المدارس والكليات والجامعات ، يجب ان نشجع بكل ما فى وسعنا قيام البحوث العالية فى هذه المواضيع . والغاية من ذلك تكوين عدد كاف من الاشخاص ، على درجة عالية من المعرفة والمهارة والدّربة . بحيث يستطيعون تحقيق الاكتفاء الذاتى للعالم الاسلامى فى هذا الصدد ، فى غضون العقدين التاليين مثلا. وليس يعنى هذا انه سيأتى زمن فى المستقبل القريب نرفض فيه الاستفادة من المعارف التى يجنيها الاخرون. وانما الذى نعنيه هو ان نصير فى وضع يمكننا من ان نعطى فى نفس الوقت الذى ناخذ فيه . . . فى وضع يتم فيه تبادل بكل معنى الكلمة وليس ممرا وحيد الاتجاه كما هو الحال اليوم.

واذا تم انجاز هذه المهمة ، مهمة تنشئة علماء اكفاء ، وتأمين تقدم المعرفة العلمية والتقنية بتشجيع التدريس والبحث فى هذه الموضوعات ، بفضل التعاون المتبادل بين الدول الاسلامية فنستطيع اللحاق بسرعة بالدول النامية. وما روسيا واليابان ببعيدين ، بل هما يقدمان لنا مثالين بارزين فى هذا الصدد ، ويثبتان انه بمجرد وجود ارادة النهوض والتقدم ، فان النقائص الموجودة فى البدء لا تستطيع ان تعوق السير طويلا. ومن الاشكال العملية التى يمكن ان يتم بها هذا التعاون المتبادل :

تجنب الازدواج . وتوزيع مراكز البحوث العليا في مختلف البلدان الاسلامية بناء على اتفاق متبادل ، بحيث يمكن ان تختص احدى البلاد الاسلامية بالطب مثلا ، في حين تختص اخرى بالفيزياء النووية . وهكذا.

٢ ـ والمشكلة الثانية المهمة ، هي العائق الرئيسي في سبيل تنفيذ الخطة كلها ، هي افتقارنا الى اولئك الدارسين المؤهلين الذين يجمعون بين المعرفة العميقة بالاسلاميات وبين المعرفة العميقة بالعلوم العصرية . وفي اعتقادي ان منظمة كرابطة العالم الاسلامي تستطيع ان تقوم بدورها في اعداد اناس كهؤلاء . اذ ينبغي ان نكون على يقين من انه ما لم يكن لدينا اناس على المستوى من الجدارة وباعداد كافية . فلن نستطيع التوصل الى ذلك النموذج المنشود من التربية . ومن الخطوات الوطيدة في هذا السبيل ، التزويد ببعض المنح الدراسية المناسبة ، لتمكين بعض الباحثين المسلمين اللامعين المتدربين في الجامعات العصرية والمتصفين بتفكير اسلامي وتطبيق اسلامي ، من اكتساب درجة اعلى من الاختصاص او الخبرة بالعلوم الاسلامية ، وبالعكس . ولن يكون من العسير وضع التفاصيل الضرورية في هذا الصدد .

٣ ـ ومشكلة رئيسية اخرى نواجهها ، وهي ذلك الاقبال الشديد من شبابنا على الجامعات الاجنبية . وهذا الوضع يشكل في نظري احدى الاخطار الكبرى التي نواجهها في الوقت الحاضر . ذلك انهم معرضون في الخارج الى مختلف البيئات الثقافية المفعمة بالمغريات الوبيلة ، كما انهم معرضون كذلك الى التيارات الفكرية المعادية لوجهة النظر الدينية الى الحياة اجمالا . ثم هم فوق ذلك معرضون الى الدعاية المعادية للاسلام على وجه الخصوص . ومن ثم فان هؤلاء الشبان والشابات الذين يسافرون الى الخارج مزودين بقليل من العلم بالاسلام ، وبقدر اقل من الالتزام والتطبيق للاسلام ، يبقون هنالك عدة سنين ، ثم يعودون الى وطنهم حاملين عقولا مبلبلة مشوشة وشخصيات فاسدة . وقد

زلزلت جذورهم الثقافية من الاعماق. ومع ذلك فان هؤلاء الشبان بفضل ما اكتسبوه من اختصاص في مختلف الميادين يحتلون مراكز بالغة الاهمية بمجرد ان يعودوا الى بلادهم . وقل ان تصورت البلدان الاسلامية عدد طلابها في الخارج . فعدد الطلبة المسلمين في المانيا الغربية وحدها على سبيل المثال يبلغ اليوم ثلاثين الفا تقريبا . وقل ان ادركت البلاد الاسلامية كم ستكون ضخامة المشكلات الدينية والخلقية والاجتماعية والثقافية التي ستنجم عندما ستغرق بلادنا في غضون العقود القليلة القادمة . بفيض من هؤلاء الشبان المدربين تدريبا اجنبيا والموجهين توجيها اجنبيا . والذين سيمسكون بمعظم مراكزنا الحاسمة

وفي رأى ان الحكومات الاسلامية تفعل خيرا ان اولت هذه المسألة اهتمامها الاول . ومن الخطوات التي يمكن ان يفيد اتخاذها في هذا الصدد ما يلي.

١) الاهتمام البالغ برفع مستوى التعليم في جميع المجالات وتشجيع البحوث . كنوع من برنامج طوارىء . بحيث تتمكن البلدان الاسلامية تدريجيا من تلبية حاجاتها التربوية . اعني حاجات التعليم العالي من افضل نوعية . ضمن العالم الاسلامي نفسه واقتراحي الذي سلف بشأن توزيع مؤسسات الدراسات العالية في مختلف الفروع بالاتفاق المتبادل بين الحكومات الاسلامية يمكن ان يكون ذا فائدة في هذا الصدد

٢) نحن كسائر الدول العقائدية يجب ان نفكر بتصميم بعض الوسائل لضمان كون هذا الاقبال الشديد من شبابنا على الخارج . خاضعا لما يتفق ومتطلباتنا الحقيقة في مختلف المجالات وينبغي فوق ذلك ان نحاول اتخاذ الوسائل المناسبة لنضمن اخلاص هؤلاء الذاهبين للخارج اخلاصا اصيلاً للعقيدة الاسلامية ولنضمن كونهم قد ربوا تربية كافية وكونوا تكوينا صحيحا بحيث يعرفون قيمة معاييرهم وقيمهم الروحية والثقافية . ويعتزون بها ويبقون محافظين عليها . ويعودون الينا سالمين

من كل فساد . مستعدين لخدمة امتهم وعقيدتهم بكل عزيمة وحماس ويمكن ان نستفيد كثيرا في هذا المجال من الوسائل المطبقة في دول عقائد ية اخرى . مع بعض تعديلات تتناسب ونظامنا العقائدي الخاص .

٣) وفضلا عن ذلك ينبغي الا يترك الحبل على غارب الطلاب في البلاد الاجنبية . بحيث يتصرفون على هواهم ويجلبون سمعة سيئة لامتهم واسلامهم . وانما ينبغي وضع الترتيبات لتزويدهم بتوجيه كاف وتقوية دوصهم الخلقية .

وهنالك كثير من الوسائل العلمية التي يمكن تبنيها في هذا الصدد والتي يرجى منها التوصل الى نتائج حسنة . وسأقتصر هنا على ذكر احدى هذه الوسائل التي يمكن لرابطة العالم الاسلامي ان تنهض بها دون كبير عناء .

اقترح ان نسعى الى انشاء سلسلة من البيوتات في بعض الاماكن الاوروبية والامريكية التي تكون فيها كثافة الطلبة المسلمين كبيرة وكبداية لهذا المشروع نستطيع ان نجرب مثلا ثلاثة اماكن من هذا القبيل في اوروبة . واذا نجحت التجربة . وانا على يقين من نجاحها . فنستطيع ان نجعلها تتعدى الى اماكن اخرى في اوروبة والولايات المتحدة على سواء . والاماكن الثلاث التي اقترحها في اوروبة هي لندن وميونخ وباريس . فاذا استطاعت الرابطة ان تنشيء هذه البيوتات بحيث يستوعب كل منها مئة طالب او ما الى ذلك وبحيث يدير كلا منها ويشرف عليها شخصية تتمتع بالكفاءة وحسن التاثير . وبحيث تزود الطلبة بالتسهيلات الضرورية لقاء اجور معقولة كما تزودهم بالجو السليم . فستكون (الرابطة) قد خطت خطوات كبيرة في سبيل استنقاذ الكثير من شبابنا الغالي . ويمكن تقديم تفاصيل هذا المشروع فيما اذا تم قبوله من حيث المبدأ . ولا حاجة الى ان نذكر انه سرعان ما يصبح هذا المشروع قادرا على تغطية نفقاته . ويكفي اكتفاء ذاتيا . ويستغني الى حد بعيد عن النفقات الدورية .

والمنافع المأمول اجتناؤها وازد يادها المطرد من هذا الشروع . هي اكبر وابعد مدى بكثير من ان يمكن تعدادها هنا فيما اعتقد . وهنالک بعد . مشكلة اخرى مفعمة بالعواقب الوخيمه . وهي وجود المدارس الاجنبية في البلدان الاسلامية . تلک المدارس التي يديرها في الغالب بعض المبشرين النصارى القادمين من الخارج . ويكفينا هنا ان تلفت الانتباه الى وجود هذه المشكلة . والى الحاجة الماسه الى ايجاد حل فعال ولا يثير اى ضجة، وذلک تبعا للحالات والظروف المختلفة من بلد الى بلد. فان مدارس للفتيان والفتيات يديرها هؤلاء المبشرون لمفعمة باعظم الاخطار الكامنة .

وتبقى هنالک مشكلة اخرى وهي تعليم الفتيات والنساء . فنحن نفتقر في هذا الميـدان كذلک الى خطة مدروسة جيدا . ونرى ان معظم البلدان الاسلامية مندفعة . في ركاب المعايير الاجنبية . والذى نحتاج اليه في هذا الصدد . هو دراسة دقيقة وعرض واضح لما نريد ان تكون بناتنا واخواتنا مؤهلات له . ولوجهة القيم التي نريد تنشئتها فيهنّ . والدور الذى يريد الاسلام منهن ان يقمن به في الحياة. فالمشكلة باختصار هي : كيف نكيف الآليات التربوية بطريقة نخرج بها النموذج الصالح من النساء المسلمات . ويبدو انه يوجد كذلک في هذا المجال ادنى تخطيط مدروس في بلادنا . وبعض دولنا تقلد المقاييس الاجنبية تقليدا اعمى . واحيانا نكون ملكيين اكثر من الملک . فقد حل التعليم المختلط في مختلف المستويات . ونمارس باسم اوجه النشاط الثقافي كثيرا من المكائد التي تدمر البنيان الكلي للحياة الاسلامية . وان الحاجة الى مدارس وكليات وحتى جامعات منفصلة ذات تنظيم جيد وجو سليم و مدّرسين صالحين . هذه الحاجة تستحق ان تستحوذ منا على اكبر قدر ممكن من الاعتبار .

واجدني ساشرع في اقتباس عدة سطور من ملاحظات سجلها في هذا الصدد العالم المفكر العالمي والحامل لجائزة نوبل : الكسيس كاريل في كتابه الشهير «الانسان ذلک المجهول» الذى ترجم الى لغات

مختلفة بما فيها التربية .

ينبغى ان لا يسوى بين الفتيات والفتيان فى التدريب الفكرى والبدنى ولا فى المطامح وعلى المختصين بالتربية ان يعيروا اهتمامهم الكبير للخصائص الفكرية والعضوية لكل من الذكر والانثى . وللوظائف الطبيعية لكل منهما . فبين الجنسين من الفوارق ما لا يمكن نكرانه . وانه ليتحتم ان نضع هذه الفوارق فى حسابنا حين نريد بناء عالم متحضر.

ومن المعلوم ان الاتحاد السوفيتى قد عمد الان . بعد تجربة طويلة امتدت ربع قرن . الى الغاء فكرة التعليم المختلط ـ وانه لجدير بالمثقفين وبأولى السلطان ان يقوموا بدراسة للاسباب التى حدت بالاتحاد السوفيتى الى هذه العودة الى التعليم المنفصل . فلربما يجدون عوامل ذات وزن . الى جانب العوامل الخلقية والثقافية البالغة الاهمية . مما يؤدى بهم الى ان يوصوا بقوة بالفصل الكامل فى التعليم بين الفتيان والفتيات.

واختتم كلامى بالدعاء الى الله القدير ان يهب قادة الفكر والعمل فى العالم الاسلامى . وبصورة اخص الشبيبة الاسلامية فى جميع انحاء العالم . الحكمة والبصيرة والنفاذ والجرأة . ليرفضوا ان يقومو بدور الطفيليين واتباع المعسكرات . وليكون لديهم من البصر والبصيرة ما ييسر عليهم حل مشاكلهم بما يتفق مع شرعهم وقيمهم الثقافية . بحيث يمكنون انفسهم من القيام بدورهم الحقيقى كجماعة عالمية للايمان والمثل . هادفة الى هداية الجنس البشرى الى السلم الحقيقى والسعادة فى هذه الدنيا وفى الاخرة . . . أمين.

* * * * *

الدراسات الإسلامية

مجلة فصلية اسلامية

تبحث في الدين والآداب والثقافة

صفر ١٤٠٢ هـ   ديسمبر ١٩٨١ م

مجلة مجمع البحوث الاسلامية

الجامعة الاسلامية

اسلام آباد ـ الباكستان

الدراسات الاسلامية

مجلة مجمع البحوث الاسلامية
الجامعة الاسلامية
اسلام آباد - الباكستان

٦ ١٦

العدد الرابع المجلد السادس عشر

صفر المظفر ١٤٠٢هـ ديسمبر ١٩٨١م

المحتـــــوى

ضيوف العدد

*** الدكتور أحمد بن نعمان ***

خبير بوزارة الداخلية بجمهورية الجزائر والمشرف على دائرة شئون التعريب بالوزارة . أحد المجاهدين المخلصين لنشر اللغة العربية واحياء الثقافة الاسلامية بجمهورية الجزائر الشقيقة

*** العلامة الدكتور محمد حميد الله ***

من قمة العلماء الأفذاذ الذين يفتخر بهم العالم الاسلامي من كبار الدعاة الى الله فى العالم الغربي رئيس مجلس الفكر الاسلامي بباكستان سابقا و أستاذ القانون الدولي العام بالجامعة العثمانية بحيدر آباد ـ دكن ـ الهند سابقا

*** الأستاذ محمد محمد المدني ***

أحد فقهاء العالم الاسلامي البارزين والعميد السابق لكلية الشريعة بجامعة القاهرة صاحب المؤلفات العديدة والمقالات الهامة فى الفقه الاسلامي

ليس من الضروري ان تتفق ادارة المجمع مع جميع الآراء والبحوث التي ينشرها الكتاب فى هذه المجلة

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد

إن الله سبحانه و تعالى لم يخص أمة من الأمم بمجد بذاته والشرف الأبدي، كما يدعي اليهود والهنود فلا يمكن أن يدعي فرد من الافراد أو شعب من الشعوب أنه يحتكر الرفعة والعلى دون سائر البشرية وذلك لأن الخلق كلهم عيال الله وانه تعالى رب العالمين و خالق الكائنات و بارئها، وعم نواله و إحسانه الانسانية قاطبة و شملت نعمه البشرية بأسرها وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها

فالله سبحانه و تعالى خلق النفس الانسانية، فألهمها فجورها و تقواها، قد افلح من زكاها، وقد خاب من دساها وانه تعالى جعل للمجد والشرف بعض المعايير ووضع للرفعة والعلى بعض الشروط، فاز بالمجد والشرف والرفعة والعلى كل من اتخذ هذه المعايير و عمل بهذه الشروط

وهذه الشروط والمعايير ليست بالسهلة اليسيرة، فيحصل عليها و يقوم بمستلزماتها كل من هب و دب بل هي معايير صعبة الوصول، الطريق إليها ليس بالطريق السهل العادي، وليس الوصول إليها إلا من مقدرة أولي النهى واصحاب العزائم و أرباب الهمم. الذين لا يرتضون لأنفسهم الا أن يسلكوا مسلكا وعرا خفاعا ويسهرون الليالي ليبلغوا المعالي

وهذه المعايير هي الايمان الخالص الكامل بالهدف، والتفاني في سبيله، والتبتل إلى العمل له بترك كل ما لا صلة له بالهدف، وبذل مالا يعني الانسان في الوصول إلى الغاية المنشودة وإذا اجتمعت في الانسان

هذه المعايير الثلاثة يصبح متصفا بصفة عبرها محمد اقبال بالجنون ذى الفنون . فاذا لم يكن هى فرد أو أمة هذا الجنون ذو الفنون فلا يتأتى لها الوصول إلى الغايات . وأما من حصل له هذا الجنون المنشود فأتى بالأعاجيب

* * * * * * *

هذه المعايير أبدية و خالدة ، صالحة لكل زمان و مكان . ويدل على صلاحها ومدى إفادتها حاضر المسلمين و غابرهم . فان تاريخ الاسلام حامل بأمثلة لاتعد ولا تحصى لهذه الحقيقة أنظر إلى تاريخ صدر الاسلام ، كيف أتت الأمة الاسلامية بأعجب الاعاجيب بعد أن اتخذت هذه المعايير . أعطت للانسانية نظما حديدة ، ووهبتها قانونا جديدا وبديعاء ومنحتها شريعة مطهرة سمحة سهلة بيضاء ، ليلها كنهارها ، وأتمت للبشرية مكارم الأخلاق ، وهدتها إلى الصراط المستقيم والطريق القويم. وانظر إلى ما أنجزه المسلمون فى اندلس ، ذلك الفردوس المفقود . وانظر إلى ماقام به بطل الاسلام صلاح الدين الأيوبى الذى بدأ منه عز الاسلام وظهرت به شوكة المسلمين . وانظر إلى خدمات الاباطرة المماليک فى الهند الاسلامية، وانظر إلى عظمة اورنک زيب عالمكير . وانظر إلى ملايين العلماء والمفكرين الذين منحوا للبشرية علوما جمة و آدابا و اسعة و مكتبة لا تدانيها مكتبات العالم فى سعتها و ثروتها و عمق تفكيرها و شمولها .

وما يوم الجزائر ببعيد . فان فى كل ما قامت به هذه الدولة المسلمة الشقيقة لاعادة العروبة والاسلام بعد انقضاء عهد الاستعمار الفرنسى الحالک لدليلا كافيا على صدق هذه المعايير . أرادت بهم فرنسا أن تفرنسهم تفرنسا كاملا ، إذا جاز التعبير ، و تجعل منهم غير الذى كانوا . واستمرت محاولات إبعاد هذا الشعب المسلم من إخوانهم المسلمين لمدة تزيد على قرن كامل ، وأول خطوة اعتبرها

الاستعمار خطوة مهلكة و حاسمة فى هذا الصدد هى القضاء على اللغة العربية التى كانت تجمعهم مع الأمة الاسلامية عامة والبلاد العربية خاصة

ولكن ما إن استقلت الجزائر حتى بدأت تكافح للتحرر من نير العبودية اللغوية والاستعمار الثقافى الحضارى وأقبل الجزائريون على هذا الجهاد على بكرة أبيهم فكان الشعب كله مؤمنا بلغته . لغة القرآن و لسان الاسلام وكان هذا الايمان كاملا خالصا . خاليا عن كل شوائب الضعف والنفاق . وكان الشعب كله مستعدا للتفانى فى سبيل لغته وثقافته و حضارته . وقد شمر عن ساعد الجد لتقديم كل انواع التضحيات لاحياء هذه اللغة وتمتل إلى إعادة مجده اللغوى تمثيلا كاملا . وصرف نظره عن جميع التوهمات اللاغية التى يبثها المتفرنجون فى البلاد الاسلامية . ولم يصغ إلى الاعتراضات الفارغة التى تقوم بها الطبقة التى تصف نفسها بالطبقة المتنورة المتحررة التى تدعوا إلى الظلام الحالك والعبودية الكاملة باسم التنور والتحرر

* * * * * * *

بدأ الجزائريون جهادهم لنشر اللغة العربية قبل أن بزغ فجر استقلالهم . فأخذوا الأمر بقوامله واستعدوا له قبل نزوله و دبّروه قبل أن يفوتهم تدبيره .

كانت البلاد مركزا للعلوم والحضارة الاسلامية . وكانت مدن الجزائر بجاية و تلمسان و غيرها من كبريات معاقل العلم والثقافة الاسلامية فى افريقيا الشماليه منذ فجر الاسلام فى هذه البقعة من الأرض . وكان الاستعمار الفرنسى قد قضى على هذه المراكز كلها.

ثم بدأ بالقضاء على عروبة البلاد فانه كان يعرف تماما أن العروبة لها صلة وثيقة بالثقافة الاسلامية . فكل واحدة منهما لازمة و متممة للأخرى . ويشهد التاريخ الاسلامى فى إفريقيا الشمالية أن

الفضل الكبير لخروج الشعوب من ضيق الأديان الى سعة الاسلام يرجع إلى اللغة العربية وهي فاتحة خير دائما لتقريب الشعوب من الاسلام.

وكان الاستعمار يعرف أن القضاء على اللغة العربية يكون بمثابة الخطوة الأولى للقضاء على الثقافة الاسلامية . وكان يعرف أن في بقاء اللغة العربية دواما للثقافة الاسلامية وبقاءا للحضارة الاسلامية

وكان يعرف أن العلاقة بين اللغة العربية وبين الثقافة والحضارة الاسلاميتين علاقة الروح بالجسد . وعلاقة الأس بالبناء . وعلاقة الدم بالشرايين .وعلاقة التيار الكهربائي بالأدوات الكهربائية

فبعد أن قضى على اللغة العربية تيسر له و سهل عليه القضاء على معالم الثقافة الاسلامية فحوّل كثيرا من المساجد والجوامع إلى الكنائس . وأغلق المدارس الدينية القديمة . وألغى الأوقاف الاسلامية . وقتّل علماء الاسلام تقتيلا و شردهم تشريدا

في هذا الظلام الحالك تقدم العلماء الجزائريون وبدأوا جهادهم لتحرير البلاد وإحياء اللغة العربية والثقافة والحضارة الاسلامية فالتف الشعب الجزائري حول علمائه المجاهدين الابطال فاف اللهفان إلى أمه يلهف . والركبة إلى البطل تركض وكان قيام هؤلاء العلماء و تصديهم لهذا التحدي التاريخي تحت زعامة الامام المجدد عبدالحميد بن باديس و تلامذته أمثال الشيخ محمد بشير الابراهيمي . فنظموا أحزابا سياسية و حركات شعبية . وأسسوا مدارس دينية حرة تركت أثرا كبيرا في تثقيف الشعب وإعداده لأداء مهمة الجهاد في سبيل الله . وأخرجت هذه المدارس الحرة جيلا جديدا من العلماء المجاهدين الذين كانوا في مقدمة حركة الاستقلال في منتصف هذا القرن الميلادي . وضحى كل واحد منهم بنفسه ونفيسه في سبيل الاستقلال والعروبة والاسلام .

ولكم يحلو لكاتب هذه السطور أن يسترسل في الكلام عن إخوانه المجاهدين الأبطال ، وأن يتلذذ بذكر مآثرهم و أمجادهم ، وأن يزيّن أوراق هذه المجلة بسرد معجزاتهم في ميدان الجهاد و سبقهم في مضمار الحرية والاستقلال فإن الحديث ذو شجون ، ومن أحب شيئا اكثر ذكره ولكنه يعتقد أن هذه الكلمة الموجزة صفحاتها القصيرة و أسطرها المعدودة لا تسع للانصاف إلى الموضوع وقدره حق قدره فالى مناسبة أخرى حيث نذكر بالتفصيل ذكرياتنا حول زيارتنا للجزائر مرتين ، ونذكر انطباعاتنا اللطيفة السعيدة حول هذه الذكريات ونكتفي في هذا العدد بطبع مقال هام لأحد مجاهدي حركة التعريب المخلصين عن عملية التعريب في الجزائر و صحرائها ، ولا ينبئك مثل خبير

* * * * * * *

عملية التعريب فى الجزائر
لمـــاذا ؟ وكيف ؟

للدكتو ر أحمـــد بن نعمان

تعيش الجزائر فى الوقت الحاضر . وضعا لغويا و ثقافيا أقل ما يمكن أن يوصف به . انه وضع غير طبيعى .   ورثت البلاد نواته الأولى غداة الاستقلال . وهى نواة ضاربة بجذورها فى أعماق الاحتلال الأجنبى الذى تميز بخاصيتين رئيسيتين

الأولى :   طول المدة التى مكثتها فى البلاد حيث كانت الجزائر أول من وقع تحت وطأته سنة ١٨٣٠ وآخر من تحرر من قبضته بعد هذا العهد الطويل الذى لم يشهد له فى التاريخ العربى مثيل

الثـــانية :   نوعية الأسلـوب الممارس من طرف هذا المحتل الاستيطانى الدخيل ازاء شعبنا العربى الأصيل

وقد كان لهذا العهد المديد والأسلوب الفريد أثر واضح المعالـم و دور أساسى . فى خلق هذا الوضع (اللغوى الثقافى) القائم

فقد أنكر هذا المحتل على شعبنا شخصيته القوية المتميزة . وانتماءه الحضارى و الثقافى الى كيان الأمة العربية . الاسلامية . مستهدفا تذويبه الكلى وادماجه العضوى . فى الأمة الفرنســية معتبرا إياه قطعة لا تتجزأ من فرنسا (الأم) ترابا . وشعبا . وقلبا . وقالبا!

وانطلق من هذا الوهم (الذى ظل يمثل الحقيقة فى نظره) الى طمس كل معالم الشخصية الوطنية العربية المتميزة لشعبنا . وازالة كل مميزاتها وسماتها الثقافية من الوجود . . . . مبتدئا بمحاربة اللغة العربية

التي ظلت لغة هذا الشعب . و وعاء ثقافته الراقية ولسان عقيدته السامية منذ أن تبنى رسالة القرآن . وعرف حب الوطن من الايمان على يد عقبة بن نافع و حسان بن النعمان . واخوانهم في الملة أمثال طارق و عبدالرحمان من الفرسان الأحرار . الذين تسلموا الأمانة . و واصلوا نشر الرسالة في الديار والمضايق وما وراء البحار بكل عزة و فخار

فظل المحتل يحارب هذه اللغة بكل ما أوتي من حول وقوة لازالتها من الوجود لتمثيلها أقوى السدود المنيعة في وجه عمليات المسخ والتذويب المنظمة التي كان وما يزال يستهدفها . وقد اندثر وزال من على الأرض و في نفسه شيء منها ولئن تمكن المحتل بالفعل من فرض لغة الأجنبية الدخيلة وإحلالها محل لغتنا الوطنية الأصيلة في كافة مجالات الحياة اليومية والرسمية فانه لم يحقق كل أهدافه في القضاء على الروح الوطنية العربية المتأصلة في نفوس الجزائريين الوطنيين المتمسكين بلغتهم كتمسكهم الشديد بعقيدتهم الاسلامية التي لم يرضوا عنها بديلا . وقدامتزجت عندهم بالعروبة الى درجة عدم التمييز الواضح بين المفهومين (العروبة والاسلام) لدى الغالبية العظمى من أفراد شعبنا إلى يومنا هذا حيث لانراهم يفرقون بين كلمة (مسلم) و كلمة (عربي) فعندهم كل عربي مسلم . والمسلم لا يتصورونه إلا ناطقا بالعربية و هو خلط واضح الأسباب كما نعلم . ولكنه بقدر ما ينم عن بساطة في الادراك . فهو يدل دلالة قوية وقطعية على مدى تلاحم العروبة بالاسلام لدى الجزائريين بكيفية لا تقبل أية مساومة . أو أي انفصام

ولذلك كان على دولتنا الفتية أن تبادر في صبيحة يوم الحرية . برفع شعار التعريب . تحت الحاح الجماهير و في طليعتهم الأحرار من الثوار الرافضين . لكل أنواع التبعية للاستعمار الذى ظل يحن اليه بعض الصغار من أصحاب الدار ..

وظل التعريب مبدءًا ثوريا وقضية وطنية بقدر ماهي قومية و حضارية

عربية ومن ثم كانت المناداة بالتعريب الحقيقي والعمل على المستوى الوطني والقومي لا تتعارض مع كوننا عربا شعورا و وجدانا في الأصل

نقول هذا لأننا لا حظنا من حين لآخر بعض أصحاب النوايا الطيبة من المجتهدين المتحمسين . يقولون كيف ننادي بالتعريب و نحن عرب أصلا . ومن ثم الغياهم يقترحون استبدال كلمة (التعريب) بكلمة (استرجاع اللغة الوطنيه أو العربية)

والحقيقة أن المطالبة بالتعريب لفظا ومضمونا لا تتعارض مع كوننا عربا . والعكس هو الصحيح . أي نحن ننادي بالتعريب لأننا عرب . ولولم نكن كذلك لما نادينا بالتعريب فالعروبة شعور قومي و وجداني . والتعريب نشر للسان هذا الشعور القومي على أوسع نطاق ممكن وقد يكون الانسان عربي الشعور . ولظروف معينة ـ وهذا ما حصل بالفعل لبعض أفراد شعبنا ـ غير عربي اللسان . فيختل التوازن بين لغة الشعور . ولغة التفكير والتعبير . فيقع الانفصام في الشخصية (الفردية ـ و الجماعية) عند أحسن التقدير

ومن هنا يكون التعريب تدعيما للعروبة وليس مرادفا لها كما أنه ليس متعارضا معها أيضا . والا فكيف نفسر الحركات التعريبية القديمة التي تمت في صدر الإسلام . وسارت متوازية في المكان ومتناسقة في الزمان مع العصور المختلفة للحضارة العربية الاسلامية طيلة عهودها الزاهرة المشرقة . . .

والدليل على ذلك أن التعريب الآن مطروح على الصعيد القومي العربي . وليس على الصعيد الوطني فحسب . ومن ذلك أن جامعة الدول العربية قد وضعت التعريب ضمن أحد محاور نشاطها القومي (حتى قبل استقلال الجزائر)، وكان من نتائج ذلك النشاط التعريبي إنشاء مكتب لتنسيق التعريب في الوطن العربي و عقد مجموعة من الندوات العربية

حول هذا الموضوع . علـى مر العشرين سنة الماضية . ومن الناحيه الاصطلاحية للفظة التعريب معنيان مختلفان فى الاستعمال ومختلفان نسبيا فى الدلالة

المعنى الأول : اصطلاح تقليدى معناه استعمال العرب للالفاظ الأعجميه بالنطق العربى واستمر مدلـول التعريب هذا معناه الاصطلاحى تحدد استعمال العرب للألفاظ الأعجميه وفتح باب الاضافات اللغويه على مصراعيه لادخال الآلاف من الكلمات الحضارية التى لم تكن للعرب بها عهد من قبل وقد ساعد هذا اللغة العرب هذه الطريقه كأسهل الوسائل لاغناء اللغه العربيه بالمصطلحات المستحدثة فى اللغات الأخرى . الى جانب وسائل الاثراء اللغوى الاخرى المتمثلة فى النحت و القياس والتوليد و الاشتقاق والترجمه . ونعرف بهذا المعنى الاصطلاحى الضيق هى اخذ كلمة أجنبيه . ونطقها كما هى على أن نخضع لمخارج الحروف العربيه وقوانين النطق العربى بحيث نعمل بعض التعديل النطقى لها . ثم اعتمادها كلفظه فصيحة فى القاموس العربى مثل راديو . تلفزيون . استراليه . استراتيجية . فلسفه . جغرافيا . ميتافيزيقا الخ

المعنى الثـانى وهو المعنى الشامل المتداول فى أيامنا هذه نتيجة الوضعية الحضاريه التى يوجد عليها العرب فى المرحلة الراهنة . ومعنى التعريب بهذا المعنى الشامل العمل على نشر استعمال اللغة العربية على أوسع نطاق ممكن وجعلها أداة طيعة صالحة للتعبير عن كل ما يقع تحت الحس . وعن كل العواطف و الافكار والمعانى التى تختلج فى ضمير الانسان العربى المعاصر . وبعبارة أوضح جعل اللغة العربية لغة الحياة فى مختلف مجالاتها ومظاهرها ابتداء من نظم الشعر و نسج ثوب الشعر الى تركيب الصواريخ واطلاقها واختراع القنابل الذرية وتفجيرها

مع التأكيد على الاشاره هنا الى أن الانسان هو الذى يفكر باللغة وليست اللغة هى التى تفكر بالانسان وأقوى الأدله على ذلك النص

واليابان .

وفي غياب التحديد الكافي للمقصود بالتعريب اختلفت المفاهيم وتباينت حول هذه القضية المصيرية فظل البعض يعتقد بأن التعريب مسألة محو أمية بالأحرف العربية وليست قضية وطنية وقومية وظن الآخر أنها مسألة اصلاح لسان وليست مسألة فكر . وكيان . وشخصية أو أنها مسألة أشعار عاطفية وليست قضية علم . وابتكار . وتقنية . واصالة حضارية تؤكد وتصرخ في وجوهنا قائلة إن ... الرازي والخوارزمي وابن سينا . وابن رشد . وابن خلدون لم يتخرجوا – أبدا – في كمبرج والسربون

هكذا اختلفت المفاهيم . وتباينت المواقف حول هذه القضية الجوهرية من حيث البداية والنهاية . ومن حيث أنها وسيلة أم غاية (١٢)

وفي هذا المناخ شرعت الجزائر في تحقيق التعريب الذي ظل يمثل أحد أسمى أهداف الثورة المستمرة . كما عبر عليه الميثاق الوطني . المجسد لارادة الجماهير الشعبية العريضة . حيث قال ((ان اللغة العربية عنصر أساسي للهوية الثقافية للشعب الجزائري ولا يمكن فصل شخصيتنا عن اللغة الوطنية . التي تعبر عنها . ولهذا فان تعميم استعمال اللغة العربية واتقانها كوسيلة عملية خلاقة يشكلان احدى المهام الأساسية للمجتمع الجزائري في مجال التعبير عن كل مظاهر الثقافة وعن الايديولوجية الاشتراكية . وان الجزائر باستعادتها توازنها من خلال التعبير عن ذاتها الوطنية بالاداة المشروعة الأصيلة . والمحكمة التجهيز . ستساهم في اثراء الحضارة الانسانية بصورة أفضل وتستفيد في نفس الوقت . عن دراية من مكتسباتها وخبراتها ان الخيار بين اللغة الوطنية . ولغة أجنبية أمر غير وارد البتة ولا رجعة في ذلك ولا يمكن أن يجري النقاش حول التعريب بعد الآن الا فيما يتعلق بالمحتوى والوسائل . والمناهج . والمراحل . والمفهوم العام للغة . مدعوة للقيام بالدور الذي يجب أن يعود

اليها اذا عرف أساتذها تعليمهم الشاق . وجهدهم الايجابي سيمنعها كيف يجعلون منها أداة ثقافية . وعلميه . ترفع مسيرة الجزائر الاشتراكية الى الامام

ان التعريب المركز على الرغبة الشعبية . لم يعد يخفى من نوع لآخر تقدما ملموسا في الجزائر . وسمح لقطاعات واسعة خاصة ضمن الشباب أن يكتشف نفسها من خلال ممارستها للغة الوطنية وهذا يعني موضوعيا مكسبا واسع المدى بقطع النظر عن قربه لمشروعه . ذلك أنه يشكل عمليا اعادة للمطامح الأساسية التي كان يصبو اليها الشعب الجزائري أثناء الاحتلال الأجنبي . كما يشكل في نفس الوقت محيطا ثقافيا و فنيا . حقيقيا من شأنه أن يساعد على اعداد جهاز الدولة والحزب . و المنظمات الجماهيرية . ومختلف الادارات و الشركات الوطنية . والأجهزة الرسمية . والمؤسسات الاقتصادية لتعرب بالفعل أكثر فأكثر مصالحها . وذلك بما تجده من تدابير ملائمة . ومن هنا و بمساعدة مبادرات القيادة الثورية . الرامية الى التكفل بالانجاز المنهجي لهذا المشروع العظيم . بتحسيم توحيد استعمال نفس اللغة في العمل . و التعليم . والثقافة . وهذا هو الهدف الذي ينطوي ضمن أهداف أخرى . مع استرجاع جميع المقومات التاريخية للأمة الجزائرية)) ص ٩٤ ـ ٩٥ من الميثاق الوطني

من هذه المبادئ والأهداف السامية الوطنية والقومية والمتطلبات البديهية والرغبة الجماهيرية المتجاوبة مع صدق الارادة للقيادة السياسية وعزمها الثابت والكامل انطلقت البلاد رسميا و شعبيا كي تضع برامج مرحلية عملية لتحقيق التعريب التدريجي في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية . وكخطوة عملية أولى في هذا الطريق الثوري . شكلت القيادة السياسية لجنة وطنية أسندت اليها دراسة قضية التعريب من كل جوانبها . وتقديم خطة شاملة . متكاملة لتعريب الادارة والتعليم والتكوين . والاعلام . والمحيط الاجتماعي في آجال محددة واقتراح تدابير في غاية

المعقولية والموضوعية وقد انتهت هذه اللجنة التي ساهمت في أعمالها كل الفئات والاطارات الى تصور واضح . وشامل . وخطة للتطبيق . وقد عرضت هذه الخطة على الندوة الوطنية الأولى للتعريب المنعقدة في قصر الأمم في شهر مايوس سنة ١٩٧٥ حيث صادقت عليها بالاجماع . واكتسبت بذلك عملية التعريب النامية منذ الاستقلال . نفسا جديدا وقويا . غير أن هذه البرامج التعريبية التي طبقت تطبق على امتداد فترة الاستقلال كانت تنقصها أهم مقومات الفعالية . وهي تتمثل في العوامل التالية

أولا : الشمولية : وتعني أن التعريب لا يعني أن سير بكيفية مطلقه . و حرئيه . في مجال دون آخر فهذه العملية . لم تؤد .ولن تؤدي الى النتائج المرجوة منها لتحقيق التعريب الذي تنشده الثوره . ويعبر عن طرح الجماهير المتمثل بالتعريب الحتمي يجب أن يكون كاملا ولكي يكون كاملا يجب أن يكون شاملا لكل المجالات الحياتية كما نص على ذلك الميثاق الوطني

ثانيا : التزامن . والشمولية تتطلب التزامن بالضرورة . ومعنى التزامن . هو أن التعريب يجب أن ينطلق في كل المجالات الحيوية . في وقت واحد حتى لا يقع التذبذب لسير حركته . حيث يتحقق في مجال قد يصل الى درجة . التصحيح ويتقدم في مجال يصل الـــــى درجـــــة الصفر ' ومن ثمة كان من الحتمي أن ينطلق التعريب . في وقت واحد في معظم القطاعات الهامة مع الأخذ بعين الاعتبار بعض المجالات ... . في التعريب . دون تلك التي لا تعبر التعريب في الــوقت الحاضر كالمجالات التكنولوجية البعيدة عن قطاعات السيادة الوطنية

ثالثــا . التكامل : والتزامن يستدعي التكامل بالضرورة هو الآخر . أي أن قطاعات التعريب المختلفة التي تنطلق فيها عملية التعريب في وقت واحد . يجب أن تكمل بعضها بعضا . فتعريب التعليم يكمل تعريب التكــوين . وتعريب الادارة يكمل تعريب المحيط . والاعلام .

ويراوح مكانها في مجالات أخرى وبكامل النقص في توفر العوامل الضرورية المذكوره مع التركه الثقيلة التي ورثها البلاد من عهد الاحتلال المديد وأسلوبه الفريد كما سبق التحديد ( ) فحملت الحرب مصطدمة بالعديد من الصعوبات . والمعوقات الطبيعية والمصطنعة الموضوعه في طريقها وضعا

ومع مرور الايام . وبعد الثوره بالبلاد . زالت العوائق الطبيعيه تلقائيا وبقيت العوائق المصطنعة والمختلقة في الأذهان . وحدها في الميدان ومن أبرز هذه المعوقات الخرافيه المستنده الى الحجج الواهية هي

أولا التذرع بالاستعمار لتمثل أفضل السماعات لتعليق العجز عن التعريب أوعدم الرغبه في التعريب وذلك بقولهم (المكرر منذ الاستقلال) بانه لا يمكن أن نمحو في بضع سنوات (١٨ سنة) ما هدمه المحتل الاجنبي في قرن وثلث القرن وتمام هذا النص . متكئا على هذه العصا . التي نخرها السوس من الداخل . دون أن يعلموا

واذا كانت هذه الذريعة . تتطلب بعض المناقشة ٠ و التفنيد (من باب ليطمئن قلبي على رأي سيدنا ابراهيم عليه السلام) فنقول بأن هذا المنطق المبرر لاستمرارية الاحتلال الفكري والتبعية الثقافية وكأنه يريد من الثوره المستمره ان تجمد في مكانها منتظرة أكثر من (١٣٠ سنة) كي تسترجع الشخصية الوطنية الحقيقية التي حاول أن يمسخها المحتل . خلال هذه المدة الطويلة وما يزال ( )

أو ليس هذا المنطق هو الذي كان يتهم الثوار ابان الكفاح المسلح . بأنهم مجانين متهورون . يريدون تحقيق الاستقلال (المحال) الذي عجز عن تحقيقه من سبقهم من الرجال على مرالأجيال ( )

وقد كان حريا بلسان حال هذا المنطق . أن يقول حينئذ ـ (عند حسن الظنون) ان الثورة لاتنتصر ـ ان انتصرت ـ على الاستعمار . الا بعد مدة توازي مدة بقائه في البلاد . والعجيب حقا أن هذه الذهنية قد حققت في

أصعب مهام الثورة المستمره . لأن الخصم فيه قد يكون الحكم . والمقهور قد يصبح هو الفاعل . في ذات الحين

ونظرا لأن احتلال الفكر يتم متأخرا ـ عادة ـ بعد احتلال الأرض فان خروجه الكامل لا يتم ـ بالتالي ـ الا متأخرا في الزمان والخطوره في هذا الأمر ذات علاقة طردية بطول فترة هذا الزمان ( )

ثانيا : نقل التعريب من قضية تحريرية وطنية وهدف ثوري عظيم الى مشكل اجتماعي . سوقف حله على عاتق الدولة وحدها مع فئة محدودة من المواطنين .

والحقيقه أن التعريب ليس قضية فئوية وانما هو قضية وطنية وهدف ثوري كما نص عليه الميثاق الوطني وطالما هو هدف ثوري فهويهم كل الثوار بقطع النظر عن المواقع او وسائل التحقيق

وأهداف الثورة كاملة أو متكاملة لاتقبل التجزئة ومن ثمة يجب أن نظل التمييز بالنسبة لهذا الهدف هو تمييز بين من هو مع الثورة . والوطن . ومن هو ضد الثورة وضد الوطن استمرارا لمنطق الثورة ابان كفاحها المسلح حيث كان الذي يجمع الفئات الوطنية هو الوطن وأهدافه السامية . والذي يفرق بعضها عن بعض . هو موقعها ـ مع أو . ضد ـ الوطن ونفس الأهداف بقطع النظر عن مواقع المسؤولية و وسائل التحرير . والتعبير المستخدمه . من طرف الطلائع الثورية

وطالما أن الثورة مستمرة في تحقيق أهدافها . والتكامل يجب أن يظل قائما . و فعالا والتاريخ في هذا المقام يجب أن يعيد نفسه حتما

واذا كان للاستعمار . أشكال . وأنواع فان الثورة واحدة والوطن واحد . ومن ثمة يكون نوع الثوري والوطني واحد . وهو ان قبل التعدد . في الشكل والكم . والعرض . فانه لا يقبل ـ أبدا ـ التعدد في النوع والمحتوى والجوهر ( )

ثالثـا : التذرع بقلة الامكانيات المادية والبشرية . لتحقيق

التعريب والحقيقة أن هذه الحجة اذا كانت مساعدة في الستينات على تجميد بعض مشاريع التعريب في الملفات فانها في السبعينات أصبحت حجة للتعريب وليست حجة ضد التعريب ، لأن الامكانيات البشرية ـ الكمية والكيفية ـ أصبحت تفرض نفسها بقوة وأن الكفاءات ليست حكرا على فئة دون أخرى . وأن الجزائر مليئة بالكفاءات و الرجال العاملين المخلصين (كما صرح بذلك قائدها الأمس) وذلك نتيجة المكاسب الثورية الهائلة التي أحرزت عليها الجزائر . في مجال ديمقراطية التعليم و تعريب العديد من فروعه منذ السنوات الأولى للاستقلال

ولعل الأرقام الناطقة التالية كفيلة بأن تغلب الحجة لصالح التعريب ، في السبعينات بعد أن كانت ـ نحو ـ ضده في الستينات

ففي مجال التعليم الابتدائي بلغ عدد التلاميذ حوالي أربعة ملايين في المدرسة كلهم يحسنون . اللغة الوطنية كتابة وقراءة ، واستعمالا

أما في التعليمين (المتوسط والثانوي بما فيه التعليم العام والتقني وتكوين المعلمين . فالعدد يبلغ ٩٧٣ . ٧٤٨طالبا

ومن هذا العدد حوالي ٧٠ ٪ ينتمون الى الأقسام المعربة . و ٥٠ ٪ من الأقسام المعربة يدرسون أيضا باللغة العربية . و ٣٠ ٪ من الأقسام المتبقية التي الشعب التقنية . والعلمية . والتكوينية المهنية . كالفلاحة وبعض مراكز التكوين المهني يتابعون دراستهم باللغة العربية وحدها .

أما في التعليم العالي فقد بلغ عدد الطلبة عام ١٩٧٨ ٦٣٧ .٥٤ طالبا . منهم حوالي (١٣ الف طالب من معاهد الحقوق وحدها . و حوالي ١٠ آلاف من العدد الأول معربون . بالاضافة الى الأعداد الأخرى المعربة تعريبا كاملا . (أي غير المزدوجة) والمتخرجة كل سنة من مختلف المعاهد كالآداب . والعلوم السياسية . والاجتماع . والاقتصاد ونعتقد أن هذه

الأرقام الملموسة (الرسمية) الصادرة عن وزارة التخطيط سنة ١٩٧٨ لا تترك أية حجة للتدرج بالامكانيات بعد أن أصبحت هذه الامكانيات حجة للتعريب وليست حجة ضد التعريب

رابعا : التدرج بضعف الكفاءة للاطار المعرب

وهذه المغالطة يكذبها الواقع ويؤكد تكذيبها المنطق أما تكذيب الواقع لها . فهو التساوي في أسباب النجاح والفشل بالنسبة للاطارات المعربة القليلة التي عقدت المسؤولية بعد الاستقلال . بالمقارنة مع الاطارات التي ظلت تستعمل اللغة الفرنسية مما يثبت (عند أحسن الفروض) أن المسألة متعلقة بالانسان وليست كامنة في اللسان . وبرهان الثورة التحريرية خير شاهد على ذلك ( )

وأما تأكيد المنطق السليم لهذا التكذيب الذي يثبته الواقع فهو أن الكفاءة تأتي من التعود ولا يمكن للانسان أن يولد كفأ ( ) وهل كفاءة الاطارات الحالية . هي نفس كفاءتها في السنوات الأولى للاستقلال ؟ قطعا لا ولقد أثبت الجزائريون الوطنيون للاستعمار أنهم قادرون على تسيير شؤونهم بأنفسهم وأخذ مستعمل البلادين أيديهم على عكس ما كان يدّعيه المستعمر العنصري . بأن (العربي) خلق لنقاد ويسيّر (بفتح الياء)

ولم يخلق ليقود و يسير بقطع النظر عن الشهادة العلمية التي يحملها باللغة العربية أو العبقرية التي يتوفر عليها هذا العربي الجزائري.

فهل يعقل أن نمارس على بعضنا . بل على انفسنا تجربة استعمارية. أثبتنا نحن بارادتنا الحرة خطأها بكيفية عملية . وعلمية لا تقبل أن يجادل فيها عاقلان

خامسا : التدرج بصعوبة اللغة العربية واستعصائها . على الأفهام والأذهان ( )الى جانب أنها لغة شبه ميتة . ومتخلفة لا فائدة تجنى من وراء تعلمها وانمائها سواء على الصعيد المحلي . أم الدولي ومجرد نظرة موضوعية (من خارج المرآة المشوهة .) تبين لنا أن

هذه الحجة (المركبة و المعركة) لا تقل بهتانا عن مثلاتها تحاول

محاجة موت اللغة العربية وعدم جدواها المرجوة . يكذبه وضعها

للترتيب السادس . مادون الالاف من اللغات المنتشرة في اقطار عالم

الشرق والغرب . والتي لم تحظ بالمكانة الرسمية كلغة عمل في الامم

المتحدة وهيئاتها المختلفة . مثل اللغة العربية ( )

وأما حجة الصعوبة . والاستعصاء فان لادلة ملموسة الدامغة

على ذلك نجد ها لدى الفرنسيين انفسهم الذين يحرصون الحرص على

تقليدهم في كل شئ مما يقولون وليس في كل ما يفعلون مع أن

الفرق بين ما يقولون لنا وما يفعلون مع أنفسهم هو الفرق بين الموت

والحياة) هؤلاء الفرنسيين المتعصبين الذين أصبحوا يجيدون اللغة العربية

وهذا أنتسوا للذين لا يفكرون بارديهم الحرة . أن الاستعصاء تحلل .

يمكن في جهاز الاستقبال وليس في جهاز الارسال اللغوي لدى ما بنا

الفرنسيون أنفسهم . أنه جهاز في غاية الفعالية عند ما نجد جهاز

الاستقبال السليم

سادســـا : المغالطة المكشوفة التي يجتهد أصحابها في

حمل الاستقلال التامي (عن الاستعمار تعديم و تحديد) على طرفي

نقيض . مع الازدهار الاقتصادي للبلاد . بدعوى تشتيت الجهود وتبديد

الطاقات الحية والشابة في العمل على استرجاع الشخصية الوطنية

(باعتبارها من الموضوعات الهامشية في نظرهم) سيحول دون تحقيق

أهداف الثورة الصناعية والزراعية . ومن ثمة وجدناهم ينصحون بتأجيل

موضوع الشخصية الوطنية . والاستقلال التامي الى أجل غير مسمى .

حرصا على تحقيق الازدهار الاقتصادي . وكأن بالخبز وحده يحيا الانسان

والحقيقة أن الاستقلال التامي . واسترجاع الشخصية الوطنية التي

مسخها الاستعمار ، وقد خرج من الدار بالنار وهي نفسه شيء منها ، هي

مسألة وطنية (بقطع النظر عن كونها جوهرية . مصيرية . وليست عصبية هامشية) فهي مسألة شرف وسيادة وطنية . والسيادة والشرف من الأمور والمبادئ (المعنوية) السامية التي لا تقبل ـ بالداهة ـ أن يساوم فيها . أو يستعاض عنها بالترف أو العلف وقبل هذا او ذاك فان الموضوع طرح بكيفية معكوسة والأصح أن استرجاع الشخصية الوطنية وتحقيق الاستقلال الثقافي يتكامل بالضرورة مع التنمية الاقتصادية المنشودة للثورة ولا يتعارض معها . أبدا و ذلك للأسباب التالية

إن الثورة المستمرة الشاملة ذات الأركان الثلاثة الصناعية والزراعية والثقافية كل متكامل لا يقبل التجزئة الا من ناحية المجالات وتقسيم العمل بين الثور . واذا كانت الثورة الثقافية أساس الثورتين الأخريين . حتى لأنها عصب الوعي الايديولوجي الكفيل بتحقيق أهداف الثورة المنشودة

فان الاستقلال الثقافي المبني على استرجاع الشخصية الوطنية هو أساس الثورة الثقافية . و بالتالي . فلا يمكن أن تتحقق الثورة الثقافية الا بلغة الثقافة الوطنية . ومن هنا نرى أن الذريعة وضعت بكيفية مغلوطة (وهي أن الاستقلال الثقافي يؤدي الى التأخر الاقتصادي) والأصح هو أن توضع كلمة (عدم) قبل كلمة الاستقلال الثقافي لكي تكون المقولة سليمة متمشية مع التفكير التقدمي . فتقرأ : (إن عدم تحقيق الاستقلال الثقافي سيؤدي إلى عرقلة الاستقلال الاقتصادي) كما يؤكد ذلك الواقع المعاش للدول المتقدمة في العالم

الوطنية

وفيما يلى تفصيل ماتم انجازه الى حد الآن

أولا : تعريب وثائق الحالة المدنية . وهى تتكون من ٢٨ وثيقة مفصلة فيما يلى :

١ ـ نسخة من سجلات عقود الزواج (نقل)
٢ ـ نسخة من سجلات عقود الزواج
٣ ـ موافقة على زواج
٤ ـ شهادة عدم الاعتراض على زواج
٥ ـ اعـــلان بزواج
٦ ـ شهادة عدم تكرار الزواج
٧ ـ شهادة عدم الطلاق
٨ ـ الدفتر العائلى
٩ ـ اشعار ببيان عن وفاة
١٠ ـ اشعار ببيان زواج ـ طلاق
١١ ـ شهاده طلاق
١٢ ـ شهاده الميلاد
١٣ ـ نسخة من سجلات شهادات الميلاد
١٤ ـ نسخة من سجلات الاحكام الجماعية للمواليد
١٥ ـ بيان ولادة
١٦ ـ نسخة من الدفتر الاصلى
١٧ ـ شهادة الوفاة
١٨ ـ بيان وفاة .
١٩ ـ نسخة من سجلات شهادات الوفاة
٢٠ ـ شهادة بالوفاة .
٢١ ـ رخصة دفن .

٢٢ - وفاة - استمارة - استعلامات

٢٣ - بطاقة عائلية للحالة المدنية

٢٤ - بطاقة شخصية للحالة المدنية

٢٥ - شهادة ثبوت الشخصية

٢٦ - شهادة حياة وتوكيل

٢٧ - شهادة كفالة

٢٨ - شهادة زواج

ثانيا السجلات البلدية، عددها(٤) وتتمثل فيما يلي

١ - سجل عقود الزواج

٢ - سجل شهادات الوفاة

٣ - سجل شهادات الميلاد

٤ - سجل قيد [illegible]

ثالثا شهادات خاصة تمنحها السلطة البلدية . عددها (٤) وتتمثل فيما يلي

١ - نسخة من سجل أعضاء جيش التحرير ومن المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني

٢ - تصريح أبوي مقدم لصالح قاصر يسمح له بمغادرة التراب الوطني

٣ - تصريح بممارسة السلطة الأبوية

٤ - شهادة إقامة

رابعا : الوثائق الرسمية والبطاقات، عددها (١١) وتتمثل فيما يلي

١ - بطاقة عضو المجلس الشعبي البلدي

٢ - بطاقة عضو المجلس الشعبي الولائي

٣ - بطاقة التعريف الوطنية

٤ - بطاقة الناخب

٥ ـ بطاقة تسجيل السيارات

٦ ـ بطاقة المقيم الأجنبي

٧ ـ رخصة السياقة

٨ ـ رخصة حيازة سلاح الصيد

٩ ـ بطاقة متعاون فرنسي

١٠ ـ بطاقة التاجر الاجنبي

١١ ـ شهادة الاقامة لاحد الرعايا الفرنسيين

خامسا . الاستمارات الخاصة بطلب الحصول على بعض البطاقات عددها (٦) وتتمثل فيما يلي

١ ـ طلب بطاقة التعريف الوطنية

٢ ـ طلب جواز السفر

٣ ـ طلب بطاقة المقيم الاجنبي

٤ ـ استمارة خاصة بالبطاقة المسماة (بطاقة التاجر الاجنبي)

٥ ـ طلب بطاقة متعاون فرنسي

٦ ـ طلب الحصول على شهادة اقامة لاحد الرعايا الفرنسيين

سادسا اسماء تعريب الالقاب . ووضعها في قواميس خاصة بها حوالي مائة وخمسين الف لقب مكتوبة باللغتين (الوطنية والفرنسية)

سابعا وضع قاموس يضم اكثر من الف اسم شخصي . ليوضع في متناول ضباط الحالة المدنية بالبلديات بقصد اختيار اسماء المواليد الجدد منه وهو مكتوب باللغتين (الوطنية والفرنسية)

ثامنا : وضع قاموس باسماء المدن والقرى والجبال والاودية والأماكن التاريخية . والسياحية . يضم اسماء هذه الأماكن على مستوى كل ولايات الوطن

تاسعا : تاليف كتاب خاص بتعليم اللغة الوطنية للموظفين في الادارة المركزية والمؤسسات الأخرى التابعة للوزارة . والتي تتم فيها

بعض العملية في نطاق التعريب الوطني

عاشرا : تعريب دليل الهاتف في ثلاثة أرقام ، بحيث يعتبر الحكومة والمؤسسات التابعة له في دولة تحدد الوطن

١ ـ ٢ درجة استعمال اللغة الوطنية في الوزارة والمؤسسات التابعة لها

تستعمل اللغة الوطنية في الوزارة حتى الآن في بعض المصالح وهي محددة فيما يلي

- ديوان الوزير
- مصلحة رخص الخروج والتخليص بالمهمة
- مصلحة التعريب والترجمة
- قسم العلاقات الخارجية
- دائرة التكوين والإصلاح الإداري
- دائرة المواصلات الوطنية

الملاحظات والصعوبات .

١ ـ لا تستعمل الوزارة اللغة الوطنية في الوزارة عموما بشكل كاف ونحن في انتظار تنفيذ خطة سليمة في هذا المجال تهدف للتوصل إلى استعمال اللغة العربية في تسيير أعمال الوزارة . وذلك حسب خطة مرحلية سيتم توضيحها في مكانها من هذا التقرير

٢ ـ تنظم الوزارة ـ حاليا ـ دروسا لتمكين الموظفين من تعلم اللغة الوطنية بهدف التوصل إلى العمل بها في المستقبل ويشكو هذا المشروع من عدة نقائص وهي

أ ـ انعدام وجود قاعات الدراسة

ب ـ عدم وجود الوقت الكافي والمناسب لإعطاء هذه الدروس

ج ـ عدم ممارسة الموظفين في حياتهم العملية واليومية لما يتعلمونه من قواعد ومفردات أثناء الدروس

- اسعال الموظفين وخاصه (الاطارات السامه) باعباء المسؤوليه الادريه مما يصعب عليهم التركيز والا سيعاب الكافي لدروس اللغه الوطنيه والافاده منها عمليا

٣ ـ تواجه الوزاره صعوبات مختلفة في مجال تعميم استعمال اللغه الوطنيه نلخص منها على

- قلة الاطارات المعربه تعريبا كاملا
- ندره الضاربين على الآله الراقنه باللغه الوطنيه
- نقص الآلات الكاتبه باللغه الوطنيه
- عجز ملحوظ في المكاتب مما لا يسمح بتوظيف الاطارات الكافيه
- كما وكيفا ـ للاسراع في انجاز مشروع تعميم استعمال اللغه الوطنية بالاداره المركزيه للوزاره

الخطة المقترحة والمشاريع المزمع إنجازها

التقويم الزمني لانجاز المشاريع المقترحة

اولا ـ مشاريع تنجز على المدى القصير ومدى انجازها سنة كاملة (من ١ / ١ الى ٣١ / ١٢/ ٨١ و تتمثــل في تحقيق الاهداف التالية

- تعريب كل الوثائق والمطبوعات المتداوله على مستوى الاداره المركزيه للوزاره
- ضبط تعريب المحيط على مستوى كل ولايات الوطن
- ضبط كتابه الالقاب واخراجها نهائيا في شكل قاموس رسمي يضم القاب كل المواطنين
- اعداد دليل الموظف لملا الوثائق والمطبوعات المختلفه المتداوله في الادارة المركزية والمجموعات المحليه بغرض مساعده الموظف وارشاده الى كيفيه ملأ الأوراق المختلفه دون ارتكاب الأخطاء المضرة بحقوق الغير

المصادر الاسلامية لداروين
في
نظريته عن أصل الانواع والتطور

محمد حميد الله

ما أجمل الدعاء الذي علّمه القرآن للمسلمين (٢٠ / ١١٤) ..وقل رب زدني علماً. ثم حض من بين العلوم التفكر في خلق الكائنات. فقال (٣ / ١٩٠ ـ ١٩١) إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض . والذي يتصل بهذا الغرض الكتابي يصادف بادئ ذي بدء قسمين من الآيات

(١) ما يؤكد الخلق في الفور ..وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر. (٥٤ / ٥٠) إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن. فيكون (١٦ / ٤٠ ومرات بمعناه)

(٢) ما يدل على التدريج : ..خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام. (٢٥ / ٥٩ ومرّات بمعناه) . ..خلق الأرض في يومين وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام فقضاهن سبع سموات في يومين . (٤١ / ٩ ـ ١٢)

ولكن ليس بين هذين القسمين أي تضاد . فالواحد يذكر كمال قدرة الله . والآخر يشير إلى مشيئة الله وكيفية تحققها أما المراد باليوم في

تاريخ الخلق . فيمكن أن نستنبطه مما يلي

- ..سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما.. (٦٩ / ٧) هو يوم اثنتي عشرة ساعة
- ..ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا.. (٣ / ١٤١) . وهو يوم أربع وعشرين ساعة
- ..وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون.. (٢٢ / ٤٧) . وهو يوم كألف سنة
- .. في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة . (٧٠ / ٤) وهو كما نقول كخمسين ألف سنة

وكل هذا ليس على سبيل التحصر بل على سبيل التمثيل . فمحور يوم كمثلنا راب السنين ، وما سيتبع سنة تعتوه

ـ فصّل القرآن في خلق الكائنات مفاصل أخرى أيضا . فقال

* ..ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض.. (٤١ / ١١)
* ..أن السموات والأرض كانتا رتقا . ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي.. (٢١ / ٣٠)
* ..والله خلق كل دابة من ماء . فمنهم من يمشي على بطنه . ومنهم من يمشي على رجلين . ومنهم من يمشي على أربع.. (٢٤ / ٤٥)
* ..والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون.. (٥١ / ٤٧)

حتى ذهب إلى أن يقول ..لا تبديل لخلق الله.. (٣٠ / ٣٠) . ..فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا.. (٣٥ / ٤٣)(ومرات في معناه)

ويعترف أيضا بتفاوت الدرجات بين مختلف الكائنات فيقول ..خلقنا الإنسان في أحسن تقويم . ثم رددناه أسفل سافلين . الذين آمنوا

ـ (٩٥ / ٤ ـ ٦) . فيتصهقر الملائكة في البشر . كما يقول ..على الملكين سابل هاروت و ماروت ـ (٢ / ١٠٢) . ويمهقر الانسان في القرد كما قال . ..كونوا قردة خاسئين ـ (٢ / ٦٥) وفي خلق الانسان تفاصيل عديدة.

* ..لما خلقت بيدي ـ (٣٨ / ٧٥)
* ..بدأ خلق الانسان من طين ـ (٣٢ / ٧)(ومرّات سبعة)
* ..فانّا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ـ (٢٢ / ٥)
* ..ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين · ثم جعلناه في قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة ـ (٢٣ / ١٢ ـ ١٤)

ويعرف القرآن أن النطفة لا تخرج من التراب والطين . بل ..تخرج من بين الصلب والترائب ـ (٨٦ / ٧) ..يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ـ (٣٩ / ٦)

ويخبرنا ..لتركبن طبقا عن طبق ـ (٨٤ / ١٩) ويخبرنا . ..وقد خلقكم أطوارا ـ (٧١ / ١٤) والاطوار من التطور وعندما يقرؤ المصدر .هو الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ـ (٤ / ١ ويكرر في ٧ / ٧٩ او ٣٩ / ٦) يسائل هل كان الانسان في أول الامر مثل بعض الحيوانات والاشجار التى تتناسل وليس فيها فرق الذكر والانثى ؟ إلى غير ذلك من الاشارات . فتبارك الله أحسن الخالقين (٢٣/ ١٤)

(٢)

لما تطور العلم والفكر عند المسلمين بالتدريج بدؤا يدوّنون نظرياتهم وكان لابد أن يكون عندهم اختلاف أيضا و يعرف كل انسان عادى حتى السادج من الناس أن الكائنات تنقسم الى الجمادات والنباتات والحيوانات عرفه من كان في مشارق الارض ومغاربها . وعرفه حتى البدوى الأمى من العرب . كما يدل عليه وجود هذه المصطلحات في لغته

هذا أمر يتعلق بالمشاهدة . ولا يمكن أن يقال أن الرومي مثلا تعلمه من اليوناني . أو الهندي من الصيني

ولكن استحالة بعض الكائنات إلى بعض أمر لم يغفل عنه كثير من الأمم فنحاول أن نجمع ههنا ما يتصل في هذا المجال

(١) ولعل أقدمهم الجاحظ (المتوفى ٢٥٥ هـ) . وهو تلميذ الامام أبي يوسف وذكر شارل بلا Ch PELLAT في دائرة المعارف الاسلامية، من الطبعة الثانية . تحت مادة . الجاحظ. أن الجاحظ بين في كتابه .كتاب الحيوان . أشياء تدل أنه كان يعتقد في تطور الانواع وتحول بعضها الى بعض ولكن مع الاسف لم يذكر شارل بلا بالضبط العبارات من كتاب الحيوان حتى أنقلها ههنا لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا

(٢) ثم تأتي رسائل اخوان الصفاء . وهي لمؤلفين لم يريدوا ذكر أسمائهم ويقال ان هذه الرسائل ألفت بين ٣٣٤ و ٣٧٣ للهجرة . ووصلت إلينا . ونجد في المطبوع منها

..القسم الثاني الجسمانيات الطبيعيات الرسالة الأولى في بيان الهيولى والصورة والحركة والزمان الثانية في السماء والعالم الثالثة الكون والفساد . الرابعة الآثار العلوية الخامسة تكوين المعادن السادسة في ماهية الطبيعة السابعة في أجناس النبات الثامنة في كيفية تكوين الحيوانات وأصنافها (ص ٣٥) .

..لما فرغنا من ذكر الاجسام الفلكية وبينا كمية أكرها وكيفية نظامها فنريد أن نذكر في هذه الرسالة . الملقبة بالكون والفساد . الاجسام الطبيعية التي دون فلك القمر . وكمية عدد ها . وكيفيه نظامها . واختلاف طبائعهــا . وكيفية استحالة بعضها الى بعض . بأسباب الاجسام الفلكية فيها.وكمية الاجناس الكائنات المتولدات منها إعلم أيها الأخ . أيدك الله وإيانا بروح منه . أن الاجسام التي تحت فلك القمر سبعة أجناس

أربعة منها هي الأمهات الكليات . وهي النار والهواء والماء والارض وثلثة هي المولدات والجزئيات . وهي الحيوان والنبات والمعادن فبدأ أولا بوصف الامهات الكليات (ص ٤٢) الرسالة الرابعة في الآثار العلوية (ص ٤٥) انعكاس الشعاعات (ص ٥٩) الرسالة الخامسة في بيان تكوين المعادن ..

..ثم اعلم . يا أخي . أن استحالة الكائنات الفاسدات التي تحت فلك القمر هي خمسة أنواع فمنها استحالة الأركان الاربعة بعضها إلى بعض . كما بينا طرفا من كيفية ذلك في رسالة الكون والفساد ومنها حوادث الجو و تغييرات الهواء كما بينا (ص ٦٠) طرفا منها في الآثار العلوية ومنها استحالة الكائنات الفاسدات تتكون وتنعقد في باطن الارض وعمق البحار وجوف الجبال وهي الجواهر المعدنية كما نبين طرفا من كيفيتها في هذه الرسالة ومنها استحالة النبات والاشجار . وهو كل جسم يغتذى وينمى . بينا طرفا منها في رسالة أخرى . ومنها استحالة الحيوان وهو كل جسم متحرك حساس كما بينا طرفا منها في رسالة بعد ذكر النبات ..

..واعلم (أن) هذه الاشياء التي ذكرناها أنها تتكون وتحدث وتمر وتفسد بطول الزمان والدهور وتناوب الليل والنهار . وتعاقب الشتاء والصيف على الأركان الاربعة التي هي الأرض والماء والهواء والنار . ويكون اختلاف أحوالها بحسب موجبات أحكام النجوم في القرانات والألوف والأدوار وبحسب أشكال الفلك ومسيرات الكواكب ومطارح شعاعاتها من الاوتاد والآفاق و نريد أن نبين كيفية تكوين المعادن (ص ٨٠ . وعلى هذا القياس حكم جميع الجواهر المعدنية . فإن مادتها إنما هي رطوبات ومياه وأنداء وبخارات تنعقد بطول الوقوف وممر الزمان في البقاع المخصوصة لها .. (ص ١٠١).

..لما فرغنا من ذكر الجواهر المعدنية . وبينا طرفا من كيفية تكوينها،

وكمية أجناسها . وفنون أنواعها . وخواص منافعها و مضارها في رسالة لنا . وبينا فيها بأن آخر مرتبة المعدنية متصلة بأول مرتبة النباتية فنريد أن نتبعها برسالة النبات . ونبين فيها أيضا طرفا من كيفية نشو النبات . وكمية أجناسها . وفنون أنواعها . وخواصها . ومنافعها . ومضارها . ونبين فيها أيضا أن آخر مرتبة النبات متصلة بأول مرتبة الحيوانية . وأن آخر مرتبة الحيوانية متصلة بأول مرتبة الانسانية . وآخر مرتبة الانسانية متصلة بأول مرتبة الملائكة . الذين هم سكان السماوات وقاطنو الافلاك .. (ص ١١٢)

..أما النخل فهو آخر مرتبة النباتية مما يلي الحيوانية . وذلك أن النخل نبات حيواني . لأن بعض أحواله متباين لأحوال النبات . وان كان جسمه نباتا بيان ذلك أن القوة الفاعلة منفصلة من القوة المنفعلة والدليل على ذلك أن أشخاص الفحولة منه مباينة لأشخاص الأناث ولأشخاص فحولته لقاح في أناثها . كما يكون ذلك للحيوان.أما سائر النبات فان القوة الفاعلة منه ليست بمنفصلة من القوة المنفعلة بالشخص بالفعل . حسب ما بينا في رسالة لنا وأيضا فان النخل إذا قطعت رؤوسها جفت . وبطل نمو ها ونشوها وماتت كل ذلك موجود في الحيوان فبهذا الاعتبار تبين أن النخل نباتي بالجسم . حيواني بالنفس . اذ كانت أفعاله أفعال النفس الحيوانية . وشكل جسمه شكل النبات ..

..واعلم يا أخي (ص ١١٣) بأن أول مرتبة الحيوان متصلة بآخر مرتبة النبات . وآخر مرتبة الحيوان متصلة بأول مرتبة الانسان . كما أن أول مرتبة النباتية متصل بآخر مرتبة المعدنية . وأول مرتبة المعدنية متصل بالتراب والماء كما بينا قبل فأدون الحيوان وأنقصه هو الذى ليس له إلا حاسة واحدة فقط وهو الحلزون . . . فقد بان بما وصفنا كيفية مرتبة الحيوانية مما يلي رتبة الانسانية ليس من وجه واحد ولكن من عدة وجوه (ص ١١٤) وذلك ان رتبة الانسانية لما كان معدنا للفضل وينبوعا للمناقب لم

يستوعبها نوع واحد من الحيوان . ولكن عدة أنواع . فمنها ما قارب رتبة الانسانية بصورة جسده . مثل القرد ومنها ما قارب بالاخلاق النفسانية . كالفرس في كثير من أخلاقه ومنها كالطائر الانساني أيضا ومثل الفيل في ذكائه وكالببغاء والهزار ونحوهما من الأطيار الكثيرة الأصوات والألحان والنغمات ومنها النحل اللطيف الصانع . الى ما شاكل هذه الأجناس وذلك أن ما من حيوان يستعمله الناس ويأنس بهم الا ولنفسه قرب من نفس الانسانية أما القرد فلقرب شكل جسمه من شكل جسد الانسان صارت نفسه تحاكي أفعال النفس الانسانية وذلك مشاهد منه متعارف بين الناس (ص ١١٩).

الرسالة الثامنة منها في كيفية تكوين الحيوانات وأصنافها (ص ١٢١)

فصل واعلم . يا أخي . أيدك الله وإيانا بروح منه . بأن صور النبات منكوسة الانتصاب إلى أسفل . لأن رؤوسها نحو مركز الأرض ومؤخرها نحو محيط الافلاك . . والانسان بالعكس من ذلك إلى فوق . لأن رأسه مما يلي الفلك ورجليه مما يلي مركز الأرض إلى موضع وقف على بسيطها والحيوانات متوسطة بين ذلك لا منكوسة كالنبات . ولا منتصبة كالانسان . بل رؤوسها إلى الآفاق ومؤخرها الى ما يقابله من الأفق الآخر (راجع رسائل اخوان الصفا . في أربع مجلدات طبع بمبئي بالهند ١٣٠٥ ـ ١٣٠٦هـ . مراجع المجلد الثاني منها)

(٣) ثم خلفهم أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه الذي توفي في ٤٢١ هـ طاعنا في السن وكان طبيبا فيلسوفا وذكر اراءه في هذا الموضوع في كتابين له · الفوز الأصغر . وتهذيب الاخلاق . وكلاهما طبعا مرارا والبيانان يكمل بعضهما بعضا . ولذلك أنقل كليهما:

الف) المسئلة الثالثة في النبوات وهي أيضا تشتمل على عشرة فصول الفصل الأول في مراتب موجودات العالم واتصال بعضها ببعض .

حصلت فيه شبه قوية من الحيوان ومشابهة كثيرة منها أولها أن الذكر
متميز من الأنثى . وأنه يحتاج الى التلقيح لتتم حمله فان عرضت له آفة
تلف وليس كذلك سائر الاشجار وبزر النخل الذى يسمى طلعا . وبه
تلقح النخلة . شبه الرائحة بزر الحيوان إلى خصال اخر ليس هذا موضع
احصائها ..

..فقد تبين بلوغ النخلة غاية الموضوع للنبات أن تبلغه . وصار في
أفق الحيوان وذلك أن أول ما يرتقي النبات من منزلته الاخيرة وينتهي من
مرتبته الاولى إلى أن ينقطع من الارض . ولا يحتاج إلى إنبات العروق
فيها . مما يحصل له التصرف بالحركة الاختيارية وهذه المرتبة الأولى من
الحيوان فيه ضعيفة لضعف أثر الحسّ فيه . وهو حس واحد . مثال حس
اللمس وذلك كالصدف وأنواع الحلزون الذى يوجد في شاطىء الانهار
وأسياف البحار وإنما تعرف حيوانيته . ويعلم أنه ذو حس واحد من أجل
أنه إن انسلت من موضعه بسرعة وعلى غفلة منه . فارق موضعه
وانسحاب للآخذ وإن أخذ بإبطاء وعلى ترتيب لزم موضعه وتمسك به وهو
يضعف عن التنقل . وإن كان قد تقلع من الأرض وصارت له حياة ما لانه
في الأفق القريب من النبات وفيه مناسبة منه..

..ثم يرتقي من هذه الرتبة إلى أن ينتقل و يتحرك . ويقوى فيه قوة
الحس . و يظهر أثر النفس فيتنقل ويلتمس منافعه ويصير له حسان .
كالدود و كثير من الفراش والدبيب ثم يرتقي من هذه الرتبة . و يقوى أثر
النفس فيه . إلى أن يصير منه الحيوان الذى له أربع حواس . كالخلد وما
أشبهه ثم يرتقي من ذلك إلى أن يصير له من حس البصر شيء ضعيف .
كالنمل والنحل والحيوان الذى على عيونه شبه الحرف . وليست له أجفان
ولا ما يستر أحداقها ثم يقوى ذلك . الى أن يصير منه الحيوان الكامل
في الحواس الخمس وهى مع ذلك متفاوتة المراتب فمنها البليدة
الجافية الحواس . ومنها الذكية اللطيفة . التى تستجيب للتأديب وتقبل

(ب) ..الاجسام الطبيعية . إن الاجسام الطبيعية كلها تشترك في الحد الذي يعمها . ثم تتفاضل بقبول الآثار السريعة الصور التي تحدث فيها . فإن الجماد منها إذا قبل صورة مقبولة عند الناس صار بها أفضل من الطينة الأولى التي لا تقبل تلك الصورة فاذا بلغ إلى أن يقبل صوره نبات صار بزيادة هذه الصورة أفضل من الجماد وتلك الزيادة هي الاغتذاء والنمو والامتداد في الاقطار واجتذاب ما يوافقه من الأرض ونحوه وترك ما لا يوافقه . و بعض الفضلات التي تتولد فيه من غذائه عن جسمه بالصموغ وهي هذه الأشياء التي يتفضل بها النبات من الجماد وهي حال زائدة عن الجسمية التي حددناها وكانت حاصلة في الجماد وهذه الحالة الزائدة في النبات التي تشرف بها على الجماد تتفاضل وذلك أن بعضه يفارق الجماد مفارقة يسيرة كالمرجان وأشباهه ثم يتدرج فيها فيحصل له من هذه الزيادة شيء بعد شيء فبعضه ينبت من غير زرع ولا بذر ولا يحفظ نوعه بالبذر والزرع ويكفيه في حدوثه امتزاج العناصر وهبوب الريح وطلوع الشمس فلذلك هو في أفق الجمادات وقريب الحال منه ثم تزداد هذه الفضيلة في النبات فيفضل بعضه على بعض نظام و ترتيب حتى تظهر فيه قوة الاثمار وحفظ النوع بالبزر الذي يخلف به مثله فتصير هذه الحالة الزائدة فيه و مميزة له عن حال ما قبله ثم تقوى هذه الفضيلة فيه حتى يصير فضل الثالث على الثاني كفضل الثاني على الاول.

-ولا يزال يشرف ويفضل بعضه على بعض حتى يبلغ الى أفقه . ويصير في أفق الحيوان وهي كرام الشجر .كالزيتون والرمان والكرم وأصناف الفواكه الا أنها بعد مختلفة القوى أعني أن قوى ذكورها و أناثها غير متميزة فهي تحمل وتلد المثل . ولم تبلغ غاية أفقها الذي يتصل بأفق الحيوان ثم تزداد وتمعن في هذا الأفق إلى

ان تصير فى أفق الحيوان فلا تحتمل زيادة وذلك أنها ان قبلت زيادة يسيرة صارت حيوانا . و خرجت من أفق النبات فحينئذ تتميز قواها . ويحصل فيها ذكورة وأنوثة . و تقبل من فضائل الحيوان أمورا تتميز بها عن سائر النبات والشجر . كالنخل الذى طابع أفق الحيوان بالخواص العشر المذكوره فى مواضعها . ولم يبق بينه و بين الحيوان إلا مرتبة واحدة وهى الانقلاع من الأرض . و لسعى إلى الغذاء وقد روى فى الخبر ماهو كالاشارة أو كالرمز إلى هذا المعنى وهو قوله صلى الله عليه و سلم أكرموا عماتكم النخل . فانها خلقت من بقية طينة آدم فاذا تحرك النبات واقتلع من أفقه . وسعى الى غذائه . ولم يبق فى موضعه الى أن يصير اليه غذاؤه . و كونت له الات أخر يتناول بها حاجاته التى تكمله . فقد صار حيوانا وهذه لآلات تتزايد فى الحيوان من أول أفقه و تتفاضل فيه . فيشرف به بعضها على بعض كما كان ذلك فى النبات فلا يزال يقبل فضيلة بعد فضيلة حتى تظهر فيه قوة الشعور باللذة والأذى . فيلتذ بوصوله الى منافعه . ويتألم بوصول مضاره اليه ثم يقبل الهام الله عزوجل اياه . فيهتدى الى مصالحه فيطلبها . وإلى أضداده فيهرب منها.

..وما كان من الحيوان فى أول أفق النبات فانه لا يتزاوج . ولا يخلف المثل . بل يتولد كالديدان والذباب وأصناف الحشرات الخسيسة ثم يتزايد فيه قبول الفضيلة . كما كان فى النبات سواء ثم تحدث فيه قوة الغضب التى ينهض بها الى دفع مايؤذيه . فيعطى من السلاح بحسب قوته . وما يطيق استعماله فان كانت قوته الغضبية شديدة كان سلاحه تاما قويا . وان كانت ناقصة كان ناقصا وان كانت ضعيفة جدا لم يعط سلاحا البتة . بل أعطى آلة الهرب والعدو . والقدرة على الحيلة التى تنجيه من محاوفه وأنت ترى ذلك عيانا من الحيوان الذى أعطى القرون التى تجرى له مجرى الرماح والذى أعطى الأنياب والمخالب التى تجرى له مجرى السكاكين والخناجر . والذى أعطى له آلة الرمى التى تجرى له

مجرى النيل والسـاب والذى أعطى الحوافر التى تجرى له مجرى الدبوس والطبرزين فأما ما لم يعط سلاحا لضعفه عن استعماله ولقلة شجاعته ونقصان قوته العصبية ، ولانه لو أعطيه لصار كلا عليه . فقد أعطى آلة الهرب والحيل . بجودة العدو والخفة والختل والمراوغة كالذئاب وأشباهها وإذا تصفحت أحوال الموجودات من السباع والوحش والطير رأيت هذه الحكمة مستمرة فيها فتبارك الله أحسن الخالقين لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين.

..فأما الانسان فقد عوض من هذه الآلات كلها بأن هدى إلى استعمالها كلها ، وسخرت هذه كلها له وسنتكلم على ذلك فى موضعه وأما أسباب هذه الأشياء كلها . والشكوك التى تعرض فى بعض بعضها بعضا بالتلف فالأنواع من الأذى فليس يليق بهذا الموضع . وسأذكر . إن أخر الله فى الأجل . عند بلوغنا الى الموضع الخاص بها.

..مراتب الحيوان ونعود إلى ذكر مراتب الحيوان ،فنقول إن ما هدى منها إلى الازدواج . وطلب النسل . وحفظ الولد . وتربيته والاشفاق عليه بالكن والعش واللباس . كما نشاهد فيما يلد ويبيض . وتغذيته إما باللبن وإما بنقل الغذاء إليه فإنه أفضل امما لا يهتدى الى شئ منها ثم لا تزال هذه الأحوال تتزايد فى الحيوان حتى يقرب من أفق الانسان . فحينئذ يقبل التأديب . ويصير بقبوله الأدب ذا فضيلة . يتميز بها من سائر الحيوانات ثم تتزايد هذه الفضيلة فى الحيوانات حتى يتشرف بها ضروب الشرف . كالفرس والبازى المعلّم ثم يصير من هذه المرتبة إلى مرتبة الحيوان الذى يحاكى الانسان من تلقاء نفسه . ويتشبه به من غير تعليم . كالقردة وما أشبهها ويبلغ من ذكائها أن تستكفى فى التأديب بأن ترى الانسان يعمل عملا فيعمل مثله . من غير أن يحوج الانسان إلى تعب بها ورياضة لها وهذه غاية أفق الحيوان التى ان تجاوزها . وقبل زيادة يسيرة . خرج بها عن أفقه وصار فى أفق الانسان الذى يقبل العقل والتمييز والنطق والآلات

التي يستعملها والصور التي يلائمها فاذا بلغ الى هذه الرتبة تحرك إلى المعارف . واشتاق الى العلوم . وحدث له قوى وملكات ومواهب من الله عزوجل . فقدر بها على الترقي والامعان في هذه الرتبة . كما كان ذلك في المراتب الاخرى التي ذكرناها .

..وأول هذه المراتب من الأفق الانساني المتصل بآخر ذلك الافق الحيواني مراتب الناس الذين يسكنون في أقاصي المعمورة من الشمال والجنوب . كأواخر الترك من بلاد ياجوج وماجوج . وأواخر الزنج وأشباهه من الأمم التي لا تتميز من القرود الا بمرتبة يسيرة ثم تتزايد فيهم قوة التمييز والفهم إلى أن يصيروا الى وسط الأقاليم . فتحدث فيهم الذكاء وسرعة الفهم والقبول للفضائل وإلى هذا الموضع ينتهي فعل الطبيعة التي وكلها الله عزوجل بالمحسوسات ثم يستعد بهذا القبول لاكتساب الفضائل واقتنائها بالارادة والسعي والاجتهاد الذي ذكرناه فيما تقدم . حتى يصل إلى آخر أفقه فاذا صار إلى آخر أفقه اتصل بأول أفق الملائكة وهذا أعلى مرتبة الانسان وعندها يتحد الموجودات . ويتصل أولها بآخرها وهو الذي يسمى دائرة الوجود لان الدائرة هي التي قيل في حدها انها خط واحد . يبتدى بالحركة من نقطة و ينتهي إليها بعينها.

ودائرة الوحدة هي المتأحدة التي جعلت الكثرة وحدة وهي التي تدل دلالة صادقة برهانية على موحدها وحكمته وقدرته ووجوده ،تبارك اسمه . وتعالى جده،وتقدس ذكره ..(تهذيب الاخلاق لابن مسكويه . ص ١١٨ ـ ١٣٢ . طبع مصر ١٣١٧هـ على هامش أدب الدنيا والدين للماوردي) (ولسهو الطباعة رقمت الصفحات ١٢١ ـ ١٣٢ بالارقام ١١٣ ـ ١١٥ مكررة . فتنبه)

٤) محمد بن حبيب الله بركة الاصفهاني أفضل الدين أبوحامد،وقد نقل عنه ألمالي محمد حمدي يازر في تفسيره التركي للقرآن الكريم . ج ٤، ص ٣٤٣٤ كمايلي .

Bundan dolayi ötedenberi meâdinin, nebâtâtın, hayvanatin tesniflerine çok ehemmıyet verilmiş ve zaman zeman muhtalif noktai nazarlardan muhtalif tasnıfler yapılmış, ve türlü mulahazalar yürütülmüştür Ezcumle Ibn Türketel-esfeshanı *Fusus* şerhinde dımıştir kı · "Arzda evvelâ tekevvün eden meâdın, sonra nebât, sonra hyvanlar. Ve Hak teala bu mevalıd eczasınden her sınfının ahırını onu velyedenen evvelâ kıldı da meadının ahırı ve nebatın evvelını mantar, nebatın ahırı ve hayvanın evvelını hurma, heyvanın âhırı ve ınsanın evvelını maymun kıldı kı vahdatı ıttısalıyye halel ve ınhıraftan fasıla ve ınkıtâ 'dan mahfuz ve mazbut olsun ıçın". (Hak Dını Kur'an Dılı, IV, 3434)

ترجمة :

..لسبب هذا أعطى أهمية كبيرة منذ قديم . لتقسيم (الموجودات في) الجمادات والنباتات والحيوانات ومن زمن إلى آخر قسم الناس . من نقاط النظر المختلفة . تقسيمات مختلفة ولاحظوا ملاحظات عديدة ومن جملتهم ماذكر ابن تركة الاصفهاني في شرح الفصوص أول ماخلق في الأرض كانت جمادات . ثم النباتات بعد ذلك . ثم الحيوانات والله سبحانه وتعالى لما أراد خلق هذه المواليد (الثلاثة) جعل النوع الأعلى من كل جنس فوق جميع الأنواع ولذلك أعلى الجمادات وأدنى النباتات هو الفطر (MUSHROOM) . وأعلى النباتات وأدنى الحيوانات هو النخل . وأعلى الحيوانات وأدنى الانسان هو القرد . لكي تكون متصلة من الخلل والانحراف ومحفوظة مصونة من الانقطاع (محمد حمدى يازر . حق دينى قرآن ديلى . ج ٤ . ص ٣٤٣٤) .

٥) ومعاصرهما ابن الهيثم (المتوفى ٤٣٠هـ) ونقل عنه السيد أمير علي مثل هذه الآراء ولكن مع الاسف بدون ذكر المأخذ هذا ما قال :

The doctrine of evolution and progressive development to which these philosophers adhered most strongly has been propounded in clear terms by one of their representatives, the famous Al-Hazen. The philophical notions on this subject may be summarised thus : In the region of existing matter, the mineral kingdom comes lowest, then comes the vegetable king-

dom, then the animal, and finally the human being. By his body he belongs to the material world, but by his soul he appertains to the spiritual beings—the angels, above whom only is God; thus the lowest is combined by a chain of progress to the highest. But the human soul perpetually strives to cast off the bonds of matter, and, becoming free, it soars upwards again to God, from where it emanated." (Syed Ameer Ali, *The Spirit of Islam* 6th impression, London 1952, p. 424)

ترجمة :

..إن نظرية التطور والارتقاء لبعض شيء تمسك بها هؤلاء الفلاسفة بكل شدة . قد ذكرها بكل وضاحة وصراحة أحد ممثليهم . أعني ابن الهيثم الشهير وخلاصة أفكاره نلخصه في هذا الموضوع كما يلي

في عالم الموجودات المادية . الجمادات هي أدناها . ثم تكون (فوقها) النباتات . ثم الحيوانات . وأخيرا الإنسان فالإنسان بجسده متعلق بعالم المادة ولكن بروحه هو متعلق بالموجودات الروحانية . أي الملائكة وفوقهم ليس إلا الله سبحانه وهكذا الأدنى متصل بسلسلة ارتقائية بالأعلى ولكن النفس الإنسانية تجتهد دائما أن تتحرر من أغلال المادة وعندما تتحرر تصعد إلى العلو مرة أخرى إلى الله تعالى الذي خرجت منه (فإليه المبدأ والمعاد) (سيد أمير علي دي سپرت آو اسلام . طبعة سادسة . لوندره ١٩٥٢ م . ص ٤٢٤)

٦) ان ابن الطفيل الفيلسوف الأندلسي المتوفى ٥٨١ هـ معروف لقصته الرمزية المعروفة برسالة حي بن يقظان وينسب إليه أيضا أفكار مماثلة

٧) ثم يحكي عنصر أحد من كبار الصوفية مولانا جلال الدين الرومي المتوفى ٦٧٢ هـ ينقل بعض أشعاره من تأليفه ..مثنوي..

از جمادی مُردم و نامی شدم

وز نما مُردم بحیوان سر زدم

مُردم از حیوانی و آدم شدم

پس چه ترسم کی از مردن کم شدم

حمله دیگر بمیرم از بشر
تا برآرم از ملایک پر و سر
ور ملک هم بایدم جستن ز جو
کل شیء هالک الا وجهه
بار دیگر از ملک قربان شوم
آنچه اندر وهم ناید آن شوم
پس عدم گردم عدم چون ارغنون
گویدم که إنا لله وإنا إليه راجعون

(مثنوی ٢ / ٢٢٣)

ترجمة :

من الجماد صرت إنسانا ونامیا
مت کالنامی و تخلصت الی الحیوان .
مت کالحیوان فصرت آدمیا
لذلک لماذا أخاف من الموت أن أندهور (أو : أصیر مفقودا) ؟
ولو أموت مرة أخرى فی حال البشریة
سأتحصل من الملائکة الأجنحة والرأس
وحتى من الملائکة یجب أن أحاول التخلص
لان کل شئ هالک الا وجهه
وعندما أکون ضحیة بعد ما کنت ملکا
سأصیر مالا یخطر حتی بالبال
أصیر معدوما (بعد الوجود) وسیقول ..العدم.. کالأرغون .
إنا لله وإنا إلیه راجعون.

صد هزاران حشر دیدی ای عنود
تاکنون هر لحظه از بدو وجود

از جمادی بی خبر سوی نما
ورنما سوی حیات وابتلاء
باز سوی عقل و تمیزات خوش
باز سوی خارج این پنج وشش

(مثنوی ۳ / ۵۲)

ترجمة :

رأيت مئات الآلاف من الحشر . أيها العنود
حتى الآن في كل لحظة منذ بدء الوجود
صرت من الجماد إلى النامي بدون شعور
ومن النامي صرت إلى الحيوان والابتلاء
فاخرج مرة أخرى إلى العقل والتميزات الجيدة
واترك مرة أخرى الذبذب

صد هزاران ناصح ابناس کجا ؟
تا امام الناس شناس از کجا ؟

(مثنوی ۲ / ۳۹۳) دفتر ششم

ترجمة :

أين تكون المؤاسة من صديق ؟
من أين يكون المناسبة بين الناس وامام الناس ؟

٨) وألف معاصره نصير الدين الطوسي المتوفى ٦٧٢ هـ كتاب ((أخلاق ناصرى)) بالفارسية على طلب حاكم قهستان ناصر الدين عبد الرحيم بن أبي منصور والكتاب مطبوع في مطبعة نول كشور . لكهنو . بالهند في ١٨٩٨ / ١٣١٦هـ والفصل الرابع منه (الصفحات ٤٦ ـ ٥٦) يحتوي على خلاصة آراء ابن مسكويه ، خاصة من تهذيب الاخلاق فلامحتاج إلى تحصيل الحاصل.ومن شاء فليراجع : ((فصل چهارم در بيان آنكه انسان اشرف موجودات اين عالم است)) (اى الفصل الرابع في

بيان أن الانسان أشرف موجودات هذا العالم)

٩) الشيخ عبد العزيز بن محمد النسفي الذى عاش حوالي ٦٨٠هـ له تأليف بالفارسية بعنوان ..كشف الحقائق.. (طبع تهران ١٣٤٤هـ) جمع فيه أفكار كثير من مذاهب الفلسفة . فيها التناسخ وغير ذلك . لاصلة له بالاسلام ولذلك نكتفي باقتباس أسطر من ..فصل درسخن أهل حكمت در بيان آنكه عالم چه طريق پيدا آمد ودر بيان ترتيب موجودات .. (راجع ص ٤٥ ـ ٤٦) : ..أول ما خلق الله العقل واين اصليست نزديك ايشان لا يصدر من الواحد إلا الواحد. پس از بارى تعالى يک چيز بيش صادر نشد وآن عقلست واز هر عقلى فلكى وعقلى صادر مى شد تا عقل نهم كه فلك قمر است رسيد واز عقل دهم عنصر صادر شد كه ماده عالم كون وفساد است اگر در عنصر استعداد وقابليت صورت آتشى پيدا آيد . صورت آتشى در وى حال ميشود اگر استعداد وقابليت خاک وچون بايكديگر مى آميزند مزاج پيدا مى آيد اگر استعداد وقابليت معدنى پيدا مى آيد صورت معدنى در وى حال ميشود اگر استعداد وقابليت نباتى اگر استعداد وقابليت حيوانى و اين استعدادا وقابليت حركات افلاک است .

ترجمـــــة

فصل في قول الحكماء . ..في بيـــان كيف جاء العالم إلى حيز الوجود ، وفي بيان ترتيب الموجودات .. أول ما خلق الله العقل والأصل عندهم أنه لا يصدر من الواحد إلا الواحد ولذلك لم يصدر من الله إلا شئ واحد ، وهو العقل . ويصدر من كل عقل عقل وفلك إلى أن يصل إلى العقل التاسع الذى هو فلك القمر . . ومن العقل العاشر صدر العنصر . وكان مادة عالم الكون والفساد فلو تولد في العنصر الاستعداد والملكة لصورة النار تحصل منه في الفور صورة النار . . . ولو تولد استعداد التراب . . وعندما تختلط هؤلاء بعضها مع بعض يتولد المزاج

ولو تولد استعداد المعدنيات أحد في الفور صورة الشئ المعدني ولو كان الاستعداد للنبات لو كان الاستعداد للحيوان وسبب هذا الاستعداد هو حركة الأفلاك

١٠) محمد القزويني المتوفي ٦٨٢هـ مؤلف عجائب المخلوقات كرر هو أيضا نفس الأفكار . نقتبس منه عدة أسطر . وهذا لبيان أن المسلمين لم يتركوا تلك الآراء على ممر الزمان ...ثم يتصدى النظر في الكائنات . وهي الأجسام المتولدة من الأمهات فنقول الأجسام المتولدة من الأمهات . إما أن تكون نامية . أو لم تكن . فهي المعدنيات وإن كانت نامية . فاما أن تكون لها قوة الحس والحركة . أو لم تكن فان لم تكن فهي النبات وإن كانت فهي الحيوانات وزعموا أن أول ما يستحيل إليه الأركان الأبخرة والعصارات ما يتحلل في باطن الأرض من مياه الأمطار . وتختلط بالأجزاء الأرضية ويغلظ . ونضجها الحرارة المستبطنة في عمق الأرض . فتصيّرها مادة للنبات والمعادن والحيوان وأنها متصلة بعضها ببعض بترتيب ونظام بديع تعالى صانعها عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا فأول مراتب هذه الكائنات تراب . وآخرها نفس ملكية طاهرة فان المعادن متصلة أولها بالتراب أو الماء وآخرها بالنبات والنبات متصل أوله بالمعادن وآخره بالحيوان والحيوان متصل أوله بالنبات وآخره بالانسان والنفوس الانسانية متصلة أولها بالحيوان وآخرها بالنفوس الملكية والله تعالى أعلم بالصواب النظر الاول في المعدنيات هي أجسام متولدة من الأبخرة والأدخنة تحت الأرض اذا اختلطت على ضروب من الاختلاطات مختلفة في الكم والكيف "

(عجائب المخلوقات للقزويني . طبع مصر بهامش حياة الحيوان للدميري ١٣١٩هـ ج ١ . ص ٢٧١ ـ ٢٧٢)

١١) لم يجد ابن خلدون (المتوفي ٨٠٨هـ) أيضا بأسا في هذه الافكار فكررها وقال : ..إعلم . أرشدنا الله وإياكم . أنا نشاهد العالم بما

فيه من المخلوقات كلها على هيئة من الترتيب والإحكام، وربط الأسباب
بالمسببات. واتصال الأكوان بالأكوان. واستحالة بعض الموجودات إلى
بعض، لا تنقضي عجائبه في ذلك. ولا تنتهي غاياته. وابدأ من ذلك
بالعالم المحسوس الجثماني وأولا عالم العناصر المشاهدة. كيف تدرج
صاعدا من الأرض إلى الماء. ثم إلى الهواء. ثم إلى النار. متصلا بعضها
ببعض وكل واحد منها مستعد الى أن يستحيل إلى ما يليه صاعدا وهابطا.
ويستحيل بعض الأوقات. والصاعد منها ألطف مما قبله إلى أن ينتهي إلى
عالم الأفلاك. وهو ألطف من الكل على طبقات اتصل بعضها ببعض على
هيئة لا يدرك الحس منها إلا الحركات فقط وبها يهتدي بعضهم إلى
معرفة مقاديرها وأوضاعها وما بعد ذلك من وجود الذوات التي لها هذه
الآثار فيها. ثم انظر إلى عالم التكوين. كيف بدأ من المعادن. ثم
النبات. ثم الحيوان على هيئة بديعة من التدريج آخر أفق المعادن متصل
بأول أفق النبات مثل الحشائش وما لا بزر له وآخر أفق النبات مثل النخل
والكرم متصل بأول أفق الحيوان. مثل الحلزون والصدف. ولم يوجد لهما
إلا قوة اللمس فقط ـ ومعنى الاتصال في هذه المكونات أن آخر أفق منها
مستعد بالاستعداد القريب لأن يصير أول أفق الذي بعده واتسع عالم
الحيوان وتعددت أنواعه. وانتهى في تدريج التكوين إلى الانسان
صاحب الفكر والروية. ترتفع إليه من عالم القردة. الذي اجتمع فيه
الكيس والادراك. ولم ينته إلى الروية والفكر بالفعل وكان ذلك في أول
أفق من الانسان بعده وهذا غاية شهودنا (مقدمة ابن خلدون. الفصل
الخامس من الباب السادس)

١٢) ابن كنالي زاده علاء الدين من محترمي علماء تركيا ألف
بالتركية ..أخلاق علائي.. مطبوع في بولاق وعلى المخطوط منه في مكتبة
رئيس الكتاب رقم ٩٩٣ بعد التصريح ..للمولى علي بن أمر الله المعروف
بابن الحنائي (الحنائي ؟) المتوفي بأدرنه سنة ٩٧٩ . وبحث في موضوعنا

أيضا في ..خاتمة مقدمه .. وهي في هذه المخطوطه على الورقة ٣٣/ ب ـ ٣٦ / الف لعلّي لا أحتاج إلى نقل ماكتب عامه خلاصة تهذيب الاخلاق لابن مسكويه ولكن نحاول أن نزيد فيه كأنه قرأ كتاب النبات للدينوري . منقول ..حتى بعض ارباب فلاحتدن منقول دركه درخت خرما دن بعض وار در بعضه برخرمانه مايل اولوب اندن تخم واصل اولميجه ثمر اولمميى منحصر در . بو اثار عشق در كه خوانده شايع ومشتهر دره

تـــــــرجمـــــــة

وقد نقل حتى من بعض الكبار من علم الفلاحه (والنبات) أن النخلة (الانثى) تميل أحيانا إلى نخل ذكر . فلولم تلقح من ذلك النخل (معشوقها) لا تثمر وهذه اثار لعشق التي هي توجد (عادة) بين الحيوان (لا بين النبات) ولا بأس به ولكن ليس كل مراده مثلا ..كذلك ناحية قطب جنوبى ده اولان فرد نسنه دخى كثرت حرارت دن مزاجلرى محرق اولمغله اعتدالدن دور و منسلز.

تـــــــرجمـــــــة

..وكذلك سكّان ناحيه القطب الجنوبي تحترق أمزجتهم شدة الحراره (التي توجد في تلك الناحيه) فيبعدون من حدّ الاعتدال.

أراد خط الاستواء وكتب القطب الجنوبي سامحه الله

١٣) عبد القادر بيدل شاعر ايراني معروف توفى سنة ١١٣٣هـ .

ونقل من ديوانه إسماعيل حقي ارميرلي بيتا سنه هنا مع شكرنا للفاضل ارميرلي :

هيچ شكلى بى هيولى قابل صورت نشد
آدمى هم بيش ازان آدم نبود ونرينه نبود

تـــــــرجمـــــــة :

بدون هيولى لم يكن أي شكل صالحا لصورة
والانسان ايضا هل أن يكون انسانا كان فردا

(راجع اسماعيل حقی ازمیرلی اسلام متفكر لری ایله غرب متفكرلری آراسنده مقايسه . دیانت ایشلری بایلری ۳۱ / ۲ . أنقره ۱۹٥۲ م)

۱٤) وأخيرا نذكر في هذا الصدد معرفتنامه لارضروملی ابراهيم حقى . المطبوع في استانبول سنة ۱۳۳۰هـ وهذا الكتاب نوع من دائرة المعارف . ومؤلفه من كبار العلماء ومحترمی أهل الدين توفى سنة ۱۱۸٦هـ ـ فبحث طويلا من ص ۲٦ الى ص ۳۰ . ويبتدى . ..فصل ثانی ترتيب ظهور عقول ونفوس وافلاكی . ومراتب وطبايع وتبديل اركانی . ودلائل انقلاب نار وباد وآب وخاكی . وتولد معادن ونبات وحيوان وانسانی، وبونلرك اراسنده متوسط اولانی . ومبدأ ومعاد وارواحنی . وكيفيت دورانی . ووجود اشباحی درت نوع ايله حكيمانه بيان ايدر.

تـــــــرجمــــــة :

الفصل الثانى فى بيان ترتيب ظهور العقول والنفوس والافلاك . والمراتب والطبايع ، وتبديل الاركان ، ودلائـل انقلاب النار والهواء والماء والتراب . وتولّد المعدنيات والنباتات والحيوانـات والانسـان . ومـا هو المتوسط بين هؤلاء . من المبدأ والمعاد . والارواح . وكيفية الدوران . ووجود الاشباح فى أربعة أنواع . وهذا البيان بالطريقة الحكيمة .

لولا خوف التطويل لنقلت جميع ما قال وجملة القول أنه أيضا يداوم الاعتقاد بما قال السلف من حكماء المسلمين ويستدل بالمرجان ، والنخل والقرد كما استدل من قبله ولا بأس بأن نشير إلى كبير شعراء الهند مير أكبر حسين (وتخلّصه أكبر) الذى أراد أن يتخلص الشباب من سيطرة الافرنج علماً وعملاً . فوجد خير طريق فى التضحيک والاستهزاء فقال :

منصـــــور نے کہا خـــــدا ہوں میں

ڈاروں بـــــولا بوزیـــــنہ ہوں میں

هسكر كهى لگى مبرى ايک دوست
مكر هر كس عدر همت وست

ترجمة :

قال المنصور الحلاج أنا الا له (أنا الحق)
كما قال داروين أنا قرد
فضحك صديق لي وقال
فكر كل واحد بقدر عزمه وهمه

(٣)

يظهر أن أول من انتبه بهذه المسائل في الغرب هو بوفون من أهل فرنسا واسمه الكامل George Louis Lecrec Comte Buffon ألف كتاب Histoire Naturelle (التاريخ الطبيعي) و Epoques de la Nature (أدوار الطبيعة) أشار في احتمال التطور والتدريج في خلق الكائنات

ثم تلاه فرنسي آخر لامارك - Jean Bapiste ete de Monet Chevalier de Lamarck له كتابان La Philosophie Zoologique (فلسفة الحيوانيات . ١٨٠٩) و L,Histoire Naturelle des Animaux non Vertebres (التاريخ الطبيعي للحيوانات بدون فقرات الظهر) . ومن أهلهما يعتبر كمؤسس نظريتين نظرية التناسل الطبيعي Generation Stpontanee ونظرية الاستحالة Transformisme تناها داروين بعده

وأخيرا چارلس داروين Charles Darwin (١٨٠٩ ـ ١٨٨٢م) ونشر كتابه الشهير Origins of Species في ..أصل الانواع.. في سنة ١٨٥٩ م و بنى آراءه على مشاهدات كثيرة و براهين علمية ، حتى صارت نظرية الاستحالة ..نظرية داروينية..

ولا بأس بأن ننوه الى بعض حلقات سلسلة هذا البحث أن رسالة حي بن يقظان لابن الطفيل ترجمها إلى الانكليزية سائمن او كله Simon

Ockley ونشرها في ١٧٠٨م وفيها نظرية التحول .ولابد أن وصل الكتاب الى معرفة بوفون وحتى ترجمتها الالمانية التي نشرت في ١٧٨٢م في برلين ورسائل اخوان الصفاء أيضا معروفة منذ أمد في اوروبا وكانوا يستعملونها لتدريس اللغة العربية لسلاسة أسلوبها

وفيما يتعلق بداروين . نريد أنه ورث علم الطب أبا عن جد وبعد ما كمل دراساته الطبية أراد أن يصير قسيسا . فدخل في كلية الألهيات في جامعة كيمبرج من انكلترا وعرف في حياته التي ألف هو بنفسه . وفي مكتوباته المنشورة أنه كان في اتصال وبين بالاستاذ صاموئيل لي (1852 - Samuel Lee (1783 استاذ اللغة العربيه في ذلك الوقت بجامعة كيمبرج وكان ناجحة فيظهر أنه تعلم اللغة العربية (لتاريخ الاديان) ولذلك درس إما رسائل إخوان الصفا أو الفوز الاصغر أو تهذيب الاخلاق . وهكذا تعرف بأفكار المسلمين في أصل الأنواع و تاريخ خلق الكائنات وبمعرفته علم الطب والحياتيات اشتغل بالبحوث في هذا الموضوع وتقول حياته أنه سافر إلى جزائر المرجان (شرقي استراليا) ويقول أيضا أنه كان يؤمن بالله ولو لم يؤمن بالتوراة و محتواها في تاريخ الخلق . وأنه لم يصر أبدا ملحدا وحقيقةً ليس أدنى فرق في قدرة الله الخالق لو خلق الكائنات ..كلمح بالبصر أو في ستة ..أيام من أيام الله

وفي الختام لا بأس بأن نذكر أن الاستاذ ديتريجي F Dietrici كان نشر كتابا بالالمانية في ١٨٧٨م . Der Darwinismusim X und XIV Jahrhundert. Leipzig.1878 (الداروينية في القرن العاشر والرابع عشر للميلاد) كأنه أراد به رسائل اخوان الصفاء وابن خلدون فانه ذيل الكتاب بترجمة أبواب من رسائل اخوان الصفاء (ص ٢١٣ وما بعدها)

و العلم يتقدم ويتطور وما أوتيتم من العلم إلا قليلا . وقل رب زدني علما فالقدماء من المسلمين ابتكروا وظنوا ما ظنوا . وزاد العلم الجديد معلومات جديدة بالتجارب والمشاهدات ولكل فضل والكمال لله .

منهج فقهى سليم فى أصول المعاملات الحديثـــة

للأستاذ محمد محمد المدنى

إن لسريعة الاسلامية لها ميادين ثلاثة فى حياة الناس فصول منها ومحول . ولها فى كل ميدان من هذه الميادين أسلوب يختلف عن أسلوبها فى غيره

أما الميادين الثلاثة فهى

١) ميدان العقائد

٢) وميدان العبادات

٣) وميدان المعاملات

وأما أسلوبها فى كل ميدان من هذه الميادين فهو على هذا الترتيب

١) أسلوب المحصر الوصف

٢) وأسلوب المسوى المحدد

٣) وأسلوب القاعد المهذب

بيان ذلك

١) أن العقائد التى يعرض علينا الدين أن نؤمن بها ماهى إلا حقائق ثابتة فى نفسها ، لها وجود واقعى ، وهى تفترق فى هذا عن المبادئ والأحكام التى هى من قبيل الانشاء والتى تسرع للناس بعد أن لم تكن ، وتتغير أحيانا بتغير الزمان والمكان ، وتقبل النسخ فى عهد الرسالة.

وإذا أردنا أن نعبر عن هذا المعنى بالعبارة الفنية عند علماء الأصول قلنا إن العقائد من باب الأخبار ، والأخبار لا تقبل النسخ ، لأن النسخ هو

لارادة والتعبير . والواقع يخبر عنه أو يوصف ، ولكنه لا يغير ولا يرفع

فالالوهية وصفاتها حقائق ثابتة . والرسالة والوحي والكتب السماوية حقائق ثابتة . والبعث بعد الموت والحساب والثواب والعقاب حقائق ثابتة . والجنة والنار والنعيم والعذاب . كل ذلك حقائق ثابتة . ليس للدين فيها دور يقوم به إلا دور الكشف عنها . والاستدلال عليها . والاقناع بها . فلا هو بالذي أنشأها . ولا هو بالذي يبدلها أو يزيلها ويمسحها

ومن هنا قالوا

* ان العقائد لا تقبل النسخ
* ولاتتغير بتغير الزمان أو المكان
* ولا يسوغ أن تكون محل اجتهاد

٢) أما العبادات فهي تختلف عن العقائد في أنها إنشاءات أنشأها الله تعالى . ورسم حدودها . وهيأها على صور خاصة . وطلب من عباده أن يعبدوه بها فالصلاة عبادة منشأة مؤلفة من أفعال خاصة وأقوال خاصة على ترتيب خاص والصيام إمساك عن الطعام والشراب وجميع الشهوات في زمان مخصوص.والحج مناسك معينة لها رسومها وأوقاتها وأمكنتها وأركانها وشروطها. و هكذا

ومن الواضح أن هذه العبادات ليست كالعقائد أي ليست حقائق واقعية مهمة المشرع أن يكشف عنها . وانما هي صور ركبها وهيأها ورسمها وأنشأها بعد أن لم تكن . وهذا محض حقه باعتباره هو الاله المعبود . فمن حقه أن يشرع لعباده مايعبدونه به .وعليهم أن يرجعوا إليه في معرفة ذلك كما وكيفا ومكانا وزمانا.

ولهذا يقول علماء الشريعة في احدى قواعدهم المشهورة : ((لايعبد الله إلا بما شرع))

فالأصل في العبادات والقرب أنها ممنوعة حتى يرد من الشارع

مايدل على طلبها . وسن لنا هيآتها ورسومها الخاصة . ولايجوز لأحد أن يؤلف عبادة من عنده . أو يتصرف في صورة من صور العبادة المشروعة . ثم يتعبد الله بذلك . وفي هذا يقول القرآن الكريم ناعيا على المشركين ..أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله.. ،

وبهذا الأصل أبطلت البدع في الدين والعبادات وما يتصل بها . فكل من أراد القربة فعليه أن يتقرب إلى الله بما شرعه الله . ومن تقرب إليه بما لم يشرعه . ولو كان بمظهره طاعة وقربة . فانه مبتدع متلاعب بالدين

ومثل ذلك كما لو قال قائل سأصلي الظهر خمسا بدل أربع . أو أصلي المغرب أربعا بدل ثلاث . أوأجعل الركعة الواحدة بركوعين بدل ركوع واحد . أو أحج إلى بيت المقدس . أو إلى المدينة المنورة بدل اتجاهي إلى الكعبة أو أصوم شعبان بدل رمضان . أو نحو ذلك فكل هذا افتيات على الدين وعلى حق المعبود في أن يرسم طقوس عبادته . ولا يرتضي سواها

٣) وأما موقف المشرع في ميدان المعاملات . فانه يختلف اختلافا جوهريا عن موقفه في كل من ميدان العقائد . وميدان العبادات

إن الشريعة ليست هي التي أنشأت للناس صور التبادل والتعاون والتعامل . ولكنها جاءت فوجدت صورا يتعامل الناس بها . فكان لها موقف منها . غير موقف الانشاء والرسم . وغير موقف الاخبار والوصف . وذلك الموقف هو موقف الاقرار . أو التعديل . أو الالغاء . وهو الذي سميناه في أول هذا البحث ..أسلوب الناقد المهذب..

وهي لا تتدخل في هذا الميدان إلا بمقدار ماتحمي مثلها ومبادئها التي جاءت بها . من العدل،والتيسير . والرحمة . ودفع أسباب التشاحن والبغضاء . وربط أفراد المجتمع برباط من المحبة . والتعاون على البر والتقوى لاعلى الاثم والعدوان

ان هذا هو ما حدثنا به تاريخ التشريع الاسلامي عن موقف النبي

صلى الله عليه وسلم حتى هذه إلى المدينة . وكان فيها مجتمع . وفيها أسواق . ولها صور معينة في البيع والشراء والتعامل والتعاون بالمزرعة . والمساقاة . والمضاربة . والسلم . والقرض . والرهن . والهبة والعمرى . وغير ذلك

فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي أنشأ ذلك باسم الشريعة . ولم ينزل الله تعالى في شيء من ذلك آية أو أثاب عطف إلى من كان نوعا آخر لم يكن

وإنما كان موقفه موقف الناقد المهذب فقط . هذه المعاملة تحقق مصالح الناس ولا ضرر فيها . فهي مقبولة . ولا اعتراض عليها وهذه المعاملة فيها ضرر بين . أو تؤدي إلى الشحناء والبغضاء . أو تنافي الفضيلة وما يجب من التعاون على البر والتقوى . فهي غير مقبولة

وهذه المعاملة ليست خيرا كلها . وليست شرا كلها . فإذا استطعنا أن نخلصها إلى الخير أو نتجاوز عن بعض ما فيها من الضرر أو الغرر ملاحظة للصالح العام . وأخذا بجانب التيسير على الناس وتدبير حاجاتهم ، فلا بأس من الترخيص بها . والنزول على حكم العرف والمجتمع في قبول التعامل عليها

هكذا كان موقف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . أي موقف الإسلام . من مجتمع المدينة ووجوه التعامل فيه

وقد عقد ابن قيم الجوزية فصلا في كتابه القيم .. أعلام الموقعين.. ذكر فيه أمثلة من إقراره صلى الله عليه وسلم لأعمال الناس في المدينة . كإقراره إياهم على تجاراتهم التي كانوا يتجرونها . وهي على ثلاثة أنواع تجارة الضرب في الأرض . وتجارة الإدارة . وتجارة السلم . وكإقرارهم على صناعتهم المختلفة من تجارة وحياكة وصياغة وفلاحة . وكإقرارهم على ما يتعاملون به من الدراهم وربما كان عليه صور الملوك الذين ضربوها ، ولم يضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خلفاؤه مدة حياتهم دينارا ولا

درهما وإنما كانوا يتعاملون بما سيرته عمر للمسلمين .

وكما أقر النبي صلى الله عليه وسلم بعض المعاملات نهى عن بعض المعاملات، نهى عن بعض آخر فقد صح أنه نهى عن بيع الملامسة وعن بيع المنابذة، وعن بيع الحصاة، وعن بيع حبل الحبلة، وعن بيع الثمر حتى يبدو صلاحه.

وكانت صورة بيع الملامسة أن يلمس الرجل الثوب ولا ينشره . أو يبتاعه ليلا دون أن يعلم ما فيه وسبب تحريمه الجهل بالصفة

وصورة بيع المنابذة أن ينبذ كل واحد من المتبايعين إلى صاحبه ثوبه على غير تأمل منهما . ويقول كل واحد منهما هذا بهذا

وصورة بيع الحصاة أن يقول اشتري أي ثوب وقعت عليه الحصاة التي أرمي بها فهو لي وقيل أيضا إنهم كانوا يقولون إذا وقعت الحصاة من يدي فقد وجب البيع، وهذا قمار شبيه بما يحدث الآن في بعض الأسواق

وأما بيع حبل الحبلة ففيه تأويلان أحدهما أنها كانت بيوعا يؤجلونها إلى أن ينتج الناقة ما في بطنها، ثم ينتج ما في بطنها، والغرض جهالة الأجل وهذا بين . وقيل إنما هو بيع جنين الناقة، وهذا من باب النهي عن بيع المضامين والملاقيح . والمضامين هي ما في بطون الحوامل، والملاقيح ما في ظهور الفحول فهذه كلها بيوع جاهلية نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها .

وقد يكون النهي في بعض الأحيان واقعا على سبيل المشورة، فلا يعد من باب التحريم، ولكن من باب الكراهة ومن ذلك ما روى عن زيد بن ثابت قال كان الناس في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبايعون الثمار قبل أن يبدو صلاحها . فإذا جد الناس وحضر تقاضيهم قال المبتاع أصاب الثمر الدمان . أصابه مرض . أصابه قشام ومراض . لعاهات يذكرونها . فلما كثرت خصومتهم عند النبي صلى الله عليه وسلم قال كالمشورة يشير بها

عليهم : لاتبيعوا الثمار حتى يبدو صلاحها

وبهذا الحديث أيد الكوفيون قولهم بجواز بيع الثمار قبل ان ترهى .
فقالوا إن النهى فيه على طريق المشوره فقط لاعلى سبيل التحريم والمنع.

وقد ترد السنة بالتعديل و التهذيب ومن ذلك مارواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن من حديث ابن عباس قال قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون فى الثمار السنة والسنتين . فقال ..من أسلف فليسلف فى كيل معلوم . ووزن معلوم إلى أجل معلوم..

فالكيل المعلوم . والوزن المعلوم . والأجل المعلوم . هى العدل الذى عدل به الاسلام هذه المعاملة . لأنهم كانوا يسلفون فى ثمار نخيل بأعيانها . فلا يدرى هل تأتى هذه النخيل بالقدر الذى يوفى أو لا تأتى إلا بعضه ؟ أو لا تأتى فى العام الأول شىء أصلا فيؤخر الوفاء لعام قابل . وفيه ما فيه من الغرر المؤدى إلى الاختلاف والمشاحنة

ومن ذلك حديث ابن عمر رضى الله عنهما فى الصحيحين وغيرهما:
..أنهم كانوا يتبايعون الطعام جزافا بأعلى السوق . فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعوه حتى يحولوه وفى رواية ..حتى ينقلوه..
وقال : من ابتاع طعاما فلا يبعه حتى يقبضه..

ومن هنا نرى أن علماء الشريعة كما وضعوا فى جانب العبادات القاعدة التى ذكرناها . وهى ..لا يعبد الله إلا بما شرع.. . وضعوا فى جانب المعاملات قاعدة أخرى مقابلة لها تقول . ..المعاملات طلق حتى يرد المنع..

وفى هذا وذاك يقول العلامة ابن قيم الجوزية : ..الأصل فى العبادات البطلان حتى يقوم دليل على الأمر . والأصل فى العقود والمعاملات الصحة حتى يقوم دليل على البطلان والتحريم . والفرق بينهما أن الله سبحانه لا يعبد إلا بما شرعه على ألسنة رسله . فإن العبادة حقه على عباده . وحقه هو الذى أحقه هو ورضى به وشرعه . وأما العقود والشروط

والمعاملات فهي عفو حتى يحرمه .ولهذا نعى الله سبحانه على المشركين ـ مخالفة هذين الأصلين ـ وهو تحريم مالم يحرمه .والتقرب إليه بمالم يشرعه وهو سبحانه لو سكت عن إباحة ذلك وتحريمه لكان ذلك عفوا لايجوز الحكم بتحريمه وابطاله .فإن الحلال ما أحله الله.فكل شرط وعقد ومعاملة سكت عنها فإنه لا يجوز القول بتحريمها.فإنه سكت عنها رحمة منه من غير نسيان و اهمـــال « ـ

وهناك أمر ينبغي ألا نغفل عنه ونحن بصدد موقف الاسلام من المعاملات التي رأى الناس يتعاملون بها . ذلك هو ما أصطلح الفقهاء والاصوليون على تسميته بالترخيص . فإنه مع الاعتراف بأن الرسول صلوات الله وسلامه عليه . قد نظر إلى بعض المعاملات نظرة أساسها الرفق بالناس . و تقدير ماتدعو إليه الحاجة من تسامح و تيسير . فأباح هذه المعاملات متغاضيا عما يلابسها من بعض الغش أو الغرر أو الجهالة . فإننا نجد الجمهرة الكبرى من علماء المذاهب الاسلامية يقفون أمام هذه المعاملات موقف من يعتبرها استثناءً و ترخيصاً على خلاف القواعد العامة.

ويرتبون على ذلك أن أحكامها خاصة لا تنسحب على غير الصور التي وردت فيها . ولذلك يكثر في كلامهم أن يقولوا هذه رخصة والرخصة يقتصر فيها على ماورد . ولا تتعدى موضعها . ويضعون الشروط والأوصاف للحالة التي ورد فيها الترخيص حيثما حتى لا ينتقل الحكم إلى غيرها

وهذا مسلك فيه من الحرج والتضييق مالا يتفق وروح التشريع في المعاملات . ومظاهر التطور الزمني في الحاجات والضرورات

وهو يعد عكسا للقضية التي شرحناها آنفا من أن المعاملات على الاباحة حتى يرد النهي . فالشارع لم يستعمل أسلوب النهي العام المطرد في المعاملات حتى يسوغ لنا اذا رأينا صورة تخرج على هذا العموم أن نعتبرها استثناءا وترخيصا . إنما العموم الاصلي للاباحة . وما جاء على خلافها إنما هو التعديل والاستثناء . وإذن فالمنع من بعض الصور هو منع جزئي شخصي . لا يسرى إلى غير الصورة أو الصور الممنوعة . ص ما

حدث. فكيف تعتبر ما ورد هذه الصورة أو الصور استثناء؟ وهو لم يدخل في عمومه؟ وكيف يعتبر ترخيصا أي تخفيفا وإحلالا بعد التحريم والفرض أنه هو القاعدة؟ وأي حكمة للحل مصاحب له من قبل فيقتضي الإباحة الأصلية وبمقتضى القاعدة اللائقة الذكر في المعاملات؟

بمقتضى هذه القاعدة وهي كون الأصل في المعاملات الحل يحتمل أن يكون الذي جرى هو الذي استثني من الحل. ويبقى كل مورده حلالا

على أننا لو سلمنا أن هناك ترخيصا بالمعنى الذي ذكروه. أي استثناء بعض الصور من أصل محرم كما يقولون. فإن للمشكلة حلا قريبا جدا. هو أن نجد رأيا من يجيز القياس على الرخص إذا كانت هناك أسباب أعم من الأسباب التي علقت الرخص بالنص بها

ويوضح هذا أن المساقاة مثلا جائزة عند الجمهور، خلافا لأبي حنيفة. والذين يجيزونها يعتمدون على حديث أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفع إلى يهود خيبر نخل خيبر وأرضها. على أن يعملوها من أموالهم، ولرسول الله صلى الله عليه وسلم شطر ثمرها. وأبو حنيفة يقول إن المساقاة مخالفة لأصول ممنوعة منها المزابنة. وبيع ما لم يخلق وكراء الأرض ببعض ما يخرج منها. وهو المعروف عند الفقهاء بالمخابرة. ولكن قال الجمهور: مع أنها مخالفة للأصول، ولكنها رخصة ثابتة بهذا الحديث

ثم اختلفوا في محل المساقاة. فالذين يرون أن الرخصة تقتصر فيها على موردها قالوا لا تكون المساقاة إلا في النخل فقط. لأن المحل الذي ورد فيه الترخيص هو النخل. والذين يجيزون القياس في الرخص قالوا تجوز المساقاة في كل أصل ثابت من نخل أو كرم أو رمان أو تين أو زيتون وما أشبه ذلك. بل زاد المالكية أنه في حالة الضرورة تجوز المساقاة حتى في الأصول غير الثابتة كالمقاثي والبطيخ مع عجز صاحبها

عنها . وفي بيان سبب الخلاف يقول ابن رشد . فعمدة من قصرها على النخل أنها رخصة فوجب ألا يتعدى بها محلها الذي جاءت به السنة . وأما مالك فرأى أنها رخصة يتعدى فيها سبب علة فوجب تعديته ذلك إلى الغير . وبهذا يتبين أنه قد قاس على الرخص

وقد بين الشاطبي في كتابه الجليل . الموافقات .. ذلك حيث ذكر أن الشريعة عامة وإن فرض في عمومها أو معقولها خصوص ما . فهو راجع إلى عموم كالعرايا وضرب الدية على العاقلة . والقراض . والمساقاة . والصاع في المصراة وأشباه ذلك . فإنها راجعة إلى أصول حاجية أو تحسينية أو ما يكملها وهي أمور عامة . فلا خصوص في الظاهر إلا وهو عام في الحقيقة .

وقد علق على ذلك شارحه المرحوم الشيخ عبد الله دراز بقوله فعموم النهي عن الغرر وعدم مسئولية الشخص عن فعل غيره . وقواعد المعاملات المستلزمة منع الجهالة في الثمن أو الأجرة مثلا يشمل بظاهره هذه المسائل ولكن لما كان لها في الواقع علل معقولة تجعل حكمها مغايرا لحكم العمومات المذكورة . وقد أخذت حكمها المعقول على خلاف حكم ما يشملها في الظاهر . أطلقوا عليها أنها مستثناة وقالوا إنها خاصة وهي في الحقيقة قواعد كلية أيضا أسست على شروط من مقاصد الشريعة ثلاث ..

وبهذا يتبين أن تسمية الفقهاء بعض ما أبيح مع استثنائه على ما يقتضي تحريمه . رخصة . إنما هي تسمية يلاحظ فيها مجرد مغايرة حكم الصورة الخاصة لمقتضى النهي الشامل لها وإلا فهي في حقيقتها أصل كلي متفق مع روح التشريع في التيسير ودفع الحرج

وبعد هذا البحث أننا نستطيع أن نرسم على ضوئه منهجا فقهيا في دراسة المعاملات الحديثة . يقوم على دعامات ثلاث

الدعامة الأولى أن من حق المجتمع الإسلامي أن يبتكر ما يشاء من

أنواع المعاملات . وأن يجاري النشاط الاقتصادي العالمي بالمساهمة فيه
حسب طرق الحديثة دون تحرج . وأن الله سبحانه و تعالى لم يوجب
على الناس أن يلتزموا صورا خاصة من المعاملات لا يتجاوزونها . وليست
الصور التي يحسبها أهل الفقه والحديث إلا ألوانا من المعاملات يمكن أن
يضاف إليها ويحذف منها ويبدل فيها . في ظل أصول الشريعة من رعاية
المصالح . وحفظ النفوس والأموال والأخلاق وعدم الحرج والعسر

والمسلمون إذا عرفوا ذلك وعملوا بمقتضاه . يدفعون عن أنفسهم و
دينهم تهمة طالما أخذ ألسنة الأجانب والمغرورين منهم . فإنهم يقولون
إن الشريعة الإسلامية تمنع المؤمنين بها من مجاراة عالم الاقتصاد
الحديث . و توجب عليهم أن يظلوا على أساليبهم القديمة في التجارة و
شروط الشركات المعقدة التي نص بها الفقهاء على الناس . وما دام
المسلمون يرون هذا دينا واجب الاتباع فسيبقون عاجزين عن مجاراة
الأساليب الحديثة . ماضين وراء أساليب القرون الخالية

الدعامة الثانية : أن الأصل في المعاملات الإباحة . فلا يجوز
المسارعة إلى تحريم صورة من صور المعاملات المحدثة حتى يتبين أن الله
تعالى حرمها

الدعامة الثالثة : أن اشتمال المعاملة على ناحية من نواحي
المنع والتحريم لا يكفي في القول بتحريمها . بل لا بد من دراسة هذه
الناحية . ودراسة حال الناس في شأنها ومدى ما تشتمل عليه من منفعة أو
مضرة . فقد يظهر أن منفعتها غالبة على مضرتها . أو أن مضرتها من
النوع الذي يمكن التغاضي عنه تيسيرا على الناس . فيسلك بها مسلك
الترخيص . أو أنها من المعاملات التي يمكن تهذيبها وتقويم العوج فيها

بهذا المنهج نستطيع أن نعيد الشريعة إلى مجال التعامل والاقتصاد
بعد أن نحيت عن هذا المجال منذ جمد المتأخرون من أتباع الفقهاء على

آفـــاق التربيـــة الاسلامية
فـــى
القرن الخامس عشر الهجرى

محمود أحمد غازى

قدمت هذه المقالة إلى الملتقى الرابع عشر للفكر الاسلامى المنعقد فى الجزائر فى ٣١ أغسطس الى سبتمبر ١٩٨٠

إن موضوع التربية والتعليم فى البلاد الاسلامية لموضوع خطير ذو أهمية قصوى ولا ينكر أهميته لانجاح أية حركة تهدف إلى النهوض بالمسلمين ونقلهم من جديد على أسس اسلامية خالصة وتزداد أهمية هذا الموضوع بالنسبة للمسلمين اليوم فانهم فى مستهل القرن الخامس عشر الهجرى الذى أزمعوا على أن يجعلوه قرن النهضة الاسلامية والبعث الاسلامى . فربما تتحقق فيه الثورة الاسلامية فى صورتها الحقيقية الكاملة .
فمن المعلوم الواضح على كل ذى عقل وبصيرة أن الثورات والانقلابات لاتكلل بالنجاح التام اذا لم تكن عندها نظام فكرى وعقلى يؤيدها ويدعمها من الداخل وتؤيد هذا الرأى شواهد تاريخية كثيرة لسنا نحن بصدد ذكرها هنا . فان ذلك يطول به الكلام .

ومما لا يختلف فيه اثنان أن الجهود الكبيرة التى بذلها المسلمون خلال القرنين الفائتين ـ أى خلال عهد الاستعمار الغربى ـ لتصميم نظام التعليم والتربية الذى يجمع بين الاصالة الاسلامية الخالصة وبين التجديد الذى يتمشى مع روح العصر ويقوم بمتطلبات العصر الحديث باءت بالفشل

إلى حد كبير فالعالم الإسلامي جرّب نظما مختلفة عديدة في أوقات مختلفة
ولكن كانت بعض هذه النظم منشأ مخصصا للنظام الاستعماري لدى جماعة
وعملائه التي ساعدته، وبدون خططها لم تنجح. وكان بعضها استمرارا
للنظام التقليدي القديم الذي لم يعد صالحا للأمة الإسلامية والذي كان سببا
في تخلفنا العلمي والفكري وهزيمتنا في معترك الفكر والعلم. وكان
بعضها نموذجا للخليط غير سليم ومزيج فاسد من العناصر المتضادة
المتخالفة والذي لم يرد النظم إلا قلة ولم يضف إلى فكرنا وثقافتنا سوى
الفوضى والفساد، إلا من بعض الشك وقليل ما هو.

فالقضية عندنا ليست قضية بحث نظام جديد ولا استعارة نظام من
النظم الأجنبية. بل القضية هي على العكس من ذلك تماما هي قضية
تأسيس نظام تعليمي تربوي إسلامي جديد على أسس إسلامية خالصة وفق
روح العصر ومتطلبات الأمة الإسلامية ومصلحتها في القرن الخامس عشر
الهجري. فالقضية قضية هدم ما عندنا من النظم القديمة أو الحديثة (هدما
تاما أو جزئيا في مراحل متطورة وفق ظروف كل شعب من الشعوب
الإسلامية) ثم تمييز الصحيح من السقيم والسليم من الفاسد بين أنقاضها
وحطامها ثم تحديد البناء من هذه الأجزاء الصحيحة السليمة الصالحة
لبناء النظم على خطوط إسلامية خالصة وأصيلة. ونبذ ما بقي من الأجزاء
السقيمة الفاسدة

ولكن يجب للبداية في هذا العمل الجبار أن نثور قبل كل شيء
على إمامة أوربا (وليست أمريكا إلا امتداد واستمرار فكري وسياسي
وثقافي وحضاري لأوربا) الفكرية والثقافية ونرفض الاستسلام أمام
زعامتها الحضاري والفكري كما فعلنا ثورة بطولية على إمامتها السياسية
والعسكرية ورفضنا الاستسلام أمام قواتها المادية واستعمارها التوسعي
وإلى الآن من حسن الحظ والتوفيق في منطقة إسلامية سجلت أروع آيات
البطولة والتضحيات على هام التاريخ لأنها رفضت أن تستسلم أمام زعامة

أوربا السياسية وتفوقها العسكرى . أفليس من الطبيعى أن نتوقع أن تمر هذه المنطقة بين ما طلما الاسلامية فى ثورتها على زعامة الغرب الفكرية والثقافية ؟

وتأتى بعد هذا الرفض مرحلة الهدم والبناء . وهى مرحلة الهدم رفض العلوم والثقافة الغربية كلها كما هى كأساس لنظام التربية و نعلمه عندنا واعتبارها كالمواد الخام على حد قول الاستاذ أبى الحسن الندوى. نأخذ منه ما نافعا وندع منها ماكدر . ويمكن أن نسمى هذه العملية عملية نقد العلوم الغربية ثم تأتى مرحلة تحديدها على أسس صحيحة صالحة توافق فكرنا الاسلامى و فلسفتنا الاسلامية و نظام حياتنا الاسلامى و علومنا الاسلامية . واليكم تفاصيل موجزه لهذه العملية الحضارية .

نقـــد العلـــوم الغـــربية .

قبل أن ندخل فى صلب الموضوع ونتكلم عن نقد العلوم الغربية ينبغى أن نقف قليلا ونتساءل : ماهى العلوم ؟ ونجيب على هذا التساؤل ونقول : العلوم سواء كانت اجتماعية أو إنسانية أو طبيعية أو ماوراء الطبيعية هى عبارة عن مجموعة معلومات ونظريات وقواعد فى مجال من المجالات العلمية أو الفكرية . وترتب هذه المجموعة بحيث تفيد الدارس فى الوصول الى هذه المعلومات والمصطلحات التى تسهل فهم هذه المعلومات والنظريات . ويرتب كل عالم من هذه العلوم وكل خبير من خبراتها هذه المعلومات وهذه النظريات ترتيبا يوافق آراءه ويلائم طبيعته ويطابق بيئته الاجتماعية ويستخرج منها نتائج تتمشى مع روح فكره وتؤيد عمود آرائه. نأخذ العلوم الاجتماعية كمثال . فهذه العلوم كالتاريخ والفكر السياسى والاقتصاد والقانون وغير ذلك درستها جميع الأمم . ولكن استنتجت كل أمة مما درسته من العلوم نتائج تختلف تماما عما وصلت اليها الأمم الأخرى . وأقامت كل أمة حضارتها وثقافتها على أساس هذه النتائج ورتبت بها نظام حياتها

الالهية والوحي الرباني نفور الحيوان الوحشي من الانسانية

والاساس المزعوم التي ترتبت عليه العلوم الطبيعية الغربية ودونت عليه هو أن العلم ما نعرفه ونعلمه بواسطة الحواس البشرية . وما سواه جهل مطلق . فكل غير محسوس غير موجود حتى نعلم وجوده علما قطعيا باحدى حواسنا الخمسة ولاشك أن هذا الأساس المزعوم يبدو في الظاهر أمر معقول يتفق معه كل أنسان مثقف ذو عقل وبصيرة ولكننا لو قبلنا هذه القاعدة كأساس علمي معترف به لأبطلنا ثلثي الدين بل أكثر منه.

اذ لا يبقى أساس من أسس الدين الا هدمناه ولا قاعدة من قواعد الشريعة الا الغيناها فان الوحي والنبوة والرسالة والتوحيد والمعاد والبعث بعد الموت والحساب والجزاء والصراط والجنة والنار وحتى وجود الخالق البارى وملائكته وكتبه وما اليها من حقائق الدين كلها خارجة عن نطاق الحواس الخمسة،وأساسها على الوحي والالهام والايمان بالغيب فقط و لا أساس لها غيره و ذلك لان شرف الامامة والزعامة في العلوم الطبيعة التجربية و لتكنالوجيا كان ولا يزال في أيدى أولئك الذين يدعون أنهم مؤمنون بعدم وجود الخالق . ويرون أن الكون ظهر الى حيز الوجود بدون أي قوة محركة من الخارج وتطور الى الحالة التي هو عليها الأن بنفسه وتلقائيا بدون أي طاقة تطوره أو تهيمن على تطوره .فصاغوا هذه العلوم بصبغتهم الفاسدة وجعلوها تؤدى قرأسها الى ما ذهب اليه صائغوها ومدونوها من انكار الخالق والالحاد أو النزعة العلمانية على الاقل اذا كان فيهم من امن بدين بمذهب أو انتحل نحلة

ولا نسئل عن العلوم الاجتماعية والعمرانية . فانها لا تقل شأنا في هذا الصدد عن اخواتها من العلوم الطبيعية فكل واحد من هذه العلوم له روحه الخاصة وطبيعته الخاصة ولعبت في تكوين هذه الطبيعة وخلق هذه الروح عوامل وبواعث كثيرة ترجع اصلها وبدايتها في تاريخ اوربا القديم فاثرت تقاليد أوربا التاريخية والخلفية الدينية الخاصة والمثل

العربية الحضارية والبيئة الأوربية الثقافية وما اليها تاثيرا عميقا جذريا فى تكوين عقلية هذه العلوم وطبيعتها وروحها

ولا تختلف حالة الألسنة واللغات وكيفيتها عن حالة العلوم فكما أن افكار أمة وارائها ودينها وحضارتها وثقافتها تتجلى فى علومها فكذالك تتسرب هذه الاشياء فى لغتها وآدابها ولم ترتفع أمة من الأمم وادابها الا متشربة بمثلها الخاصة وتقاليدها الدينية والاجتماعية وحضارتها وثقافتها

أنظر اللغة العربية القديمة والادب العربى الجاهلى تتجلى فيها الصفات والمثل والتقاليد الجاهلية كما تتجلى صورة الناظر فى المرءاة ولذلك قيل: الشعر ديوان العرب وهذا الامر ليس بخاص بالعرب فقط، فكل أمة ديوانها شعرها وتتجلى آرائها وثقافتها وحضارتها فى آدابها ولغتها خذ مثلا اللغة والآداب الانكليزية تتجلى فى كلماتها وتراكيبها الأدبية وأساليبها الشعرية واستعاراتها وتشبيهاتها طبيعة الامة الانكليزية ومزاجها الاجتماعى الخاص وتتصف لغتهم وآدابهم ببعض الصفات والخصائص التى تتصف بها الامة الانكليزية فكما أن المادية والدبلوماسية الماكرة من خصائص الامة الانكليزية وصفاتها فكذلك نرى اللغة والآداب الانكليزية متصفة بهذه الصفات والخصائص وخذ مثلا اللغتين الهندية والسنسكريتية من بين اللغات الشرقية. تسربت فيها الاراء والافكار الهندوكية الدينية واساطيرهم وخرافاتهم وهاتان اللغتان متشربتان ومشبعتان بالفكر الدينى والفلسفى الهندوكى بحيث أنه لا يمكن الفرق بينهما وتمييز أحدهما عن الآخر فان هاتين اللغتين ربتا واعتدتا بغذاء الأساطير والخرافات الهندوكية

وأنظر على العكس من ذلك العلوم الاجتماعية والطبيعية التى انشأها المسلمون، تتجلى فيها الطبيعة الاسلامية والمزاج الاسلامى وتتمثل فيها المثل الاسلامية العليا، ويرى القارئ بين كتبها وصفحاتها

بل وبين أسطرها خصائص الثقافة الاسلاميه والمدنية الاسلامي والحضارة الاسلامية ولا نضرب لذلك مثلا عن العلوم الاجتماعية والفكرية التي تأسست على أسس ومبادئ استمدها المسلمون من القرآن والسنة . وهي اسلامية بحتة من حيث الروح والجسد والقلب والقالب والمحتوى والمصدر ولكنا نضرب لذلك مثلا عن العلوم الطبيعية والتجريبية التي أنشأها ورفدها المسلمون فكلها مصبغة بالصبغة الاسلامية الخالصة ومطبعة بالطابع الاسلامي الواضح الجلي وتجلى فيها الروح الاسلاميه الطاهره التي تهدى القارئ الى سواء السبيل

وان تصفحت أي كتاب أردت من المنطق أو الرياضيات أو الكيمياء أو الطبيعيات أو من أي علم من العلوم الطبيعيه والتجريبة ألفه عالم من علماء المسلمين في العهود الاسلاميه الزاهره تجد في صفحاته وبين أسطره وفي مضمونه ومحتواه روحا اسلامية تهديك الى الموضوع هدايه اسلامية كما فهمها وهضمها المؤلف فاذا كان مثلا كتابا في علم الطبيعه يبدأ بالبسملة والحمد لله رب العالمين ثم الصلاة والسلام على رسوله الكريم خاتم الأنبياء والمرسلين . ثم يأتي المؤلف فيه بالصفات الالهيه التي تشير الى قدرة الله وربوبيته وكونه رازق الكون وبارئه وخالقه . ثم يأتي بالآيات القرآنية المباركة التي تلفت النظر الى مظاهر الكون وتحث القارئ والسامع على التفكر والتدبر في الكون ومظاهر الخلق وما اليها ثم تستمر هذه الروح الاسلامية تهدى القارئ الى الصراط القويم في كل مرحلة من مراحل الكتاب . وهكذا تجد في أبواب الكتاب المختلفة وفصوله ومباحثه ايات واحاديث تعنى بالموضوع أو لها صلة به

ونرى هذا الاسلوب في كل كتاب وفي كل علم . حتى نراه في كتب القصص والحكايات والحب والغرام وحتى في علم الحس والسكولوجيا.

ومن أراد فليراجع الى أي كتاب شاء من كتب هذه الموضوعات.فمثلا كتاب ألف ليلة وليلة وكتاب طوق الحمامة المنسوب الى ابن حزم وكتاب

ضياء الابصار في حد البدء للطبيب الاسلامي الحكيم محمود خان كلها تؤيد ما قلناه

وليست العلوم فقط . بل هكذا الحال في المؤسسات والأنظمة والادارات والهيئات فلا تخلو مؤسسة من المؤسسات أو إدارة من الادارات أو نظام من الأنظمة أو هيئة من الهيئات عن عقيدة مؤسسيها وعقلية مؤلفيها وواضعيها وتسرى هذه العقيدة والعقلية في تلك المؤسسة أو النظام سريان الروح والدم في الجسد . نأخذ لذلك مثال دار العلوم الاسلامية بديوبند - الهند - المؤسسة العظيمة التي أسسها مولانا محمد قاسم النانوتوي و مرعلى تأسيسها أكثر من قرن (حوالي مائة سنة وربع قرن) . ولكن عقيدة المؤسس الجليل وعقليته تتجلى حتى الآن في هذه المؤسسة . ويشم الزائر رائحة هذه العقلية ويشعر بنكهة هذه النفسية حتى في جدران دار العلوم ومبانيها وحيطانها . وكذلك جامعة على كره يسرى فيها روح السير سيد احمد خان وعقليته سريان الروح في الجسد ويجرى فيها أراؤه وأفكاره ونزعاته مجرى الدم في عروق الانسان . وجامعة ندوة العلماء يسرى فيها أرواح مولانا محمد على المونكيرى ومولانا شبلى النعماني وزملائهما .وهلم جرّا ولا يمكن ان تسحب هذه الارواح وهذه النفسيات من هذه المؤسسات والمعاهد هذه حال المؤسسات والادارات . فما ظن القارئ الكريم في شأن العلوم والافكار والفلسفات التي تستمد غذاءها وروحها من أرواح واضعيها وعقليات مؤسسيها ونفسيات مؤلفيها

وهذا النظام التعليمي الذي طبقه الاستعمار الغربي في العالم الاسلامي والذي لم يربه فحسب بل ينفق الملايين والمليارات ويستنفد امكانياتنا المعنوية و المادية في تطويره وتدعيمه في بلادنا الاسلامية هو نظام استعماري بحت . وطبقه الاستعمار لمجرد اهدافه الاستعمارية ومن المناسب أن نشير الى ما تكمن به من نتائج استعمارية واهداف استغلالية

لتطبيق هذا النظام أحد مدونيه الكبار في الهند الاسلامية فقد كتب الكاتب والمفكر التعليمي الانكليزي الشهير اللورد ميكالي في تقريره الذي قدمه الى الحكومة البريطانية في عام ١٨٣٥م بصفته رئيسا للجنة التعليمية .

..يجب أن ننشيء جماعة تكون ترجمانا بيننا وبين ملايين من رعيتنا . وستكون هذه الجماعة هندية في اللون والدم وانجليزية في الذوق والرأي واللغة والتفكير. ..

وما أصدق هذا الطاغوت التعليمي الاستعماري الذي خرج لنا حتى اليوم متفرنجين أو متفرنسين أو متمركيين في الذوق والرأي واللغة والتفكير ؟ ألسنا وخاصة الطبقة المثقفة ..المتنورة - ما بقينا مسلمين في اللون والدم والانتساب فقط ؟ فلنقف هنا قليلا ونتساءل ماذا انفقنا على انجاح هذا النظام خلال القرنين الماضيين الذين قضيناهما في عهد الاستعمار وعهد ما بعد الاستعمار من أموال وامكانيات وصلاحيات ؟ وما الذي احرزنا وربحناوكسبنا جزاء تحمل هذه النفقات والتكاليف كلها ؟ ونجيب على هذا السؤال ونقول انفقنا المليارات من الدولارات والجنيهات والريالات في مشارق الارض ومغاربها من جزيرة تيمور شرقا الى مدينة داكار غربا وضحينا باجيال متتابعة من شبابنا المؤمن على مذبح الكنيسة الغربية وعدينا مقرون آلاف من المفكرين ومئات من النوابغ من أبناء العالم الاسلامي وقضينا أعمارنا في تطبيق هذا النظام بحذافيره وانجاحه منذ قرنين أو قرن ونصف هذا نص ما انفقنا وأما ماكسبنا وربحنا جزاء هذه النفقات الطائلة فجماعة من المثقفين المتنورين الذين تثقفوا بالثقافة الالحادية وطائفة من المفكرين الذين يفكرون بالفكر الاوربي المنحرف الثائر على الوحي والديانات والاجيال الضائعة الحائرة على مفترق الطريق . الا من عصم ربك وقليل ماهم .

إن مسئلة التعليم وتربية الاجيال وتنشئة الشباب من كبريات المسائل

التى تعنى بها الدول العقائدية (الايديولوجيه) وتوليه اهتمامها البالغ لان الامم و الدول التى تقوم على اساس عقيدة و مبدأ وايديولوجى هى خاصة من طبيعتها ومزاجها ووضعها . فتخضع نظام فكرها وتعليمها وتربيتها لهذه العقيده وهذا المبدا . وتكوّن تعليمها وتشكل نظام تربيتها بحيث يكون اداة ووسيلة لتنشئة الاجيال التى لا تؤمن بعقيدتها وفكرها فحسب بل تدافع عنها وتتفانى فى سبيلها وتقوم بنشرها وبثها فى انحاء العالم

وأريد أن أذكر القراء الكرام بما قام به الشيوعيون فى الاتحاد السوفيتى من تكوين نظام تعليمهم وتربيتهم على أساس الفكر الماركسى اللينينى والجدير بالذكر ان لجامعة موسكو ثلاث أهداف بعض اسان منهما على كلمة الفكرة الماركسية اللينينية أى Marxist – Leninist Doctrine ومن المضحكات المبكيات أن الذين يؤمنون باخس انواع الكفر لا يستحيون بمصارحتهم بالكفر ونحن المسلمون نستحيى بمصارحتنا بالاسلام واجهارنا بالحق

ولم يكتف الشيوعيون بتوجيه نظام تعليمهم وجهة شيوعية خالصة وتامة . بل قام علماؤهم بتدوين العلوم تدوينا جديدا يتفق مع فكرهم الشيوعى . وصاغوا العلوم كلها وخاصه الاقتصاد والفكر السياسى والقانون والفلسفة وما اليها من العلوم بصيغة شيوعية جديدة تتناغم مع الفلسفة البرولتارية فالعلوم عندهم الآن كلها مقلوبة تماما . قلبا وقالبا . ومتشربة بالفكر الشيوعى الالحادى

فليت شعرى فالذى يمنعنا عن هذا العمل ؟ وما يعوقنا عن تدوين العلوم على أساس الفكر الاسلامى وتطهيرها فى ضوء الشريعة الاسلامية؟

فانا أكمل فكراً من الشيوعيين وأصلح نظاما وأتم قانونا منهم . وديننا خاتم الأديان وكتابنا خاتم الكتب وشريعتنا المطهرة هى السمحة السهلة البيضاء الغراء التى ليلها كنهارها . ونؤمن بكتاب خالد عربى مبين . لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ألسنا

أقدر وأجدر بهذا العمل من الشيوعيين ؟ ألسنا قادرين على اجابة على أحسن سؤال وأندر أسلوب ؟ ولا يسعنا المقام أن نضرب لتدوينهم أمثلة من كتبهم . ومن أراد أن يعرف أسلوبهم في التدوين (وفي الحقيقة التحريف) فليراجع الى أي كتاب شاء من الكتب المطبوعة في روسيا

فلا بأس في أن نستفيد من تجارب الامم الشيوعية في مسئلة تجديد العلوم الاجتماعية والانسانية والطبيعية بدون أي تأمل أو تردد فانهم رفضوا جميع العلوم الموجودة من قبل الثورة الشيوعية وسموها بالعلوم البورجوازية فكل غير شيوعي عندهم بورجوازي وكذلك الفكر الذي يخالف الشيوعية يسمونه الفكر البورجوازي والعلم الذي لا يوافق آراءهم هو العلم البورجوازي وكل ماهو بورجوازي فهو مردود ومرفوض لا يفيد في شأن حتى العلم الطبيعي التطبيقي الذي هو علم مادي بحت ويعتقد كثير من المسلمين المثقفين انه لاصلة له بالفكر والدين قسمه الشيوعيون الى قسمين العلم الشيوعي والعلم البورجوازي . فالعلم الشيوعي عندهم هو الذي يحتم بانكار خالق الكون ورفض الاديان والمعتقدات الدينية . والعلم البورجوازي هو العلم الذي يتردد في المصارحة بهذا الانكار البحت والرفض القطعي وكذلك غيروا تاريخ العالم كله وقام المؤرخون الشيوعيون بالتدوين الجديد للتاريخ البشري بما فيه التاريخ الاسلامي والسيرة النبوية الشريفة تدوينا جديدا وفق التعبير المادي الشيوعي للتاريخ ونرى امثال هذا التدوين المحرف في جميع الكتب التي تطبع وتنشر في البلاد الشيوعية وخاصة في روسيا وتوزع مجانا أو بالثمن الزهيد في البلاد الاسلامية

ويجدر بنا في هذا المقام أن نلفت نظر القارىء إلى ماقاله أحد ائمة التربية والتعليم في البلاد السوفيتية عن الفرق الواضح الجلي الذي يضعه الشيوعيون بين العلم الروسي وبين العلم الاوربي العام يقول عالم طبيعي من كبار علماء السوفيت م ـ س ـ كوفرن (M. C. Govern) :

..إن العلم الروسي ليس قسما من أقسام العلم العالمي انه قسم
منفصل قائم بذاته . يختلف عن سائر الاقسام كل الاختلاف فان سمة
العلم السوفيتي الاساسية أنه قائم على فلسفة واضحة مفسرة
لتحقيقات العلمية لا تزال في حاجة الى أساس وإن أساس عمومية
الطبيعة العلمية المادية التي قدمها ماركس وانجلس ولينين واستالين
ما نريد أن نخوض - وفي يدنا هذه الفلسفة - في معترك العلم الطبيعي
نصارع جميع التصورات الاجنبية التي تناقض فلسفة المادية والماركسية
بكل جرأة وقوة .

وليست الدول الشيوعية فحسب بل رفضت الدول الاسيوية الأخرى
ايضا أن تطوي هذا النظام الفكري العلمي الغربي والاستعماري بكامله
لتحدده المقاييس الحقيقية و المعايير الواحدة لنشر العلم و الثقافة فقد رفضته
اليابان الوثني وأبى أن يكون هذا النظام مصطبغا بصبغة المادية الغربية ما
يكن ومطبوعا بطابع الحضارة الوثنية القديمة وتتجلى فيه فلسفتهم القديمة
الوثنية التي يؤمن بها اليابانيون وكذلك رفضت الهند البرهمية بعد
استقلالها من البريطانيين اختيار هذا النظام بحذافيره بل غيرته الى حد
كبير وجعلته منسجما مع مصالحها البرهمية وخاصة لفكرتها الهندوكية

فيجب قبل كل شيء ان نرفض امامة الغرب الفكرية وقداسته العلمية
بل نكفر بامامته وقداسته . فقد امرنا أن نكفر بالطاغوت لان الكفر
بالطاغوت من شرائط الايمان ويدخل فيه الكفر بالطاغوت الغربي
الاوربي والطاغوت الشرقي الشيوعي وبعد ذلك تاتي مرحلة الايمان بالله
والايمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبعد هذا الايمان الكامل
المركب من النفي والاثبات تاتي مرحلة تعلم القرآن . كما قال سيدنا ابن
عباس : تعلمنا الايمان ثم تعلمنا القرآن وتعلم القرآن يشتمل على التعمق
في روحه والتذوق بذوقه والتصبغ بصبغته والانطباع بطابعه وبعد أن
تعلمنا الايمان والقرآن سوف نتمكن من التهافت على ملابسة هذا العصر

وبرد على مناطقة الوقف وسد الطريق فى وجه السيل الالحادى الجارف الذى يكاد يذهب بالاذهان والعقليات المعاصرة . لا بل ذهبت بها واختطفتها فعلا

ولا يعنى رفض امامة الغرب الفكرية وهداسته العلميه عدم الاعتراف برقيه العلمى وغض النظر عن نهضته الفنية والتقنيه والصناعية ولا يعنى ايضا سد طريق المسلمين نحو الرقى العلمى والفنى . فليس بين الرقى الفنى المادى وبين الرقى الدينى الروحى أى تعارض ومن الممكن بل الاحسن والانسب أن يكون المسلم راغبا من كلتا الناحيتين الماديه والروحية فان الاسلام استحسن اجتماع الرقى الروحى الدينى بالرقى الفنى المادى واستحسن القرآن الكريم بساطة العلم وبساطة الجسم معا وفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم القوى على المسلم الضعيف

تطهيـــــر الفكـــــر الحـــديث

. يروى أن رسول الله ﷺ قال لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها .. وهذه القاعدة الكليه والهداية العامة الشامله تشمل جميع نواحى الاصلاح والتصحيح بما فيها النواحى العلميه والفكريه والثقافيه فنحتاج لاصلاح هذه الامة ونهضتها الفكريه والثقافيه ولتصحيحها العلمى والتربوى والحضارى الى احياء نفس الروح الاجتهاديه العلميه التى جعلت اجدادنا العلماء مهيمنين على العلوم التى اخذوها من الامم الاخرى فانهم لم يتعصبوا فى أخذ العلم والحكمه من أى أحد ولكنهم لم يقلدو أحدا تقليدا أعمى . بل عاملوا مع كل واحد معاملة الجوهرى الخبير الذى يحك كل شيء ياتى اليه من المعادن والاحجار على محكه ويميز طيبه من خبيثه وصحيحه من سقيمه وسليمه من فاسده ويأخذمنه نافعها ويدع ما كدر

ولكن . كما قلنا . يجب قبل هذا التمهيد و التطهير أن نرفض أولا قيادة الغرب الفكرية ونحطم امامته العلميه والحضاريه ونثبت بالدلائل

والفكرية والعلمية، فمد أن احيينا هذه المناهل نصبح علومنا الاسلامية وادبنا الاسلامي ذات حيوية وفعالية وتنطلق من حيث وقفت وجفت

وهذا الامر (أي تجديد العلوم وتدوينها على أسس اسلامية) أمر ذو أهمية بالغة . وهذه الاهمية القصوى ليست مزعومة ولا وهمية فانها المسئلة الكبرى للعالم الاسلامي . وهذا العمل يحتاج الى حركة علمية فكرية واسعة المدى متواصلة العمل وليس البحث الاسلامي الا وسيلة لهذه الحركة العلمية الفكرية . وهذه العملية ـ عملية تطهير العلوم ثم تجديدها ـ عملية متواصلة لاتنتهى ولا تكتمل في يوم من الايام بل تستمر مع مر الدهور وكر العصور . فان العلم شيء دائم التطور ويستمر الفكر الانساني وعقله في اكتشافه لحقائق الكون وتطويره للعلوم بمساعدة المعلومات والاكتشافات التى تحصل له خلال البحوث والمشاهدات فاذا لم نقدر ونقيم وننتقد هذه العلوم الدائمة التطور في كل مرحلة من مراحل تطورها ينشأ منه اختلال وتباين بين مثلنا الحضارية وعلومنا الاجتماعية و يصبح المجتمع عرضة للاحتلال الفكرى والثقافى والحضارى وكان المغفورله العلامة محمد اقبال يقدر أهمية هذه العملية كل التقدير حيث قال :

«إن واجبنا نحن هو أن نراقب تطور الفكر البشرى بكل يقظة وانتباه ونحتفظ بوجهة نظر حرة انتقادية تجاه هذا التطور» (٣) .

وقصارى القول أننا نحتاج الى موقف ثورى في الفكر وفي كل نواحي الحياة . فان موقف التوفيق والتسوية لا يغنى من شيء لأن الانقلابات والتغييرات في عالم الفكر والاجتماع والسياسة انما تحدثها مواقف ثورية بطولية ولا تحدثها قط موقف توفيقى وموقف التسوية والتطبيق بين الحق والضلال . فان هذه المواقف التوفيقيه تؤدى الى استسلام ثم الى انهيار . ومن ليس فيه جرأة التقدم والهجوم في معترك الحياة فالافضل له أن ينعزل عن المعركة ويلجأ الى بيته ينتظر المصير .

فان المحافظة على الوجود والكرامة في ميدان الحرب لا يمكن الا بالتقدم والهجوم . وأما المستسلم المترددفكتبت له الهزيمة والموت فليكن شعارنا في القرن الخامس عشر . التقدم والهجوم ولا الاستسلام والتوفيق .

فاذا كان هذا كله وأصبحت العلوم الاجتماعية والانسانية كلها مدونة من وجهة نظر الاسلام وعلى أسس من تعاليم القرآن الكريم فلا يبقى ولن يبق أى فرق أو تعارض بين العلوم وبين القرآن الكريم وتكون هناك وحدة علمية بين القرآن والثقافة الاسلامية المعاصرة وبين القرآن والحضارة الحديثة وبين القران وعلومنا الاجتماعية والانسانية . وتكون دراسة كل علم مفيدة في فهم القرآن والتعمق فيه، و تكون دراسة القرآن مفيدة في فهم العلوم والتعمق فيها . ومن هنالك تنشأ عقلية اسلامية قحة و تفكير اسلامي خالص

وأما العلوم التي ينبغي أن نعطيها الاولوية في عملية النقدو التطهير والتجديد فهي في رأيي المتواضع كما يلي :

١ ـ الفلسفة الغربية الحديثة مع جميع فروعها

٢ ـ العلم الطبيعي مع جميع فروعه

٣ ـ فلسفة التعليم والتربية

٤ ـ الفكر السياسي

٥ ـ القانون والدستور

٦ ـ علم النفس

٧ـ علم الاجتماع.

٨ ـ الاقتصاد وما اليه

٩ ـ علم الانسان (الانثرو بولوجيا).

١٠ ـ فلسفة الآداب والنقد الادبي

ومع اننا اشرنا الى تاثير الفكر الالحادي الغربي في تطور العلوم الطبيعية التطبيقية وتقسيم الشيوعيين علمهم الى قسمين العلم الشيوعي

والعلم البورجوازى ولكن مع ذلك قد يزعم بعض القراء وكما يعتقد كثير من المثقفين عندنا في العالم الاسلامي أن العلوم الطبيعية والتطبيقية من الكيمياء وعلم الحيوان وعلم النبات والفلكيات وعلم طبقات الارض والهندسة والطب وما اليها من العلوم التجريبية لاصلة لها بالدين ولا يمكن تفريقها الى ماهو مثلا الهندسة الاسلامية والهندسة الغير اسلامية والكيمياء الاسلامي اوالكيمياء الغير اسلامي وهذا الزعم الخاطىء ينشأ من النزعة العلمانية التى خلقه نظام التعليم الحديث المُغرّب (بالغين المعجمة وتشديد الراء وفتحها) في اذهان الشباب الاسلامي وعقلياتهم. فنظام التعليم المغرّب لا يعترف بوجود خالق الكون ودوره في العلوم الطبيعية مع أنها اذا كانت تدرس بالمنهج الاسلامي الصحيح وتعالج بالنظرة الاسلامية السليمة كانت سببا لتقوية الايمان وتدعيم اسسه في قلوب المتعلمين واذهانهم ولا شك أن مجرد الحقائق العلمية من كون النار محرقة وكون الماء مركبا من الاكسوجين والهيدروجين ليست اسلامية أو غير اسلامية في حد ذاتها. ولكن تدوين هذه المعلومات في صورة علم متكامل مدوّن واستنتاج النتائج العلمية المجهولة منها والبحث عن القواعد الكلية والفلسفة التى تسرى في هذه المعلومات والعوامل الخلفية التى جعلتها كما هي فهذه الاشياء منها ماهو اسلامي وما هو غير اسلامي.

وينبغى ان تكون عملية تطهير هذه العلوم ثم تدوينها من جديد في مراحل متطورة فللدخول في المرحلة الأولى يجب أن نبدأ فى الفور بادخال المواد الاسلامية المتعلقة في جميع العلوم الاجتماعية والانسانية التى تدرس في الجامعات . ويجب أن لا تخلو مادة من المواد وموضوع من المواضيع من المحتوى الاسلامى المتعلق بالمادة أو الموضوع والأحسن أن تكون النسبة في البداية خمسين بالمائة . واذا لم يكن هذا من الممكن فما أمكن من النسبة ولكن بشرط أن لا تقل عن خمسة وعشرين بالمائة . وهذا يفيد الطالب والمدرّس فى مقارنة العلوم الاسلامية

بالعلوم الاجتماعية والانسانية الحديثة من جانب ويؤهلهم لتطهير المحتوى الغير اسلامي في هذه العلوم من جانب آخر ولتكن في كل جامعة وفي كل قسم دراسي من أقسام الجامعة لجنة مختصة بهذا الموضوع ، ولتكن من مهمة هذه اللجنة اعادة النظر في المنهج المقرر كل سنة من هذه الوجهة واستعراض الموضوع في ضوء النتائج التي أحدثتها الدراسة كل سنة ونقترح للبداية في المرحلة الاولى من هذه العملية الكبيرة أن يعاد النظر في المناهج المقررة للدراسات العليا في ميادين الحقوق وعلم السياسة والاقتصاد والفلسفة

وكان كاتب هذه السطور عضوا وسكرتيرا للجنة الحمراء التي اعدت المناهج والخطة لكلية الشريعة بجامعة القائد الأعظم باسلام آباد فهي أول كلية على المستوى الجامعي العالي للدراسات الفقهية القانونية العليا التي سوف تقوم بالتدريس والاشراف على البحوث في هذه الموضوعات على مستويات ماجستير و دكتوراه محللا النسبة بين محتوى الحقوق ومحتوى الفقه الاسلامي اربعين وستين وكذلك كنت عضوا في لجنة وضع المناهج للجامعة الاسلامية المقترح تأسيسها فيكشمير الحره وكنت اعددت لها منهجا دراسيا ووضعت النسبة بين محتوى العلوم الاسلامية وبين محتوى العلوم الاجتماعية نسبة ستين واربعين ومما ترتاح اليه نفسي أن اعضاء اللجنة كلهم بادروا الى الموافقة على ما اقترحه كاتب هذه السطور و وافقت حكومة دولة كشمير الحرة أيضا على هذه المقترحات وقام رئيس دولة كشمير بافتتاح هذا المنهج في حفلة خاصة انعقدت لهذا الغرض في كشمير في العاشر من يوليو ١٩٨٠م

وختاما اريد أن انوه الى مرحلةحاسمة لا تقل اهمية عن التي ذكرتها في المقالة . وهي مرحلة تدوين العلوم الاسلامية القديمة تدوينا جديدا على اسلوب عصري حديث يوافق مقتضياتنا اليوم ويلبي حاجاتنا في القرن الخامس عشر من الهجرة الذي نحن على وشك الدخول فيه . والعلوم

الاسلامية التى يحتاج الى تدوينها تدوينا جديدا وتجديدها وفق الحاجات العصرية فهى فى رائى المتواضع كما يلى :

١ ـ التفسير وعلوم القرآن
٢ ـ الحديث وعلومه والسيرة النبوية
٣ ـ علم الكلام والفلسفة الاسلامية
٤ ـ الفقه الاسلامى وأصوله وفلسفة التشريع .
٥ ـ الاقتصاد الاسلامى وعلم الاموال
٦ ـ السياسة الشرعية بما فيها الاحكام السلطانية والسير
٧ ـ التاريخ الاسلامى وفلسفة التاريخ.

ولكن لا يمكن هذا مع الجمود والضلالة وانما يمكن بالروح الانتقادية التقدمية التى يمكن أن نسميها الروح القرآنية الخالصة فان روح القرآن ليست الجمود والضلالة والركود والتقليد الاعمى بل هى التقدم والنقد العلمى والفهم والعقل والتفكر والاجتهاد .

وهذا ما أردت أن اقول فى هذا الموجز المرتجل . وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب.

المراجع

(١) تاريخ التعليم لسعيد باسو ص ٨٠ نقلا عن ابى الحسن على الحسنى الندوى نحو التربية الاسلامية الحرة . طبع بيروت ، ١٩٦٩ م ص ٣١ ـ ٣٣

(٢) نقلا عن أبى الحسن على الحسنى الندوى مصدر سابق . ص ٦٤ ـ ٦٥

(٣) محمد اقبال تجديد التفكير الدينى فى الاسلام (The Reconstruction of Religious Thought in Islam). طبع لاهور فى أخر المقدمة